

لخادم العلم الشريف

أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه

1440 هـ-2019 م



الطَّبْعَـــةُ الخامسة

1440 هـ ـ 2019 م

ISBN: 978-9938-14-114-6

اَلْكَـاتِـبُ فِي سُطُـور

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق له 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق بصفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها.

استشهد والده رحمه الله في شهر شباط عام 1973 رومي.

ارتحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شتى وأقطار عديدة.

تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

ـ الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدي محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمّد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي كمال الدين جعيِّط المالكي الحنفي مفتي الجمهورية التونسية.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمد المازوني المالكي التونسي.

ـ الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المفسر سيدي محمد المنصف جعيط المالكي التونسي.

ـ السيد العلامة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ الولي الصالح سيدي محمد تقي الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث الأصولي المفسر محمد المنتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث عبد الله التَّلِيدي الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة الأصولي الفقيه محدّث المغرب الناقد الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ وتدبَّج مع إمام الحرمين سيدي محمّد علوي المالكي الحسني المكي.

تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة والعامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.

يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، ويروي موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كـ: سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربعة.

مما قاله آباؤه رحمهم الله عنه:

قال الشيخ محمّد الشاذلي النيفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وكان محل الابن العالم البحاثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أمده الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير الوافر مما غَفَل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريظه على كتاب المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة:

"وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلَّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، **ثم قال:** وتوسع في معناه توسع خِرِّيت -الذي عرف خبايا الأمور-، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد".

وقال فيه سيدي كمال الدين جعيِّط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وإن مقام ابننا الشيخ أحمد لمن الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقِّين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدراً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

"وإن من بين من كَرَعَ من مناهل العرفان، وملأ وِطَابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، ابننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي: أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل، التونسي المُقام، فقد لازمني وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإني المسمّى: كمال الدين بن محمد العزيز جعيِّط، طالب العلم الشريف، وأحد المتخرجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيز إبني أحمد المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفَهماً وعلماً، وهو من الذين لا يخشَون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه ممن أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به أيَّ انتفاع، وقد حَبَّرَ قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مريدوه، وقد كنا مستأنسين به بيننا نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباحث في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإني جازم بأنه سيؤهله مستواه المعرفي في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وتُرسّمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدريس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة لزيغ الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأ الوِطَاب بما حَسُن من العلوم الشرعية وطاب، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقاصدها بحيث لا تتوارى عنه بحجاب، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو

من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكين بسيرة وسنة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة اللـه رب العالمين، واللَّـهُ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾"البقرة: ٢٦٩".

وقال فيه سيدي محمد المازوني التونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"فإن ابني الأستاذ أحمد منصور قرطام أَبَى إلا أن يبلغ درجةً قصوى من هضم علم الكلام، فبعد أن درس ذلك عليَّ سنة 89 بجامع الزيتونة، ونال مني إجازة في ذلك محررة بخط يدي، ها هو ذا يعيد الكرَّة من جديد، أعني بذلك أنه اتصل بي في داري برادس، وطلب مني أن يعيد الدراسة لمزيد التحقيق، ورغبة في التعمق، فلبيت بل رحبت بذلك، وتجددت الصلة بيني وبينه، وكانت الدراسة مني، وكان منه حسن القبول وكمال الاستعداد، وبذلك تجددت مني الإجازة بل الشهادة على حسن الإجادة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وفَّقَه الله وأعانه، وهو بحقٍ جديرٌ بأن يدرس علم الكلام خاصة من كتاب طالع البشرى، والسلام".

وقال فيه سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".



بِسِّمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد الله رب العالـمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، والصلاة والسلام على جَدِّ الحسين والحسن وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه واستنّ.

أما بعد،،،

بين يدي القارئ

عملنا في الكتاب، إننا لم نذكر المراجع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لأننا سمينا الأشياء في محلها، وكذلك حفاظاً منا على عدم تحميل الكتاب بالهوامش، قمنا بدمج الآيات والأحاديث والإجماع وأقوال العلماء في الشرح، وهذا هو الأسلوب المتعارف عليه إلى وقت قريب، وهكذا في بقية الكتاب، وقد أحلنا الأقوال إلى قائليها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والمرجو من كل ناظر في هذا الكتاب أن ينظر بعين الإنصاف فإن وافقه فذلك فضل الله وإن خالفه فيما يحمل فعليه أن يكون مُنصِفاً عند رده على الكتاب وكاتبه، بأن يبين محل النقد مُفسراً وإلا كلامه مردود عليه وهو كالعبث ورحم الله القائل:

إن تجـــــــد عيبــــــاً فَســـــدَّ الخلـــــل

جــــلَّ مــــن لا عيــــب فيــــه وعــــلا

وقال الشاطبي رحمه الله في حرز الأماني ووجه التهاني:

وَإِنْ كانَ خَـــــرْقٌ فَادَّرِكْـــــهُ بِفَضْــــلَةٍ

مِـــنَ الْحِلْـــمِ ولْيُصْـــلِحْهُ مَـــنْ جَـــادَ مِقْـــوَلاَ

والكمال لكتاب الله وحده وما ثبت في غير كتاب الله فهو قابل للنقد، أما في السنة والأحاديث فالنقد يكون في السند ورجال السند وكذلك يدخل النقد في المتن إذا ما كان مخالفاً لكتاب الله أو السنة المتواترة، وقد ألف في ذلك العلماء كتب الجرح والتعديل وكذلك كتب الأحاديث الشاذة والموضوعة والمردودة فليراجعها من يشاء.

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه وهو مَنْ هُوَ مِنَ العلماء بعد أن صنف وألف وشرح، فيما رواه عنه البويطي، قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: "لَقَدْ أَلَّفْتُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَلَمْ آلُ فِيهَا، وَلا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا الْخَطَأُ، أَبَى اللَّهُ أَنْ يَصِحَّ إِلا كِتَابُهُ"، ولله در من قال:

كَمْ مِنْ كِتَـابٍ تَصَـفَّحْتُهُ وَقُلْـتُ فِي نَــفْسِيَ أَصْـلَحْتُهُ
حَــتَّى إِذَا طَالَعْتُــهُ ثَانِيــاً وَجَــدْتُ تَصْــحِيفاً فَصَــحَّحْتُهُ

والله ورسوله أعلم



مقدمة

بِسِّمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، المُسْتَحِقِّ لِنهَايَةِ التَّعْظِيمِ، الأحدِ الصَمَدِ، المُتَقَدِّسِ في عَظمتِهِ، المُنْفَرِدِ في جَلالِهِ، ليس كَمِثْلِه شَيء، سُبْحَانهُ واجِبُ الوْجُودِ القديمُ البَاقي على الدّوَامِ، عِلمُه مُحيطٌ وفَضْلُهُ عَظيمٌ، قُدْرَتُه أَزليةٌ أبديةٌ، مُنَزَّهٌ عن الْكَيْفِيّةِ والكَمِّيَةِ لا يحويهِ مكانٌ ولا يجري عليهِ زمان، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد خَيْرِ من ارتَقىَ بعلمِ التّوحيدِ فعَلَّمَه وبيَّنهُ وَأَظْهَرَهُ للإنسِ الجِنِّ، وَآلِ بَيْتِهِ حَامِلِي لِوَائِه وَالْسَائِرِينَ عَلَى مِنْوالِهِ، مَثَلُهم فِي ذَلِكَ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ، وَصَحْبِهِ الطيبِينَ الطَّاهِرينَ السَابِقينَ الأَوَّلين مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار وَالذِينَ اتبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْم الدِين.

أمَا بَعْد،،،

فإن نعم الله سبحانه لا تحصى، فمن أعظمها نعمة العلم الذي هو ضياء في الظلمات، وأفضله على الإطلاق علم أصول الدين ثم يدانيه علم الفقه أو الشرائع والجامع لهذين العلمين بمنزلة من عوفي في بدنه وتناول ما يوافقه من أغذيته، والعادم لهما جميعاً بمنزلة من عدم صحة البدن وما وافقه من الغذاء، والمقتصر على علم الأصول مثل صحيح البدن عديم الغذا، وأما المشتغل بعلم فروع الفقه دون أصول الدين فهو مثل سقيم البدن كثير الأغذية لا ينتفع منها أبداً، وهي فروقٌ واضحةٌ ظاهرةٌ لا يختلف فيها اثنان ولا ينتطح فيها عنزان، فَرَغِبَ إِليَّ من أَحبهم

قلبي أن أجعل لهم مختصراً في أصول الدين، جامعاً للعبارة، واضحَ الدليل والإشارة، مناسباً لما عليه الزمان، بطريقة مرضية تجمع بين الكتاب والسنة والأدلة العقلية، مستأنساً بأقوال الأوائل ومن على نهجهم سائر، ومُحكِماً للإجماع المعتبر، لا قول سواه ممن غَبَرَ وَحَضَرَ، وهذا سبب كتابة هذا الكتاب، الذي نعتقد فيه أنه صغير الحجم كثيرُ النفع لمن نظر إليه بعين الإنصاف، لما فيه من الإشارات المهمة، والقواعد الأصولية الجامعة، والحديثية النافعة، في شرح وبيان هذا العلم الجليل، بأسلوب سهل مبسط، بعيد عن التعقيد والتطويل، يستفيد منه المقتصد ولا يستغني عنه المجتهد، ويسترشد به المبتدي، ويحتاج له كل منتهي.

وقد وضع الأوائل شروطاً للتأليف، لم يلتزم بها كثيرٌ ممن تصدر لمثل هذا الأمر، فقالوا"[1]: "لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يصح التأليف في غيرها، وهي: إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه ويبتكره وهو أصل التأليف، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيبينه، أو شيء مفرق يجمعه".

1- القائل هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عطية الشفداري الشاوري الشرجي اليماني الحسيني الشافعي المعروف بابن المقرئ. وكان مولده 745 هجري الموافق 1353 رومي، في كتابه الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي.

ودون ذلك فكتاب جلال الدين السيوطي الشافعي ينادي على كاسد السوق بكتابه **(الفارق بين المصنف والسارق)** "فتدبر!!".

ولكن يبقى سؤال حقيق لطالب العلم أن يسأله وهو أين يقع كتابكم من ذلك؟

فالحق أننا لم نأت بشيء جديد غير معهود من قبل، فكل ما نستدل به من أقوال فالفضل يعود فيه لأهله ويشرفنا نقله وتعظيم نسبته لهم، إذ لولاهم لما كنا ولا رحنا ولا جئنا، ولكن ما ننسبه لأنفسنا وبكل تواضع مع الاعتراف والإقرار لكل من علمنا ومن كان له فضل علينا من أسيادنا، أننا أتينا بأسلوب غير مسبوق من قبل، وذلك بعد تعريف المسألة اصطلاحاً نُتبع ذلك بدليل من الكتاب ثم من السنة المشرفة ثم الإجماع ثم قول عالم معتبر ثم بالدليل العقلي ثم ببيت من الشعر يختصر كل ما سبق بأسلوب لطيف يسهل به الفهم والحفظ معاً، والله من وراء القصد.



مبادئ علم التوحيد

إن لكل علم من العلوم الكريمة عشرة مبادئ، بها يعرف، وبها يبتدأ، وقد جمع تلك المبادئ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المقّرِي التِّلمساني المالكي رحمه الله، فقال [1]:

مَـــــــن رامَ فنّـــــاً فلْيُقـــــدِّم أولا	علمـــــاً بحــــده وموضـــوعٍ تـــــلا
وواضـــعٍ ونِسْـــبة ومـــا اســـتمدّْ	منــــه وفضــلِه وحكـــمٍ يُعتمــــدْ
واســـمٍ ومـــا أفـــادَ والمســـائل	فتلـــك عشـــرٌ للمُـــنى وســـائلْ
وبعضُـهم منهـا على البعـض اقتصـرْ	ومَن يكـنْ يـدري جميعَهـا انتصـرْ

- **حَدُّهُ:**

اصطلاحاً: هو علمٌ يُبحث فيه عما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى، كذلك في حق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعن الممكنات من حيث الإستدلال بها على وجود صانعها، وعن السمعيات من حيث اعتقادها، وذلك من الأدلة اليقينية المكتسبة من الكتاب والسنة والإجماع وشاهد العقل، والتي تؤدي إلى الجزم المطابق للواقع عن دليل.

---

1) هذه الأبيات للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري التِّلمساني المالكي المتوفى سنة 1041 هجري، وقد اقتبس منها الإمام أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي المتوفى سنة 1206 هجري أبياته المعروفة.

- **موضوعه:**

هو ذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته، وذوات أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز، والسمعيات من حيث الإستدلال عليها وبيان وجوب اعتقادها والتصديق بها كالملائكة والجن ونعيم القبر وعذابه وحقيقة البرزخ والبعث والنشر والحشر والجنة والنار وما أشبه ذلك من الأمور الغيبية التي لا ندركها بحواسنا.

- **ثمرته:**

هو معرفة حق الله تعالى وحق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالبراهين القطعية التي تؤدي إلى صحة العبادة والفوز بالسعادة الأبدية وعدم الخلود في النار بسبب الـمعتقدات الردية.

- **فضله:**

هو أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق لكونه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات، وبالأنبياء والـمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهم أشرف خلقه، والعلم تابع لـمعلومه في الشرف، وقد جاءت الرسل بالتوحيد من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالكل أُرسل لحكمة واحدة هي تعليم الناس توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بسائر صفات الكمال، وتنزهه عن سائر صفات النقص.

- **نِسبَتُهُ:**

هو أصل العلوم الشرعية وما سواه فرع عنه، لـما رواه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ

أَفْضَلُ؟ فقال: (إيمانٌ باللهِ ورَسولِهِ)، وما رواه ابن ماجه في سننه عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمُوا الْإِيمَانَ)، وقال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في (الفقه الأبسط): "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام" اهـ. ومراده بالفقه في الدين علم التوحيد، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "أحكمنا ذلك قبل هذا" اهـ. أي علم التوحيد قبل علم الأحكام.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن مجاهد رحمه الله:

أَيهَا الْمُقْتَدِي ليطلُبَ علماً ... كلُّ علمٍ عبدٌ لعلمِ الْكَلَامِ
تطلبُ الْفِقْهَ كي تُصححَ حُكماً ... ثمَّ أغفلت مُنَزِّلَ الْأَحْكَامِ

- **وَاضِعُهُ:**

هو من قِبَلِ المولى سبحانه وتعالى، فقد أنزله في كتابه العزيز مُبيناً العقائد، ذاكراً النبوات والسمعيات، راداً على شبه المبطلين والمنكرين، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾"الأنبياء:22" هذا دليل على الوحدانية، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾"البقرة:23" وهذا دليل على النبوة، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾"يس:79" وهذا دليل على البعث والنشر، وقد بين كل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه.

فكان أول من تكلم ووضع أسس علم التوحيد من الصحابة هو إمام التوحيد ومصباح التفريد سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمناظرته الخوارج في

مسائل الوعد والوعيد ومناظرته القدرية في القضاء والقدر والمشيئة والاستطاعة القائل: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يُبْدَ مِمَّا، وَلا مُمَازِجٌ مَعَ مَا، وَلا حالٌّ وَهمَا، وَلا شَبَحٌ يَنْقَضِي"، ثم تلميذه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رده على خوارج الحرورية، وسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في رده على القدرية وبراءته منهم، وأول متكلمي أهل السنة من التابعين سيدنا زين العابدين عليه السلام كما في كتابه (الصحيفة السجادية) وإن كان غالب ما فيها أدعية ولكنها كلها في تنزيه الله القائل: "الأَوَّلُ بِلا زَوال، والدَّآئِمُ بِلا فَناء، وَالْقائِمُ بِلا عَنآء، وَالْمُؤْمِنُ"[1] بِلا نِهَايَة وَالْمُبْدِئُ بِلا أَمَد، وَالصَّانِعُ بِلا أَحَد، وَالرَّبُّ بِلا شَرِيك، وَالْفاطِرُ بِلا كُلْفَة، وَالْفَعَّالُ بِلا عَجْز، سُبْحَانَكَ أنتَ الله لا إله إلا أنت، لا يَحْوِيكَ مَكَان، لاَ تُحَسُ، وَلاَ تُجَسُ، وَلاَ تُمَس"، ثم سيدنا الحسن البصري، ثم سيدنا عمر بن عبد العزيز، ثم سيدنا زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام في مناظرته للروافض، وبعد هذه الطبقة جاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام القائل: "مَنْ زَعَمَ أَن اللهَ في شيء، أو من شيء أَو على شيء فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان مُحْدثاً"، ومن بعده تلميذه الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله القائل: "لولا السنتان لهلك النعمان" وهما السنتان اللتان جلسهما بين يدي الإمام جعفر الصادق عليه السلام فألف فيه (الفقه الأكبر)، و(العالم والمتعلم) و(الوصية) و(الفقه الأبسط) وناظر فرق الخوارج والقدرية في

1- قال القرطبي في تفسيره: "المؤمن" أي المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب.

قعر دارهم فسافر إليهم نيفاً وعشرين مرة، ثم الإمام مالك رحمه الله وله رسالة في القدر، ثم الإمام الشافعي رحمه الله في رده على حفص المنفرد، وله كتاب (القياس) رد فيه على من قال بقدم العالم من الملحدين، وقد صنف سيد المحدثين في زمنه الإمام البخاري كتاب (خلق أفعال العباد)، ومن متكلمي أهل السنة أيام المأمون عبد الله بن سعيد التميمي، ومن تلامذته الإمام الجنيد شيخ الصوفية وإمام الموحدين، ثم بعدهم شيخا النظار وإماما الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري وأبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، فهذبا هذا العلم وألفا فيه المصنفات العجيبة التي أبهرت العقول وأذعنت لها الفحول.

- **اسمه:**

▪ **علم التوحيد**: لأن مبحث التوحيد أشرف مباحثه التي تؤدي إلى توحيد الخالق عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله.

▪ **علم الصفات**: لأن أهل السنة أثبتوا به صفات الله الجليلة حتى صار علماء أهل السنة يلقبون بالصفاتية.

▪ **علم أُصول الدين**: لأنه أصل كل العلوم، فهو يغني عما سواه، وكل ما سواه تبع له ولا يغني عنه.

▪ **علم الكلام**: لأنه به جرى الكلام بين علماء أهل السنة ومن سواهم من فرق أهل البدع والأهواء، فردوا به عليهم.

▪ **علم العقائد**: لأنه من قبيل عقد الشيء على الشيء إذا ما تمكن منه.

▪ **الفِقهُ الأَكبر**: لأنه مدار الإيمان ومبنى صحة الأركان ومعنى غاية الإحسان.

- **استمداده:**

هو مستمد من الأدلة اليقينية المكتسبة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإجماع وشاهد العقل.

- **حكمه:**

تعلمه واجب على كل مكلف، وجوباً عينياً فيما يتعلق بالدليل الإجمالي، ووجوباً كفائياً فيما يتعلق بالدليل التفصيلي، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾"محمد:19" وَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآلِهِ وَسَلم: (أنا والله أعلمُكُم بالله، وأتقاكم له)"رواه الحاكم في المستدرك".

- **مسائله:**

تنحصر مسائله في ثلاثة أشياء:

- **إلهيَّات**: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الله تعالى من حيث ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز.
- **رُسليَّات**: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث إثبات النبوة لهم أولاً، ثم ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز في حقهم.
- **سَمعيَّات**: وهي ما دل عليها النقل فقط، ولا مدخل للعقل فيها كالملائكة والجن ونعيم القبر وعذابه وحقيقة البرزخ والبعث والحشر والنشر والجنة والنار وغيرها.



فصل في الحكم وأقسامه

الحكم اصطلاحاً: هو مطلق إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعقلي وعادي.

أَولاً: الحُكم الشرْعي: هو ما يعرف من طريق الشرِع كقولنا في الإثبات "صيام شهر رمضان فرض" وفي النفي "صيام يوم عرفة ليس بفرض".

وينقسم إلى قسمين: تكليفي ووضعي.

- **الحكم التكليفي اصطلاحاً**: هو خطاب الله التنجيزي المتعلق بأفعال المكلفين من فعل أو ترك وكان للمكلف دخل في تحصيله كوجوب الصلوات الخمس، أو الندب كصلاة النافلة، أو التحريم كشرب الخمر، أو الكراهة كصيام النافلة يوم الجمعة منفرداً، أو الإباحة كالأكل والشرب.

المكلف شرعاً: هو البالغ العاقل الذي وصلته دعوة الإسلام وكان خالياً من المانع.

- **الحكم الوضعي اصطلاحاً**: ويسمى بخطاب الوضع؛ لأن الواضع له هو الله سبحانه وتعالى وليس للمكلف دخل في تحصيله ولا بوجه من الوجوه، مثل دخول أوقات الصلاة، ودخول شهر رمضان، والبلوغ عند الرجال والنساء وهكذا في كل ما كان سبباً أو شرطاً أو مانعاً فيقال له خطاب وضع.

أَقسامُ الحكم الشرعي خمسة وهي:

- **الواجب أَو الفرض**: وهو ما يثاب فاعله ويأثم تاركه كالصلوات الخمس.
- **السنة أَو المندوب أَو المستحب**: وهو ما يثاب فاعله ولا يأثم تاركه، وإنما يفوته أجر كبير، كصلوات النوافل، وصيام الأيام المستحبة، والصدقات وغيرها.

▪ **الحرام**: وهو ما يأثم فاعله ويثاب تاركه امتثالاً لأمر الله تعالى، كالربا وعقوق الوالدين وشرب الخمر.

▪ **الـمكروه**: وهو ما لا يأثم فاعله، ويثاب تاركه امتثالاً لأمر الله تعالى، كلطم الوجه بالماء أثناء الوضوء، واستعمال الماء المشمس مع وجود غيره، وصيام يوم الجمعة نافلةً منفرداً.

▪ **الـمباح**: وهو ما لا ثواب فيه ولا عقاب لذاته كالأكل والشرب واللباس وغيرها، لكن قد يدركه الثواب إن كان الأكل بنية التقوي على العبادة، وقد ينقلب حراماً كلبس الثياب من أجل التكبر على الناس وكسر قلوبهم.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي الـمالكي رحمه الله في منظومة (الـمرشد المعين على الضروري من علوم الدين):

أَقْسَــامُ حُكْــمِ الــشَّرْعِ خَمسـةٌ تُــرَامْ فَـــرْضٌ وَنَـــدْبٌ وَكَرَاهَـــةٌ حَـــرَامْ

ثُـــــمَّ إِبَاحَـــــةٌ فَمَـــــأْمُورٌ جُــــزِمْ فَـرْضٌ وَدُونَ الْجَـزْمِ مَنْـدُوبٌ وُسِـمْ

ذُو النَّــهْيِ مَكْــرُوهٌ وَمَــعْ حَــتْمٍ حَــرَامْ مَــأْذُونُ وَجْهَيْـــهِ مُبَـــاحٌ ذَا تَمـــامْ

أقسام الحكم الوضعي ثلاثة:

1. **السبب**: هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته.

مثاله: دخول الوقت، فدخول وقت الصلاة سبب لوجود وجوب حكم الصلاة، وعدم دخول الوقت سبب لعدم وجوب حكم الصلاة.

2. **الشرط**: هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ولا العدم لذاته.

مثاله: العقل، فبعدم وجود العقل تنعدم صحة الصلاة، ولا يلزم من وجود العقل وجوب صحة الصلاة وذلك لعلة أخرى كالحيض والنفاس.

3. **الـمانع**: هو ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه الوجود ولا العدم لذاته.

مثاله: الحيض، فمع وجود الحيض عدم وجوب الصلاة، ولا يلزم من عدم وجود الحيض وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، وذلك لعلة أخرى كالجنون.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي الـمالكي رحمه الله:

الْحُكْـــــمُ في الـــــشَّرعِ خطـــابُ ربِّنَـــا
الْمُقتَـــــضِي فِعْـــــلَ الْمُكَلَّـــــفِ افْطُنَـــا

بِطَلَــــــــــبٍ أَوْ إِذْنٍ أوْ بِوَضْـــــــــــعِ
لِسَــــــــــبَبٍ أَوْ شَرْطٍ أوْ ذِي مَنْـــــــعِ

ثانياً: الحكم العادي:

وهو ما يعرف من خلال التجربة والعادة، كأكل الصبار على الريق يسبب القبض والإمساك وأكله إثر الطعام يلين المعدة، وأن مادة البنج تخدر الآدمي، وأن أكل الفول يثقل البدن، فكل ذلك عرف من خلال التجربة والعادة.

فائدة

العقل تعريفه، ومكانته في التشريع

- **العقل**: هو جوهر لطيف به تدرك المحسوسات بالمشاهدات والغائبات بالوسائط، خلقه الله في القلب وجعل نوره في الدماغ، قاله إمام الحرمين الجويني،

وقال الراغب الأصفهاني أو الأصبهاني: هو قوة مهيأة لقَبول العلم، وقال أبو إسحاق الشيرازي: هو قوة يقع بها التمييز بين الحسن والقبيح، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن سوء السبيل، ولأجل هذا أوجب العلماء على المكلف أن يميز بين الواجب العقلي والمستحيل العقلي والجائز العقلي، ومن لم يميز بين هذه الثلاثة وإن كان عند الناس عاقلٌ فهو عند الله ليس بعاقل، مع وجوب العلم بأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة، إلا إذا نبه عليها الشرع ولأن العقلَ شاهدٌ من شواهد الشرع متأخر عنه في التعقل الذهني وتصور المراد وقاصرٌ أحياناً عن تصور مقاصده؛ ولأن الشرع لا يأتي إلا بما يُجيزه العقل، وهو معنى قولهم: "لا تكليف إلا بعقل"، ومصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَن النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَن الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ)"رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن علي وعمر رضي الله عنهما وبمعناه عند النسائي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها".

وأنشد بعضهم:

ما وهب الله لامرئ من هبه   أفضل من عقله ومن أدبه

وابتداءُ وجوده في الإنسان عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكون بداية كماله مع البلوغ، ونهاية كماله مع الأربعين سنةً في الغالب لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾"الأحقاف:15" ومحله القلب على المشهور، قال ابن زكري من المالكية في (محصل المقاصد):

محلــــه القلــــب على المشـــــهور للــــوحي وهـــو مـــذهب الجمهـــور
وفي الدمـــاغ قـــال جـــل الحُكمـــا بقـــولهم قـــد قـــال بعـــض العلمـــا

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾"الأعراف:179"، وهو أفضل ما مَنَّ الله به على عباده، وذلك لحديث أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلال بَيِّنٌ وَالْحَرَام بَيِّنٌ) إلى أن قال: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)"رواه البخاري ومسلم واللفظ له"، وهو أشرف الأعضاء لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه، وأنشد عمر بن أبي ربيعة:

مـــا ســـمي القلـــب إلا مـــن تقلبـــه فاحذر على القلـــب مـــن قلـــب وتحويـــل

وقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا العضو في جنس الحيوان وأودع فيه تنظيم المصالح المقصودة، فتجد البهائم على اختلاف أنواعها تدرك به مصالحها وتميز به مضارها من منافعها، ثم خص الله سبحانه وتعالى نوع الإنسان من سائر الحيوان وجعله فيه قلباً عاقلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾"الإسراء:70" أي بالعقل وأضافه إلى القلب للآية والحديث السابقين وقد جعلته كل الشرائع من الكليات الخمس التي يحرم المساس بها، وقد جعل الله الجوارح مسخرةً له ومطيعة، فما استقر

فيه ظهر عليها وعملت على معناه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإذا فهمت هذا ظهر لك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ) الحديث.

- **مكانته في التشريع**: مما لا شك فيه أن المولى سبحانه وتعالى بين لنا وببالغ حكمته وجوب الاعتبار من خلال النظر والتفكر مما وقع للأمم السالفة، وكذلك ما قصه علينا القرآن من لدن سيدنا آدم أبي البشر وأول الأنبياء مروراً ببقية إخوته من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى قدوم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما وقع لكل نبي مع قومه وأمرنا بالتفكر والتدبر في حالهم قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾"يونس:71"، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾"يوسف:3"، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾"الكهف:13" والآيات في هذا المقام كثيرة مع كل نبي في قومه التي تدعوا إلى التفكر والاعتبار.

وكذلك أمرنا المولى سبحانه وتعالى بالتفكر والنظر في خلق السماوات والأرض لإقامة الدليل على وجود خالقٍ لا يشبه المخلوقات وصانع لا يشبه المصنوعات قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾"البقرة:164"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾"آل عمران:190"، و قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾"آل عمران:191"، وآيات التفكر والاعتبار كثيرة وكثيرة جداً، واستنبط لنا العلماء من هذه الآيات قاعدة وهي أن كل متغير حادث وكل حادث لا بد له من مُحْدِث، فلزم أن يكون هناك مُحْدِث لا يشبه المحدثات هو الله، وكذلك بين لنا المولى سبحانه وتعالى وأمرنا أن نتفكر في الطور الإنساني قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾"المؤمنون:12-14"، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾"الذاريات:20-21"، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾"الأنعام:50"، وكذلك أمرنا بالتفكر في بقية الحيوانات التي جعلها لنا ولمعايشنا وحلنا وترحالنا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾"النحل:66"، وقال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾"النحل:7"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾"النحل:14"، وهكذا أمرنا سبحانه وتعالى بالتفكر في كل شيءٍ نلمسه في حياتنا وذلك مما امتن به علينا المولى سبحانه لكي نتوصل لحسن شكره وعبادته وتقديسه وتوحيده قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾"إبراهيم:7"، وهذا في الكتاب العزيز والسنة المطهرة تكاد لا تخلوا منه آية ولا حديث، فآيات القرآن

6236 آية منها خمسمائة آية في الأحكام على وفق ما قاله ابن الجزري والباقي في العبر والتفكر والقصص والتوحيد.

ولكن ما نريده في هذا المقام هو المكانة التي يستقل بها العقل في الاستنباط أحياناً ومتى يكون واجب العقل هو البحث في معرفة المراد من الدليل، ومتى يجب على العقل التسليم للدليل مطلقاً والانقياد له، ومما لا شك فيه أن التشريع الإسلامي كبقية الشرائع أعطى للعقل مجالاً واسعاً من أجل فهم المراد من الآيات والأحاديث الشريفة ولكن ظهرت بعض الفرق فبالغت في استعمال العقل حتى خرجت به عن المألوف فأولت كل شيء حتى إنها أنكرت الرؤية في الآخرة وسُمُّوا بالمعطلة وهناك من الفرق من أهملت العقل إهمالاً شبه مطلق فوقعت في التشبيه والتجسيم في صفات الله وكذلك حملت غالب الأدلة في الفروع على ظاهرها فأباحت دماء المؤمنين وأموالهم وسبي نسائهم حتى إنهم قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك الفهم السقيم وهؤلاء سُمُّوا بالمشبهة والمجسمة، وهناك فرق كثيرة بالغت في الغلو إما إهمالاً للعقل وإما إفراطاً في استعماله، وأما أهل الحق الذين هم أهله على معنى الحقيقة والبيان وليس على معنى الادعاء والخذلان فهم بين طرفي نقيض من كلتا الفرقتين السابقتين فلم يعطلوا ولم يشبهوا بل سلموا وفوضوا أحياناً وأولوا أحياناً أخرى وفق ما يليق بالتنزيه في العقائد مستمدين ذلك مما جاء في الكتاب والسنة وفهم الصحابة، أما في الأحكام فقد توقفوا مع الدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة والمعبر عنه والمعبر عنه بصريح اللفظ صريح المعنى كتاباً وسنةً وما هو مجمع عليه وفقاً للقواعد الأصولية والفقهية والمصطلحات الحديثية وغيرها من المصطلحات التي تؤدي بمجموعها إلى ما هو أقرب إلى الصواب كآيات المواريث

والصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج وغيرها من الأحكام، أما التسليم المطلق من غير إعمالٍ للعقل فيه فيكون العمل به متعين في كل ما كان من قبيل الغيبيات والسمعيات كالجنة والنار والحشر والبعث وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه ولا بوجهٍ من الوجوه إلا الانقياد والتسليم لأن ذلك خارج عن حد التصور.

ولكن تبقى هناك جزئية مهمة لا يمكن أن نتوصل بها إلى فهم المراد من الدليل أو النص إلا بإعمال العقل، والعقل فقط دون سواه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾"محمد:24" فهذه الآية حجة على كل من أنكر إعمال العقل في الاستنباط لا سيما في مثل قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾"إبراهيم:10" هذه الآية هي من قبيل الاستفهام الإنكاري، وفيها أنه لا بد من إثبات ذاتٍ موجودٍ ولكنه ليس بجرم لأن الجرم له طول وعرض ويأخذ مقدار حجمه من الفراغ وكذلك ليس بجوهر لأن الجواهر يعتريها التغير وإذا ما حلت بغيرها تسمى أعراضاً فلزم ألا يكون عرضاً وعليه نكون أثبتنا موجوداً ونزهناهُ عن الكيف وجوباً عقلياً، وهو مأخوذٌ من التأملِ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾"الشورى: 11"، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾"مريم:65" وهذا من قبيل المحكم الذي يردُ إليه كل متشابه حتى لا نقع في التناقض من تشبيهٍ أحياناً وتعطيلٍ أحياناً أخرى، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾"الأنبياء:22"، فهذا مما لا سبيل إلى فهمه إلا بإعمال العقل والذي يعبر عنه بدليل التمانع وافتراض العكس لإثبات المطلوب، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾"المؤمنون:91"، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً

﴿٧٢﴾"الإسراء:72"، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾"طه: 124-126"، فالعمى في الآيتين معناه الكفر لأن العذاب يكون بالحس والمعنى وعكسه النعيم وأما النسيان فمعناه الترك وهكذا في كل لفظٍ إذا حملناه على ظاهره يؤدي بنا إلى التناقض أو إلى معنى فاسد فلا بد من إعمال العقل فيه وفق الضوابط المقررة للوصول إلى المعنى المقصود، وكذلك حديث (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً)"رواه مسلم"، وجاء في حديث آخر عند الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه: (أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً) قالت السيدة عائشة: "فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة" فهذه الآيات والأحاديث ومثيلاتها يَلزم تأويلها بإعمال العقل ضمن حدوده المعتبرة شرعاً لأنه لا يمكن تصورها بغير ذلك التأويل لأن القاعدة العامة تقول "إن الحكم على شيء فرعٌ من تصوره" وبهذا يتضح لنا لزوم إعمال العقل في فهم التشريع، والمدار والعبرة على ثبوت الدليل ولو مرة واحدة من غير تكرار، أما الآيات والأحاديث التي تقبل التأويل والتسليم والتفويض مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾"طه:5"، وغيرها من الآيات، وكذلك مثل حديث أرواح الشهداء (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ)"رواه مسلم"، والتي يجوز فيها كلا

الوجهين أحدهما التأويل الذي يليق بالتنزيه مثل قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾"القلم:42"، فقال: يكشف عن شدَّة، فأوَّل الساق بالشدة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره، ثانيهما التسليم مع التفويض كما بينه الإمام الشافعي حيث قال: "آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله" "رواه ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد"، فهذا كله يصح فيه كلا الوجهين وقد ثبت التأويل والتسليم عن السلف والخلف وإن كان غلب على السلف التسليم وغلب على الخلف التأويل وذلك وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية من كلا الوجهين، وعليه لا يجوز لأحدٍ أن يلزم أحداً بالتمسك بأحد الوجهين وإلغاء الآخر لأن كليهما صحيح ثابت كما بيناه.

ثالثاً: الحكم العقلي:

وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير تكرار ولا وضع واضع، مثل: معرفة الحساب والفيزياء والكيمياء وغيرها من النظريات فإن كل ذلك يعرف من خلال العقل.

وينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام: الواجب والمستحيل والجائز، وكل قسم منها ينقسم إلى ضروري ونظري:

أَولاً: الواجب العقلي الضروري: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه بالضرورة؛ لأنه لا يحتاج إلى نظر وبحث وتفكر وتأمل ولا يقبل الإنتفاء في ذاته، ومثاله: كون الواحد نصف الإثنين، والتحيز للجرم وهو أخذ مقدار حجمه من الفراغ، ووجود العالم.

- **الواجب العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه، ولكن لا يعرف إلا بعد النظر والبحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد ربع عشر الأربعين، وكون العالم حادثاً، وكون الله تعالى موجوداً.

ثانياً: **الـمستحيل العقلي الضروري**: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده بالضرورة، ولا يحتاج إلى النظر والبحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد نصف الثلاثة، واجتماع الحركة والسكون في محل واحد، وعدم وجود العالم.

- **الـمستحيل العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، ولكن لا يعرف إلا بعد البحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد سدس الإثنى عشر فإن استحالته تحتاج إلى بـحث وتأمل، وكذلك وجود شريك لله تعالى، وكون العالم قديم.

ثالثاً: **الجائز العقلي الضروري**: ويسمى بالـممكن، وهو ما يقبل العقل ثبوته تارة وعدمه تارة أخرى، من غير بحث وتأمل وتفكر، ومثاله: الحركة والسكون في الأجسام، وكذا الصحة والمرض ووجودنا الآن وفناؤنا فيما بعد، فكله مشاهد بالحس والمعنى ضرورة.

- **الجائز العقلي النظري**: وهو ما يقبل العقل ثبوته بعد البحث والتأمل والتدبر والتفكر، ومثاله: جواز إدخال الكافر الجنة وإدخال المؤمن الطائع النار، فإن العقل قد ينكر جواز هذا ابتداءً بل ويتوهمه مستحيلاً، ولكن بعد النظر في أن الأفعال كلها بالنسبة إليه تعالى سواء لا نفع له في طاعة، ولا ضرر ولا نقص يلحقه في معصية كفر؛ لأن الأصل في الأشياء أن المالك يتصرف في ملكه، وأن كل مخلوق ملك خالقه، يصرفه كيف شاء، فله تعالى أن يجعل المعصية علامة لدخول الجنة، وله كذلك أن يجعل الطاعة علامة لدخول النار، وهذا كله جائز عقلاً؛ لأنه من قبيل

تصرف المالك فيما يملك، ولا يقال فيه ظلمٌ؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير وجه حق، ولكن المالك امتن وتفضل بأن جعل الطاعة مع الإيمان علامة لدخول أهل الجنة الجنة، وبمحض عدله أن جعل الكفر علامة لخلود أهل النار في النار، وببالغ حكمته أن جعل المعصية دون الكفر علامة على استحقاق العذاب من غير وجوب، لأنه سبحانه وتعالى فاعل بالإختيار، والمختار له أن يعذب المستحق بمحض العدل وله أن يغفر عن مستحق العذاب بمحض الفضل، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾"القصص:68"، وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾"الأنبياء:23"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾"النساء:48".

تنبيه: قد يُعرض للجائز الوجوب لإخبار الشرع بوجوبه فيسمى واجباً عرضياً، أو الإستحالة لإخبار الشرع بعدم وقوعه ويسمى المستحيل العرضي.

- **الواجب العرضي**: هو كل ما يستوي طرفي وجوده وعدمه عقلاً، مثل البقاء والفناء، وهكذا في الباقي فيعترضه عارض فيرجح كفة وجوب البقاء على كفة جوازه فيسمى **واجباً عرضياً**، مثاله: الجنة والنار، فالعقل يجوز فناءهما ويجوز بقاءهما؛ لأنـهما من جملة الحوادث التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما البقاء، فالذي رجح كفة وجوب بقاءهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم بقائهما من الجواز إلى الوجوب فسمي واجباً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعي فيقلبه من الجائز إلى الواجب.

- **المستحيل العرضي**: هو كل ما يستوي طرفي عدمه ووجوده عقلاً، مثل الفناء والبقاء، وهكذا في الباقي فيعترضه عارض فيرجح كفة استحالة الفناء على كفة جوازه

فيسمى **مستحيلاً عرضياً**، مثاله: اللوح والقلم، فالعقل يجوز فناءهما ويجوز بقاءهما؛ لأنــهما من جملة المخلوقات التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما عدم الفناء، فالذي رجح كفة استحالة فنائهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم جواز فنائهما إلى الاستحالة فسمي مستحيلاً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعي فيقلبه من الجائز إلى المستحيل.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وحُكْمُنـــا العَقْـــلِيُّ قضـــيةٌ بِـــلا   وَقْـــــفٍ على عادةٍ أَوْ وَضْـــــعٍ جَـــــلا

أقســـامُ مُقْتضـــاهُ بالحَـــصْرِ تُمـــازْ   وَهِيَ الوجـــوبُ الِاسْـــتِحالةُ الجَـــوازْ

فواجـــبٌ لا يقبـــلُ النّـــفيَ بِحـــالْ   ومــــَا أَبَى الثُبـــوتَ عقـــلًا الْمُحـــالْ

وجـــائزٌ مـــا قَبِـــلَ الأَمْـــرَينِ سِـــمْ   لِلـــــضّروري وَالنّظَـــــريْ كُلٌّ قُسِـــــمْ



فَصْلٌ

أَول الواجبات

إن أول واجب على المكلف أن يعرف في حق الله تعالى الصفات التي أقيمت عليها الأدلة والبراهين القطعية من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي ثلاث عشرة صفة: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، مع وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موصوف بكل كمالٍ يليق به، منزهٌ عن كل نقص في حقه سبحانه وتعالى، وأن الله تعالى ليس محدوداً فيحد، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)، في هذا الحديث دليلٌ على أن الله تعالى متصف بصفات لا نهاية لها، ولا يعلمها إلا الله تعالى.

الأدلة النقلية على وجوب اتصافه تعالى بكل كمالٍ يليق به:

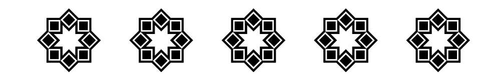
- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾"الحشر:23" ومعنى الْقُدُّوس: المنزه عن كل نقص.

- **من السُنّة المشرفة**: الحديث السابق، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: الْحَدِيثُ وَفِيه: (لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)"رواه مسلم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى موصوف بكل كمال يليق به منزه عن كل نقص في حقه.

قَال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود".

الدليل العقلي على وجوب اتصافه تعالى بكل كمال يليق به: لو لم يجب له الكمال المطلق الذي يليق بذاته وصفاته وأفعاله، لجاز أن يتصف بضدها، والإتصاف بضدها مستحيل، وما أدى إلى الـمستحيل، مستحيل، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه يجب أن يتصف بالكمال المطلق.



فصل

في إطلاق الصفة

الصفة اصطلاحاً: هي معنى وجودي قائم بالذات دال عليه.

1- الصفات النفسية: هي صفة واحدة، اصطلح على تسميتها بصفة الوجود.

2- الصفات السلبية: وسميت بالسلبية؛ لأنها تسلب من ذهن السامع عن موصوفها ما لا يليق به، واصطلح على تسميتها القدم والبقاء والغنى المطلق أو القيام بالنفس والمخالفة للحوادث والوحدانية.

3- صفات الـمعاني: وهي المعنى الوجودي القائم بالـموصوف، واصطلح على تسميتها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِـــــــــبُ للهِ الوُجـــــــــودُ والقِــــــــــدَمْ
كَـــــذَا البقَــــــاءُ والغِــــــنَى الـــــمُطْلَقُ عَـــــمْ

وخُلْفُــــــــه لِخَلْقِــــــــهِ بِــــــــلا مِثَــــــالْ
وَوَحْــــــــدَةُ الذَّاتِ وَوَصْـــــــــفٍ والْفِعَـــــــالْ

وقُــــــــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْــــــــمٌ حَيَــــــاةْ
سَــــــمْعٌ كلامٌ بَـــــــصَرٌ ذِي وَاجِبَــــــاتْ



الصفات النفسية

وهي صفة واحدة تسمى بصفة الوجود

اصطِلاحاً: هي صفة أزلية ثبوتية، يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى- دالة على نفس الذات دون معنىً زائدٍ عليها، أي أن ذات الله موجود، ولا يعقل الذات إلا بها.

وهي واجبة لذاته تعالى من غير سبب ولا علة، أي أن وجوده سبحانه وتعالى أزلي أبدي مستمد من ذاته، لم يسبقه شيء من الأشياء، وأما وجود غيره فهو بإيجاده سبحانه وتعالى.

وهي أول صفة تجب في حقه سبحانه وتعالى في التعقل الذهني عندنا؛ لأنه لا يمكن إثبات بقية الصفات والواجبات إلا بعد ثبوتها، فهو سبحانه وتعالى ذات موصوف بصفات، ويجب اعتقاد أن وجوده سبحانه وتعالى ليس له بداية ولا نهاية، ولا سبب ولا علة، فهو موجود وما سواه مُوجَد.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوجود في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ "إبراهيم:10" وهو من قبيل الاستفهام الإنكاري على كل من شك بوجوده تعالى.
- **من السنة المشرفة**: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ)"رواه البخاري".
- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على إطلاق لفظ (الموجود) على ذاته سبحانه وتعالى.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً، قادراً عالماً، مُريداً سميعاً، بصيراً، مُتكلماً على ما وصف به نفسه في كتابه وأخبرهم به رسوله، ودلت عليه أفعاله" اهـ، وقال أيضاً: "لـما أجمعوا على وصفه بأنه قديم، لا ابتداء لوجوده، كان ذلك منهم إجماعاً على أنه موجود؛ لأنه لا يصح وصفه بالقدم إلا ما سبق وصفه بالوجود" اهـ.

سُئِلَ الإمام **علي بن أبي طالب عليه السلام**: بم عرفت ربك؟ فقال: "عرفته بما عرفني نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس، ولا يُشبَّهُ بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء "اهـ. (دَفْعُ شُبَهة من شبه وتمرد ونَسبَ ذلكِ إلى السيد الجليلِ الإمام أحمد، للإمام تقي الدين الحصني الشافعي)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (بينما رجلٌ مُسْتَلْقٍ ينظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لك خالقاً ورباً، اللَّهُمَّ اغفر لي، فنظر الله إليه، فغفر له)"أخرجه أبو الشيخ في العظمة، والديلمي في مسند الفردوس"

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: " نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته "اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِـــبُ للهِ **الوُجــودُ** والقِـــدَمْ كَـذَا البقَـاءُ والغِـنَى المـُطلَقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الوجود:

العالم حادث، ودليل حدوثه الحس والمشاهدة، وهو أجرام وأعراض، والأعراض حالة في الأجرام، وكل ذلك مُتغير بالحس والمشاهدة أيضاً، وكل مُتغير حادث، وكل حادث لا بد له من مُحدث، فلزم أن يكون هناك مُحْدِث لا يشبه المحدثات، أثر في إيجادها على عدمها وهو الله.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وُجُـــــودُهُ لَهُ دَلِيـــــلٌ قَـــــاطِعْ		حَاجَـــــةُ كُلِّ مُحْـــــدَثٍ للصَّـــــانِعْ

لَـــوْ حَـــدَثَتْ بِنَفْسِـــهَا الأَكْـــوانُ		لاجْتَمَـــعَ التَّسَـــاوِي والرُّجْحَـــانُ

وَذَا مُحَـــالٌ وحُـــدُوثُ العَـــالَمِ		مِـــنْ حَـــدَثِ الأَعْـــرَاضِ مَـــعْ تَـــلاَزُمِ



الصفات السلبية

الصفات السلبية: سُمِيت سلبية؛ لأنها تَسْلُبُ من ذهن السامع ما لا يليق بالله تعالى من صفات النقص، وَتُبْقِي في ذهنه ما يليق بذاته العلي من صفات الكمال.

وهي خمس صفات (**القدم، البقاء، القيام بالنفس أو الغنى المطلق، المخالفة للحوادث، الوحدانية**).

أولاً: صفة "الـــقـــدم"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى –، تسلب عنه سبحانه وتعالى الحدوث، وحقيقة صفة القدم: انتفاء العدم السابق لوجوده سبحانه وتعالى.

ويجب له تعالى القدم بمعنى الأزلية، لا بمعنى تقادم العهد والزمن؛ لأن الزمان مشتق من التغير، والله تعالى لا يجوز عليه حدوث التغيرات؛ لأن التغير دليل النقص والحدوث، فاستحال أن يكون وجوده تعالى مقيداً بالزمان، وعلى هذا يجب علينا أن نعتقد أنه تعالى قديم قدماً ذاتياً؛ لأن **القديم** إذا أطلق على المولى سبحانه وتعالى كان المعنى **أنه لا بداية لوجوده**، وكونه لا بداية لوجوده فهو أزلي الوجود، أما إذا أطلق لفظ القديم أو الأزلي على المخلوق كان المراد تقادم العهد والزمن، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾"يس:39"، وقال الفيومي في المصباح المنير: "الهرمان بناءان أزليان في مصر" فالقدم والأزلية هنا بمعنى الشيء الذي مضى عليه زمن قديم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة القدم في حق الله سبحانه وتعالى:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم:** قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾"الحديد:3" أي أولٌ بِلا ابتداء.
- **من السنة المشرفة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَنْتَ **الأَوّلُ** لَيْسَ قَبْلَكَ شَيء)"رواه الترمذي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد"، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَعُوْذُ بِاللهِ الْعَظيم وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم وسُلْطَانِه الْقَدِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم)"رواه أبوداود"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرفُوعاً قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)، فَذَكَرَهَا وَعَدَّ مِنْهَا: (**الْقَدِيمُ**)"رواه ابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات".
- **الإجماع:** وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالقدم، فلم يسبق ذاته العلي العدم.

قال الإمام المحدث مُرتَضَى الزبيدي رحمه الله فِي كتاب (إتحاف السادة المتقين) ما نصه: "قد أجمعت الأمة على وصفه سبحانه وتعالى بالقديم"اهـ.

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما نصه: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَبْدُ مِمَّا" (رواه أبو نعيم في الحلية)، **وقال حفيده زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام** في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده "اهـ، **وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وصفاته تعالى في الأزل غيرُ مُحدثة ولا مخلوقة"اهـ، **وقال الإمام أحمد بن سلامة الطحاوي** رحمه الله في عَقِيدَتِهِ الْمُسَمّاة (بَيَانُ عقيدة أَهْل السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ) ما نصه: "قديم بلا ابتداء"اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِـــــبُ للهِ الوُجـــــودُ والقِـــــدَمْ   كَـذَا البقَـاءُ والغِـنَى المـُطلَقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة القدم:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى قديماً لكان حادثاً، جائز الوجود والعدم؛ ولو كان جائز الوجود والعدم لما صح أن يتصف بالقدم، وعدم اتصافه بالقدم مستحيل، لما قام عليه دليل الوجود من أنه سبحانه لا يستمد وجوده من غيره، وكونه لا يستمد وجوده من غيره، لزم أن يكون قديماً بلا ابتداء، فالابتداء عليه مستحيل، وما أدى إلى المستحيل، مستحيل جزماً، فلزم العكس وثبت المطلوب من أنه سبحانه وتعالى قديم ليس لوجوده بداية لا كبقية الموجودات.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَـكُ **الْقِـدَمُ** وَصْـفَه لَـزِمْ   حُدُوثُـــهُ دَوْرٌ تَسَلْسُـــلٌ حُـــتِمْ

ثانياً: صفة "البـقـاء"

اصطلاحَاً: هي صفة أزلية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى-، وحقيقة صفة البقاء: سلب العدم والفناء اللاحق للذات والصفات، فلا آخر لوجوده؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وبقاؤه تعالى ذاتي ليس بإيجاب غيره له، أما بقاء غيره فليس بقاء ذاتياً؛ إنما هو بمشيئته سبحانه وتعالى، مثل: اللوح، والقلم، والجنة، والنار، والعرش، والكرسي، والروح، وَعَجْبُ الذَنَب.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الْبَقَاءِ في حق الله سبحانه وتعالى:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم:** قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾"الرحمن:26-27" أي ذاته، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ "الحديد:3"، أي أولٌ بلا إبتداء وآخرٌ بلا انتهاء، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾"طه:73"

- **من السنة المشرفة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) فَذَكَرَهَا وَعَدَّ مِنْهَا: (الْبَاقِي)"رواه الترمذي"، وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنْتَ **الْآخِرُ** لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ)"رواه الترمذي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد".

- **الإجماع:** وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالبقاء.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "وأجمع أصحابنا أن بقاءه صفة له أزلية قائمة به"اهـ.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "دَائِمٌ بِلاَ انْتِهَاءٍ، لا يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ "اهـ.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

يَجِـــبُ للهِ الوُجـــودُ والقِـــدَمْ كَـذَا **البقَـاءُ** والغِـنَى المُطْلَـقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة البقاء:

أنه لو جاز أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم، كيف وقد ثبت وجوب قدمه سبحانه وتعالى، وما ثبت قدمه استحال عدمه قطعاً، وما كان كذلك يجب أن يكون باقياً.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

لَــوْ أَمْكــنَ الْفَنــاءُ لَانْــتَفى الْقِــدَمْ   لَــو مَاثــلَ الْخَلْــقَ حُدُوثُــهُ انْحَــتَمْ

ثالثاً: صفة "المخالفة للحوادث"

اصطلاحَاً: هي صفة أزلية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى مشابهته لمخلوقاته في الذات والصفات والأفعال، فهو سبحانه وتعالى ليس بجرمٍ ولا عرضٍ ولا غير ذلك مما تتصف به المخلوقات، لَا يُشْبِهُ شيئاً من الأشياء ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ من الأَشياء. فليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات.

الأدلة النقلية على وجوب صفة المخالفة للحوادث في حق الله سبحانه وتعالى:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم**: قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ "الشورى:11"، وَكَلِمَةُ ﴿شَيۡءٞ﴾ جاءت منكرة غير معرفة، والنكرة إذا جاءت في سياق النفي تعم فتكون جنسية استغراقية، أي ليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات، وقال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾"مريم:65"، والسَمِّي: هو الشبيه، وهو هنا من قبيل الاستفهام الإنكاري، وهاتين الآيتين الكريمتين محكمتين يُحمل عليهما كل ما هو متشابه.

من السنة المشرفة: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾"الإخلاص:1-2"، فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ، ﴿وَلَمْ

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾"الإخلاص:4"، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. "رواه الترمذي".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على مخالفته سبحانه وتعالى لجميع الحوادث.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أنه تعالى غير مُشبه به من العالم " اه.

قال **زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام** في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "تَعَالَيْتَ عَنِ الأَشْبَاهِ وَالأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الأَمْثَالِ وَالأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ" اه، وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "لَا يُشبِهُ شَيْئاً مِنْ الْأَشْيَاء مِنْ خَلقِهِ وَلَا يُشبههُ شَيْء مِنْ خَلقِهِ"اه، وقال رحمه الله في نفس الكتاب: "وهو شىءٌ لا كالأشياءِ، ومعنى الشىءِ إثباتُهُ بلا جسمٍ ولا جوهرٍ ولا عَرَضٍ، ولا حدّ لهُ، ولا ضدّ لهُ، ولا ندّ له، ولا مِثلَ لهُ"اه، ونُقِلَ عن **ذي النون المصري** رحمه الله أنه قال: "مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك"اه، وَنَقلَ مِثْلَه البيهقيُّ عن **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله في مناقبه، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنىً مِنْ مَعاني البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّار انْزَجرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْس كَالبَشَرِ"اه.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي رحمه الله:

وَخُلْفُــــهُ لِخَلْقِــــهِ بِــــلا مِثَــــالْ وَوَحْــــدَةُ الذَّاتِ ووصْــــفٍ والْفِعَــــالْ

الدليل العقلي على وجوب صفة المخالفة للحوادث:

أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله، لكان تعالى مماثلاً لها، ولو ماثلها لكان حادثاً، وكونه تعالى حادثاً مستحيل، لثبوت قدمه بالدليل النقلي والعقلي، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلزم العكس وثبت المطلوب من كونه سبحانه وتعالى مخالفاً للحوادث.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَـوْ مَاثَـلَ الْخَلْـقَ حُدُوثُـهُ انْحَـتَمْ لَـوْ أَمْكَـنَ الفَنَـاءُ لانْـتَفَى الْقِـدَمْ

أقوال العلماء في مسألة الْحَدَّ

1- قال **إمام التوحيد ومصباح التفريد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام** ما نصه: " كان الله ولا مكان وهو الآن على ما كان " اهـ. (أخرجه البغدادي في الفرق بين الفرق)

2- وقال **عليه السلام** أيضاً ما نصه: " لم يكن ربنا جل وعز فكان، وإنما يقال متى كان لشيء لم يكن فكان، هو كائن بلا كينونة، كائن لم يزل ليس له قبل فهو القبل وقبل الغاية، انقطعت الغايات عنده فهو غاية كل غاية" (رواه الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بْنُ سَلَامَةَ القضاعي المصري الشافعي في كتابه دستور معالم الحكم ومأثُور مكارم الشيم)

3- وقال **الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام** ما نصه: "أَنْتَ اللهُ الذي لَا يَحوِيكَ مَكَان"اهـ. (أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين).

4- وقال **عليه السلام** أيضاً ما نصه: "ليس له حدٌّ في مكان، ولا غاية في زمان، لم يزل ولا يزول ولن يزال كذلك أَبداً هو الإله الحي القيوم، الدائم القادر الحكيم"اهـ. (الصحيفة السجادية)

5- وقال **الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام** ما نصه: "من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً "اهـ.(أخرجه القشيري في رسالته).

6- وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأبسط) ما نصه: "قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ فقال -أي أبو حنيفة-: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء"اهـ.

7- وقال **الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي** رحمه الله ما نصه: "إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته "اهـ. (أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين).

8- وقال **الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي** رحمه الله في رسالته (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة) ما نصه: "وَتَعَالَى- أيّ اللهُ- عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحويهِ الْجِهَاتُ الْستُّ كَسَائرِ الْمُبتدِعَاتِ "اهـ.

9- وقال **الإمام أبو الحسن الأشعري** رحمه الله ما نصه: " كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه "اهـ. (نقله الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري).

10-وقال **الإمام أبو منصور الماتريدي** رحمه الله في (كتاب التوحيد) ما نصه: " إن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائزٌ ارتفاع الأمكنة وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جل عن التغير والزوال والاستحالة "اهـ.

11-وقال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين): "وأجمعوا- أهل السنة والجماعة- على أنه لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان"اهـ.

رابعاً: صفة "القيام بالنفس أو الغنى المطلق"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى الافتقار إلى المحل والمخصص، فهو سبحانه وتعالى قائم بنفسه مستغن عن كل ما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه الذي تصمد المخلوقات إليه ولا يصمد لأحد سبحانه.

والمراد بالمحل: ذات يقوم بها كما تقوم الصفة بالموصوف.

والمراد بالمخصص: الموجد الذي يخصصه بالوجود دون العدم.

وكذلك يتنزه الله سبحانه وتعالى عن الأغراض في أفعاله وأحكامه إذ لا يحتاج إلى جلب منفعة ولا دفع مضرة لأنه الغني عن كل ما سواه.

واعلم أن اتصافه تعالى بالغنى المطلق يوجب له تعالى التنزه عن الأسباب والأغراض في أفعاله وأحكامه؛ إلا أنها لا تخلو من حكمة علمناها أم لم نعلمها تفضلاً منه وإحساناً؛ لأنه لا منفعة له في طاعة العباد كما لا ضرر يلحقه في معصيتهم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة القيام بالنفس أو الغنى المطلق في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الْكريم**: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾"فاطر:15"، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾"البقرة:255"
- **من السنة المشرفة**: عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا **أَنْتَ الْغَنِيُّ** وَنَحْنُ **الْفُقَرَاءُ**)"رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهم".
- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى قائم بنفسه مستغن عمن سواه.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أصحابنا على أن صانع العالم قائم بذاته غير مفتقر إلى محل، وأجمعوا على أنه موجود لذاته "اهـ.

قال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ انْتِفَاعٌ "(رواه أبو نعيم في الحلية)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أَبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق "اهـ، وقال **الإمام ابن عطاء الله السكندري** رحمه الله في كتاب (الحكم العطائية) ما نصه: "أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنياً عني؟ "اهـ.

الدليل العقلي على وجوب صفة القيام بِالنفس أو الغِنَى المـُطلق:

أولاً: أنه لو كان مفتقراً إلى محل لكان متحيزاً، والتحيز من صفات الحدوث كما مر معنا، كيف وقد ثبت أنه مخالف للحوادث في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فبطل كونه تعالى متحيزاً في محل، وثبت له تعالى الغنى المطلق.

ثانياً: لو كان مفتقراً لمخصص يخصصه بصفة دون أخرى لكان حادثاً كيف وقد ثبت أنه قديم بلا ابتداء مستغنن عن كل ما سواه مفتقرٌ إليه كل ما عداه.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَجِـبْ وَصْـفُ الْغِـنَى لَهُ افْتَقَـرْ لـوْ لـم يكـنْ بواحِـدٍ لَمَـا قَـدَرْ

خامساً: صفة "الوَحْدانية"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى، تسلب عنه سبحانه وتعالى التعدد في الذات والصفات والأفعال، فهو واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله، فهو ذات موصوف بصفات، لا شريك ولا ند ولا شبيه ولا شيء يضارعه بوجه من الوجوه.

أما وَحْدَةُ الذات: ومعناه: أن ذات الله ليس مركباً من أجزاء، وليس كذاته ذات، قال ذو النون المصري وأحمد بن حنبل "مهما تصورت في بالك فالله بخلاف ذلك".

ووَحْدَةُ الصفات: ومعناه: أنه ليس لله تعالى صفتان فأكثر، وليس كصفاته صفات.

ووَحْدَةُ الأفعال: ومعناه: ليس لأحد فعل كفعله لا في الإيجاد ولا في الإعدام، فهو فاعل بالإختيار.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوَحْدانية في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾"البقرة:163"، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾"سورة الإخلاص"، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾"القصص:68".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ **اللَّهَ وِتْرٌ** يُحِبُّ الْوِتْرَ)"رواه البخاري ومسلم وغيرهما"، وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾؛ لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يَمُوتُ وَلا يُورَثُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)"رواه الحاكم في المستدرك"، وَعَنْ حُذيفةَ بنِ الْيمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ)"رواه الحاكم في المستدرك والبخاري في خلق أفعال العباد".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، فليس كذاته ذات، وليس كصفاته صفات، وليس كفعله فعل، فهو سبحانه وتعالى الفاعل المطلق.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "واتفقت الأمة على وحدانيته تعالى "، وقال أيضاً: "وأجمعوا أن صفاته تعالى لا تشبه صفات المـُحْدَثين، كما أن نفسه لا يشبه نفس المخلوقين "، وقال أيضاً: "وأجمعوا على أن أمره تعالى وقوله غير محدث ولا مخلوق" اهـ.

قال **زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام** في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "خالق لا نظير له، وأحد لا ند له، وواحد لا ضد له، وصمد لا كفو له، وإله لا ثاني معه، وفاطر لا شريك له "اهـ. وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له "اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثلُهُ، ولا شيء يُعْجِزُهُ، ولا إله غيره "اهـ، وقال **الإمام القشيري** رحمه الله في كتاب (لمع في الاعتقاد) ما نصه: "والله قديم لا ابتداء لوجوده، واحد لا قسيم له في ذاته، ولا شبيه له في حده وصفاته ونفسه، ولا شريك له في معقولاته"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وخُلْفُـــهُ لِخَلْقِـــهِ بِـــلا مِثَـــالْ وَوَحْـــدَةُ الذَّاتِ ووصْـــفٍ والْفِعَـــالْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الوَحْدانية:

أنه لو لم يكن واحداً في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، لزم أن لا يوجد شيء من هذا العالم للزوم عجزه، لكن عدم وجود العالم مستحيل، وذلك بالمشاهدة والحس.

والدليل على استحالة اتصافه بالعجز: أنه لو كان معه شريك في الألوهية، للزم عجزهما سواء اتفقا في الخلق والتدبير أو اختلفا، وهو أن يمنع كل منهما وقوع مراد الآخر، فلا يمكن أن يوجدا العالم معاً لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد، فسيكتفي كل واحد منهما بإيجاد جزء معين من العالم، فإذا ما أوجد الأول هذا الجزء، منع الثاني من إيجاده لذلك الجزء، وبهذا يصبح الثاني عاجزاً، وكونه عاجزاً فلا يمتنع أن يصبح الأول عاجزاً، والثاني قادراً، وهذا محالٌ وما أدى إلى المحال محال، هذا إن اتفقا.

أما إن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه، فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معاً؛ لأنه يترتب عليه اجتماع النقيضين، فإن غلب الأول الثاني فهذا من صفات الحدوث، كون الغالب لا يمتنع أن يكون مغلوباً، وهذا في حقه محال وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، وهو المعبر عنه بدليل التمانع، وقد أشار إليه القرآن الكريم

في قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾"الأنبياء:22"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾"المؤمنون:91".

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَوْ لَمْ يَجِبْ وَصْفُ الْغِنَى لَهُ افْتَقَـرْ **لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ بِوَاحِـدٍ لَمَـا قَـدَرْ**

تنبيه: اعلم أن الله تعالى هو خالق العباد وخالق أفعالهم، فليس للعباد تأثير في وجودهم ولا في أفعالهم، وقد أجمع أهل الفرق الإسلامية على أنه تعالى خالق للعباد، وأما خلق الله تعالى لأفعالهم، فاعلم أن الأفعال:

- **إما أن تكون اضطرارية**؛ كالعطاس والرعشة فلا خلاف أيضاً فيها أنها مخلوقة لله، وليس للعبد دخل فيها.
- **وإما أن تكون إختيارية**؛ كالمشي والقيام والكتابة فقد اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب:

- **الأول**: أن الأفعال الإختيارية كالاضطرارية مخلوقة لله، وليس للعبد دخل فيها فهو مجبور عليها أي مقهور، فلا تأثير ولا كسب، وهو مذهب باطل لما فيه هدم لقاعدة التكليف والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾"البقرة:286".

- **الثاني**: أن الأفعال الإختيارية مخلوقة من العبد بقدرة أودعها الله فيه، ولا تأثير لقدرة الله فيها، وهو مذهب باطل، لما ثبت بالدليل القاطع أنه تعالى الخالق ولا خالق غيره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾"الزمر:62"، وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ

ٱللَّهِ﴾"فاطر:3"، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾"الصافات:96"، وَلِحَديثِ حُذَيْفَةَ بنُ الْيمَان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ)"رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك وغيرهما"، والخالق لا بد أن يكون عالماً بتفاصيل ما يخلقه حتى يُوجده على الوجه الذي سيكون عليه، فهل تعلم تفاصيل حركاتك؟ وأنفاسك؟ وأقوالك؟ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾"الملك:14".

- **الثالث**: وهو الصواب أن الأفعال الإختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد إلا الكسب، فليس مجبوراً، ولا خالقاً لها، فالفعل الاختياري يُنسب إلى الله خلقاً وللعبد كسباً، ويصح نسبة شيء واحد لفاعلين مختلفين كالدار المستأجرة تنسب لمالكها بجهة الملك ولمستأجرها بجهة الإنتفاع، والكتابة تنسب للقلم وللكاتب، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾"البقرة:286".

واعلم أنه كما لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله الاختيارية، كذلك لا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها؛ فلا تأثير للنار في الحرق، ولا للسكين في القطع، ولا للأكل في الشبع، وهكذا، ولكن الله تعالى أجرى العادة اختياراً منه بأن يخلق المسببات مع وجود أسبابها لا بأسبابها، أي معها لا بها، فلا يلزم التلازم بينهما فلا يمتنع أن يوجد السبب ولا يوجد المسبب كما هو معلوم في خوارق العادات كالمعجزة، والكرامة، وغيرها.

قال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: " أَيُّهَا السائل ألك مع الله جل وعز مشيئة، أو فوق الله مشيئة، أو دون ذلك مشيئة، فإن زعمت أن لك دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة فقد زعمت أن قوتك ومشيئتك غالبتان على قوة الله ومشيئته، وإن زعمت أن لك مع الله عز وجل مشيئة فقد زعمت أن لك مع الله شركا في مشيئته "اهـ. (رواه الإمام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بْنُ سَلَامَةَ القضاعي المصري الشافعي في كتابه دستور معالم الحكم ومأثُور مكارم الشيم)، وقال **سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام**: "من لم يؤمن بقضاء الله فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراهاً، ولا يعصى بغلبة؛ لأنه تعالى مالك لما ملكهم، وقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم" اهـ. "رواه ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، وقال **علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام**: وقد سئل "أيكلف الله العباد بما لا يطيقون؟ قال: هو أعدل من ذلك، قيل: أفيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك "اهـ. "رفع الحاجب عن مختصر بن الحاجب"



صفات المعاني

(القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام)

صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادراً، وهي سبع صفات متفق عليها: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام، وسميت بالمعاني؛ لأن كل صفة لها آثار في الخارج تدل عليها، كالمقدورات تدل على القدرة، والإرادات تدل على أنه مريد والمعلومات تدل على أنه عالم وهكذا في الباقي.

قال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: " أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة "اهـ، وقال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أصحابنا أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية "اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

**وقُـــدْرَةٌ إرادةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ		سَـــمْعٌ كَلَامٌ بَـــصَرٌ ذِيْ وَاجِبَـــاتْ**



أولاً: صفة "الْقُـدْرَة"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

فقولنا أزلية: خرجت به صفات الحوادث التي يتصورها العقل كالحركة والسكون والتي لا يتصورها العقل كعذاب القبر ونعيمه.

وقولنا قائمة بذاته تعالى: لأن صفات المعاني لها أثر في الخارج يدل عليها كما مر آنفاً، وذلك خلافاً للصفات السلبية والنفسية.

وقولنا يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه: خرج به الواجب والمستحيل، فالقدرة تتعلق بجميع الممكنات تعلق إيجاد وإعدام، ولا يعزب ممكن عنها، سواء كان جليلاً أو حقيراً، فهي متساوية عند الله تعالى، في الإيجاد والإعدام لا يعجزه عنها شيء.

أما تعلقها بالواجب إيجاداً وبالمستحيل إعداماً يلزم منه تحصيل الحاصل وهو باطلٌ في حقه سبحانه وتعالى، وأما تعلقها بالواجب لإعدامه، وبالمستحيل لإيجاده يلزم منه قلب الحقائق، فالواجب لا يمكن أن يفنى، والمستحيل لا يقبل الوجود.

وقولنا على وفق الإرادة: فما خصصه الله بإرادته أوجده بقدرته.

وللقدرة تعلقان:

- **صلوحي قديم**: وهو صلاحيتها في الأزل لإيجاد الممكنات وإعدامها فيما لا يزل.
- **وتنجيزي حادث**: وهو إيجاد الممكنات وإعدامها بالفعل، وهو ما يعبر عنه "بآثار القدرة".

الأدلة النقلية على وجوب صفة القدرة في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾"الملك:1"، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾"يس:81".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: (إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى **كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)"رواه الشيخان"، ومن حديث دعاء صلاة الإستخارة: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ **وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ** وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ **تَقْدِرُ** وَلَا أَقْدِرُ)"رواه البخاري وأبوداود وأحمد وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالقدرة المطلقة.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين): "أجمع أصحابنا أهل الحق على أن لله تعالى قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات"اه.

وقال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "وقادر إذ لا مقدور، ورب إذ لا مربوب، ومصور إذ لا مصور "رواه الامام الحافظ قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بْنُ سَلَامَةَ القضاعي المصري الشافعي في كتابه دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم"اه، وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "لم يزل قادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل "اه، وقال **الإمام القشيري** رحمه الله في كتاب (لمع في

الاعتقاد) ما نصه: "الأجسام والجواهر والأعراض والأكوان والطعوم والألوان والأرايح والحركات والسكون والاجتماع والافتراق والنور والظلام، جميعها حاصلة بقدرته، وهو سبحانه عز عن الاتصاف بشيء منها "اه.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُــــدرةٌ إرادةٌ عِلْــــمٌ حَيَـــاةْ ... سَـــمْعٌ كَلامٌ بَـــصَرٌ ذِي واجبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة القدرة:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى قادراً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبت كونه سبحانه وتعالى متصفاً بالقدرة.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيًّـا مُرِيـدًا عَالِمَـا ... **وقَـــادِراً لَمَـــا رَأَيْـــتَ عَالَمَـــا**

ثانياً: صفة "الْإِرَادَةُ أو المشيئة "

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات المتقابلات الست على وفق العلم.

والذي يجوز على الممكن ستة أمور، تقابلها ستة أخرى وهي:

1- **الوجود** ويقابله: العدم.

2- **والصفة** المخصوصة: كالبقاء، ويقابلها: سائر الصفات.

3- **والزمان** المخصوص: كزمن ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، ويقابله: سائر الأزمنة.

4- **والمكان** المخصوص: كمكة، ويقابلها: سائر الأمكنة.

5- **والجهة** المخصوصة: كجهة المشرق، ويقابلها: سائر الجهات.

6- **والمقدار** المخصوص: كالطول، ويقابله سائر المقادير.

قال القاضي أبو الحسن علي بن عمر البغدادي المعروف بابن القصار المالكي رحمه الله:

اَلْمُمْكِنَـــاتُ الْمُتَقَـــابِلَاتُ: وُجُودُنَـــا وَالْعَـــدَمُ، الصِّـــفَاتُ
أَزْمِنَـــةٌ، أَمْكِنَـــةٌ، جِهَـــاتُ، كَـــذَا الْمَقَـــادِيرُ، رَوَى الثِّقَـــاتُ

وللإرادة تعلقان:

- **صلوحي قديم**: وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه، كتخصيصه بالوجود أو بالعدم، بالغنى أو بالفقر، وهكذا.
- **تنجيزي**: وهو تخصيص الممكن في الأزل ببعض ما يجوز عليه فيما علم الله أنه يوجد عليها.

واعلم أن الإرادة تتعلق بالممكن تعلق تخصيص، فالقدرة توجده وتعدمه على وفق الإرادة، والإرادة تخصصه ببعض ما يجوز عليه دون البعض، على وفق علم الله أنه يوجد أو لا يوجد، فهو الفاعل المختار لا يكره على شيء، والذي يدل على عموم تعلق الإرادة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾"يس:82"، ومعنى الآية أنه متى تعلقت إرادته أزلاً وقدرته حالاً بشيء برز في الحال، فهو كناية

عن سرعة إيجاده تعالى للممكن وتخصيصه ببعض ما يجوز عليه دون بعض وعدم تخلفه.

فكل حادث دخل في الوجود من جواهر وأعراض، وجد على وفق إرادته سبحانه وتعالى، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، سواء أمر به، أو نهى عنه؛ فالإرادة مغايرة للأمر، وهي على أربع مراتب:

- يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من المؤمن.
- يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من الكافر.
- لا يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من الكافر.
- لا يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من المؤمن.

وكل ما سبق لا يخلو من حكمة له سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾"الأنبياء:23".

واعلم أن مشيئته تعالى لا تتغير؛ لأن التغير دليل الحدوث، والحدوث مستحيل على الله لما مر معنا سابقاً، فكل ما شاء الله في الأزل أن يكون كان وما لم يشأ الله في الأزل أن لا يكون لا يكون، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾"الأنعام:115"، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾"هود:119"، فقد سبق في مشيئته، وعلمه القديم وحكمته، أن جعل من خلقه من يستحق الجنة، ومن يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين، ولا مبدل لقضائه.

فكان لزاماً على العبد الاستسلام وتفويض أمره لله تعالى، فهو لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ

بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَدْرِي مَا تَفْسِيرُهَا؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (لا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلا بِعَوْنِ اللَّهِ)"رواه البزار في المسند والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما ".

وقد تأتي الإرادة بمعنى المشيئة: كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾"الأنعام:111"

وقد يأتي القضاء بمعنى المشيئة: كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ "فصلت:12" فَقَضَاهُنَّ: أي أرادهن.

وقد يأتي القضاء بمعنى الأمر: كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾"الإسراء:23"، قضى: أي أمر، ويفهم ذلك من مخالفة العباد لمقتضى الآية، فالعبد لا يخالف إرادة الله تعالى إنما يخالف أمره، فليس كل العباد مؤمنين.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الإرادة في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٨﴾"القصص:68"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾"هود:107"، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾"الإنسان:30".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ سالم الفراء أن عَبْدِ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ، وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهَا، فَيَقُولُ: (قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، **مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**)"رواه أبو داود والنسائي في الكبرى والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالإرادة المطلقة.

قال **أبو سعيد المتولي الشافعي** رحمه الله في كتاب (الغُنيةُ فِي أُصُولِ الدين) ما نصه: " أجمعت الأمة على كلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن "اهـ.

وقال **الإمام البيهقي** رحمه الله في كتاب (الاعتقاد) ما نصه: "وقد روينا في حديث زيد بن ثابت، وفي حديث أبي الدرداء وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "**مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**" وهذا كلام أخذته الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذه التابعون عنهم، ولم يزل يأخذه الخلف عن السلف من غير نكير، وصار ذلك إجماعاً منهم على ذلك" اهـ.

وقال **زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام** في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عما قدمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه "اهـ.

وقال **الإمام الشافعي** رحمه الله في ديوانه ما نصه:

مـــا شِـــئْتَ كانَ وإنْ لَـــمْ أشَـــأ وما شِـئتُ إنْ لـم تَشـأْ لَـمْ يَكُـنْ
خَلَقْــتَ العِبــادَ على مــا عَلِمْــت فَـفِي العِلْـمِ يجْـري الفَـتى وَالْمُسِـنْ
على ذا مَنَنْـــتَ وهـــذا خَـــذَلتْ وذاكَ أعَنْـــتَ وذا لَـــمْ تُعِـــنْ
فَمِـــنْهُمْ شَـــقِيٌّ وَمِـــنْهُمْ سَـــعيدْ وهـــذا قبـــيحٌ وهـــذا حَسَـــنْ

وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُــــدرةٌ **إرادةٌ** عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ   سَــمْعٌ كَلامٌ بَـــصَرٌ ذِي واجبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الإرادة:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى مريداً لكان مُكرهاً، ولو كان مكرهاً لما وجد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبت كونه سبحانه وتعالى متصفاً بالإرادة.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيّـاً **مُرِيـداً** عَالِمَـا   وقَـــادِراً لَمَـــا رَأَيْـــتَ عَالَمَـــا

فصل

"القَضَاءُ وَالقَدَر"

اعلم أن مذهب أهل الحق متفقون على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة على وفق ما قدره الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾"الفرقان:2"، فالقضاء والقدر كلمتان لمدلول واحد راجعان للعلم والإرادة وتعلق القدرة، وأنه يجب على المكلف أن يؤمن أن الله تعالى علم أزلاً بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته أزلاً هذه الأفعال على وفق العلم، وأنه أوجدها على القدر المخصوص الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة، فكان وجوباً على المكلف الإيمان به.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾"الأحزاب:38"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾"القمر:49".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ سيدنا عُمَرَ بنِ الْخَطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)"رواه الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ الإمام عَلِيٍّ بنِ أَبِي طالبٍ عَليهِ السَلَام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ)"رواه الترمذي".

- **الإجماع**: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "إن إرادته نافذة في جميع مراداته على حسب علمه بها، فما علم كونه منها أراد كونه في الوقت الذي علم أنه يكون فيه، وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون، وقالوا إنه لا يحدث في العالم شيء إلا بإرادته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن "اهـ.

سُئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: فقيل له: أخبرني عن القدر؟ فقال: "طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه، قال:

أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله فلا تكلفه، ثم ولى الرجل غير بعيد، ثم رجع، فقال لعلي عليه السلام: في المشيئة الأولى أقوم وأبسط؟ فقال عليه السلام: إني سائلك عن ثلاث خصال، ولن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجاً، أخبرني أخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: أخبرني أفتجيء يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا بل كما شاء، قال: أخبرني أخلقك الله كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا بل كما شاء، قال: فليس لك من المشيئة شيء "اهـ. (رواه الآجري في الشريعة، والقضاعي في دستور الحكم).

وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾"الأنبياء:23" "اهـ، وقال **الإمام محي الدين النووي** رحمه الله في شرحه على مسلم ما نصه: "وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره؛ خيرها وشرها، نفعها وضرها، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾"الأنبياء:23" فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء، ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله "اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وَقَـدَرٍ كَـذَا صِرَاطٌ مِـيزَانْ حَـوْضُ النَّـبِيِّ جَنَّـةٌ وَنِـيرَانْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي** رحمه الله في (جوهرة التوحيد):

وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا **بِالقَدَرِ** **وَبِالقَضَا** كَمَا أَتَى فِي الخَبَرِ

وبناءً على ما سبق فإن حقيقة معنى القضاء والقدر هو إظهار ما علم الله تعالى أنه كائن وإن كان كيف يكون، وعلم من عبيده ما هم فاعلون، فخلق الخير وأحبه وأمرهم بإتيانه وخلق الشر ولم يحبه ونهاهم عن فعله، وهو يعلم سبحانه وتعالى ما هم مختارون، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾"الأنعام:162"، ومع أن الفعل خيره وشره خلق لله، فالأدب أن ينسب الخير لله خلقاً، والشر للعبد كسباً، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾"النساء:79" أي كسباً، كما يفسره قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾"الشورى:30"، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾"النساء:78" أي أن الله خالق الخير والشر على معنى الحقيقة، يدل على ذلك أيضاً حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً) قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: (مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ

الشَّقَاوَةِ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾"الليل:5-10")"رواه الشيخان".

واعلم أن قضاء الله تعالى لا يتعارض مع الدعاء، فالله يجيب دعاء الداعين الموافق للقضاء، فإن لم يوافقه أعطاه الله سكينة في نفسه وانشراحاً في صدره ويدخر له في آخرته، قال تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾"الأنعام:41"، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا)"رواه أحمد والبزار والحاكم في المستدرك"، وَرَوَى ثَوْبَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَنهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ **إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ** وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً)"رواه مسلم".

ومن القضاء ما هو مبرم لابد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شىء كالموت، ومنه ما هو معلق في وقوعه أو رفعه على شيء كطول العمر أو حصول البركة فيه، فهو

معلقٌ على صلة الرحم، كما جاء في حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)"رواه أحمد وغيره"، وَأَمَا حَدِيثُ ثَوْبَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ)"رواه الترمذي وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وَحَدِيثُ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعنْ أَبِيهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)"رواه الحاكم في المستدرك"، المراد منهما القضاء المعلق الذي سبق في علمه سبحانه وتعالى أن إجابة عبده بسبب دعائه، مثل: مرض يشفى منه أو نجاح يحققه أو ضر يدفعه أو نصر يفوز به وهكذا في الباقي، رغم أننا أُمرنا بتعاطي الأسباب، إلا أن حصول الإجابة كان بالدعاء وليس بتعاطي الأسباب، وهذا هو حقيقة القضاء المعلق الكائن بالدعاء وليس بسواه، والدليل القطعي على ذلك قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿حم ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾"الدخان:1-5" والمقصود بهذه الآية القضاء المعلق، مع وجوب العلم أن القضاء المعلق خاص بالدنيا والمبرم يشمل الدنيا والآخرة، فالمبرم أعم والمعلق أخص قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾"ق:29".

فصل

الوعد والوعيد

اعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخيـر، أن مـما يـجب اعتقاده أن الله تعالى مُعط لمن أراد به خيراً ما وعده به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو في كتابه، و وعده لا يتخلف شرعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾"آل عمران:9"، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾"ق:29"، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾"الكهف:21"، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾"الإسراء:108"، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾"فاطر:5"، فلو تخلف إعطاء الموعود به لزم الخلف والتبديل في القول، ووجب تنزيه الله تعالى عنه، وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصاً بل يُعد كرماً يُـمتدح به، فبنى إخباره به على المشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾"النساء:48"، بـخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره به على الجزم، لحديث أنس بن مالك أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ، وَمَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ »"رواه الطبراني في المعجم الأوسط، والطحاوي في مشكل الآثار، وغيرهما"، فكان الوعد حق عليه والوعيد حق له، ومن أسقط حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم، ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم، فظهر الفرق بين الوعد والوعيد.

قال عامر بن الطفيل:

وإني وإن أوعَدتُه أو وَعدتُّه لأخِلفُ إيعادي وأنجزُ مَوْعدي

والخلق في الوعد الوعيد على ثلاثة أقسام:

الأول، ما ورد في الصالحين: وعد وإخبار من الله تعالى بتفضله على عباده المؤمنين بالجنة، وكلام الله تعالى وخبره صدق وحق، لا يصح تخلفه؛ لأن تخلفه يستلزم نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾"النساء:122"، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١﴾"مريم:61"، فسمى خبره وعداً في مقابل الوعيد؛ لأن فيه إخبار عن النعيم في الجنة، بناءً على غلبة استعمال الوعد في الخير، والوعيد في غيره.

الثاني، ما ورد في عصاة المؤمنين: وعد و إخبار من الله تعالى بتفضله عليهم بالجنة على ما قدموه من أعمال صالحة، و وعيد لهم بالعذاب على ما قاموا به من معاصٍ وآثام، ولكن الوعيد تمَّ تعليقه بالمغفرة، ونص الشارع على جواز أن يغفر لهم، وأن يقبل شفاعة الشافعين بهم، فعلمنا أن الأصل أنهم يعذبون ولكن يجوز العفو عنهم، والعفو هو بفضله تعالى، وقد يكون قبل تعذيبهم أو بعده، قال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾"النساء:31"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾"النساء:116"، وهذه الآية

مقيدة بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾"الزمر:53"، و اعلم أنه لـم يرد نصاً في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بضرورة تعذيب كل عاص، و أنه لا يجوز العفو عنه، مع وجوب اعتقاد أن الله تعالى منفذ وعيده في بعض المؤمنين لورود الأخبار بذلك.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وواجـبٌ تعـذيب بعـض ارتكـب كبـــيرة ثـــم الخلـــود **مُجتنـــبْ**

الثالث، ما ورد في الكافرين: وعيد وإخبار من الله تعالى أنـهم معذبون في نار جهنم خالدين فيها أبدا، وأنـهم لا يُخرجون ولا يسمح لـهم بالـخروج، وما سوى ذلك كما بيناه في قسم السمعيات، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾"ق:14"، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾"ق:28"، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾"طه:113"، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾"ق:20".

نكته:

تعذيب الكفار في النار ليس هو من قبيل الواجب العقلي، بل هو من قبيل الـجائز، فكما كان يـجوز أن لا يُثيب أحداً، كان كذلك يجوز أن لا يعاقب أحداً، فلا شيء من الثواب والعقاب عليه بواجب، لكن لمـّا أخبَرَنا الشرع أن أهل

الكفر والنفاق خالدين في النار مُعذبين لا يخرجون منها، وأنَّ عذابـهم لا يفنى، فانقلب الحكم من الجواز العقلي إلى الواجب العرضي.

و من قال إن الوعيد يـجوز تـخلفه، وبنى حكم جواز خروج الكافرين من النار مطهرين منها، وأنـهم داخلون في دار للنعيم المقيم بعد عذابهم في النار، فهو باطلٌ لأنه تعلق بـمجرد إمكان تخلف الوعيد، وهو تعلقٌ بما لا تعلق به، واستدلال بما لا دلالة فيه، بل ينبغي التوقف في ذلك على الخبر الوارد بعدم المغفرة لهم، وخبر الله تعالى لا يتخلف، وكونه وعيداً في نفسه يستلزم كونه عذاباً لا تنعماً، فقطعَ الخبر احتمالَ تخلف الوعيد في حقهم، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾"المائدة:72"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾"محمد:34"، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلا حُلَّتْ لَهُ الْمَغْفِرَةُ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَثْنَى، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾"النساء:48")"رواه ابن أبي حاتم في تفسيره"، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قوله:« ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾"النساء:116"، فأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾"النساء:116"، فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ، وَأَرْجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَى مَشِيئَتِهِ، فَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ»"رواه الطبري في تفسيره"، وقال **الإمام الرازي** الشافعي رحمه الله في (التفسير الكبير) ما نصه:« ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾"النساء:116"، معناه لا يغفر الشرك على سبيل التفضل؛ لأنه بالإجماع لا يغفر على سبيل الوجوب، وذلك عندما يتوب الـمشرك عن شركه، فإذا كان قوله: إن الله لا يغفر الشرك، هو أنه لا يغفره على سبيل التفضل، وجب أن يكون قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾"النساء:116"، هو أن يغفره على سبيل التفضل، حتى يكون النفي والإثبات متواردين على معنى واحد »اه.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَخَـــاذِلٌ لِمَـــن أراد بُعْـــدَهُ   وَمُنْجِـــزٌ لمَـــن أَرَادَ وَعْـــدَهْ

ثالثاً: صفة "العِـلْـم"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى متعلقة بجميع المعلومات من الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف تام، على وجه الإحاطة على ما هي عليه من غير سبق خفاء.

- **فالواجبات**: كعلمه سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله.
- **والمستحيلات**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يدل على النقص في حقه كالزوجة والولد والشريك، فيعلم أنه مستحيل الوجود.

- **والجائزات**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يجوز عليه من ترك الممكنات في العدمات أو إيجادها على وفق ما سبق في علمه.

وتعلق العلم تعلق أزلي قديم: فيعلم الله سبحانه وتعالى الأشياء أزلاً على ما هي عليه وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو توجد في المستقبل.

واعلم أن علمه سبحانه وتعالى ذاتي لا يزيد ولا ينقص:

- **فقولنا ذاتي**: خرج به العلم الموهوب كعلم الأنبياء والملائكة، وخرج به العلم المكتسب كعلم العلماء.
- **وقولنا لا يزيد**: لأنه لو زاد لكان قبله ناقصاً والنقص من صفات الحوادث وهو عليه مستحيل.
- **وقولنا لا ينقص**: لأنه لو جاز عليه النقص لكان متغيراً والتغير من علامات الحدوث والحدوث عليه مستحيل فيلزم أنه لا ينقص، بل علمه سبحانه وتعالى محيط بكل المعلومات معاً من غير تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان.

الأدلة النقلية على وجوب صفة العلم في حق الله سبحانه وتعالى:

– **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾"الطلاق:12"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾"المجادلة:7"، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾"الحشر:22".

– **من السنة المشرفة**: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ

مِنَ الْقُرْآنِ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ **بِعِلْمِكَ**، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، **وَتَعْلَمُ** وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ **عَلَّامُ الْغُيُوبِ**)"رواه البخاري وأبوداود وأحمد وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالعلم.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب **(أُصول الدين)** ما نصه: "أجمع أهل الحق أن علم الله واحد ليس بضروري ولا مكتسب ولا عن استدلال ونظر، وأجمعوا أنه محيط بجميع المعلومات يعلم به ما كان منها وما يكون وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون"اهـ.

وَقال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْبَائِدِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْمُتَقَلِّبِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ"اهـ.(رواه أبو نعيم في الحلية)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "خَلَقَ الخلق بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَاراً، وضَرَبَ لهم ءاجالاً، ولم يَخْفَ عَلَيْهِ شَيء قبل أَن يخلقهم، وَعَلِمَ ما هم عاملون قبل أن يخلقهمْ"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُـــــدرةٌ إرادةٌ **عِلْـــــمٌ** حَيَـــــاةْ سَـــمْعٌ كَلامٌ بَـــــصَرٌ ذِي واجبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة العلم:

لو جاز أن يعزب عن علمه شيء من الأشياء جليلاً كان أو حقيراً، كثيفاً كان أو لطيفاً، لكان ذلك نقص في حقه، والنقص من صفات الحدوث، والحدوث عليه

مستحيل، وما أدى إلى المستحيل مستحيل فلزم العكس وثبت المطلوب من أن علمه لا يعزب عنه شيء ولا يزيد ولا ينقص وهو محيط بكل المعلومات معاً، فما تعلقت به القدرة أراده وما أراده علمه لاستحالة تعلق القدرة وتوجه الإرادة إلى ما لا يعلم.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيًّـا مُرِيـدًا **عَالِمَـا** وقَـــادِرًا لَمَـــا رَأَيْـــتَ عَالَمَـــا

رابعاً: صفة "الحـيـاة"

اصطلاحَاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، تقتضي اتصافه بالعلم والسمع والبصر والإدراك وسائر صفات الكمال، لاستحالة وجود هذه الصفات بدونها، وحياته سبحانه أزلية أبدية لم يسبقها عدم سابق، ولا يطرأ عليها عدم لاحق، فهي ليست بروح؛ لأن الروح من اللطائف وهي من قبيل العرض، والعرض مخلوق حادث لا يستقل بذاته كما هو معلوم بداهةً وهو يحتاج إلى محل يحل فيه، وحياة الله ليست كذلك جزماً وهي لا تتعلق بشيء، بخلاف حياة غيره فهي حادثةٌ قائمةٌ بغيرها بسبب الروح والله سبحانه ذات موصوف بالحياة.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الحياة في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾"الفرقان:58" وفي هذه الآية دلالة على أن حياته ليست كحياتنا، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾"البقرة:255"، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾"غافر:65".

– **من السنة المشرفة**: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: (يَا **حَيُّ** يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)"رواه الترمذي والنسائي ورواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) فَذَكَرَهَا وَعَدَّ مِنْهَا: (**الْحَيّ**)"رواه الترمذي".

– **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالحياة.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن حياته صفة أزلية قائمة من غير روح ولا غذاء ولا تنفس"اهـ.

وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "إن الله حي لا يموت، قيوم لا ينام "اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُــــدرةٌ إرادةٌ عِلْــــمٌ **حَيَــــاةْ** سَــــمْعٌ كَلامٌ بَــــصَرٌ ذِي واجبَــــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الْحَيَاة:

إن الله سبحانه وتعالى متصفٌ بالقدرة والإرادة والعلم وغيرها، وكل من كان كذلك وجبت له الحياة، فالله تجب له الحياة.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَــوْ لَــمْ يَكُــنْ **حَيّــاً** مُرِيــداً عَالِمَــا وَ قَــــادِراً، لَمَــــا رَأَيْــــتَ عَالَمَــــا

خامساً: صفة "السمــع"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المسموعات معاً تعلق انكشاف من غير معالجة ولا آلة ولا بعد مسافة ولا تقديم ولا تأخير ولا تزاحم أصوات ولا يحجبها مانع عن كل المسموعات مما نعلم ومما لا نعلم من الهمس والجهر وغيرهما.

فيسمع الله تعالى كلامه الأزلي الأبدي الذي ليس بصوت ولا حرف ولا هو مثل كلام البشر، ويسمع كل ما يصدر من المخلوقات معاً حتى أنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

الأدلة النقلية على وجوب صفة السمع في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾"طه:46"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾"الشورى:11"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾"إبراهيم:39".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِباً، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ **سَمِيعٌ** قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ)"رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالسمع.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "قال أهل الحق أن سمعه صفة واحدة أزلية وهو يسمع بها جميع المسموعات من الأصوات

والكلام "اهـ، وقال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "لَا تُحَيِّرُهُ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تَشْغَلُهُ اللُّغَاتُ، سَمِيعٌ لِلْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، بِلَا جَوَارِحَ لَهُ مُؤْتَلِفَةٍ "اهـ.(رواه أبو نعيم في الحلية).

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُـــــدرةٌ إرادةٌ عِلْـــــمٌ حَيَـــــاةْ **سَــــمْعٌ** كَلامٌ بَـــــصَرٌ ذِي واجبَـــــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة السَّمْع:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالسمع لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالسمع.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

والسَّـــمْعُ والْبَـــصَرُ والْــكَلاَمُ **بالنَّقْـــلِ مَـــعْ كَمَـــالِهِ تُـــرَامُ**

سادساً: صفة "البصـــر"

اصطلاحاً: صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المبصرات معاً تعلق انكشاف، فتنكشف بها كل المبصرات انكشافاً تاماً دون سبق خفاء، من غير آلة ولا اتصال شعاع ولا قرب ولا بعد مسافة، ولا حائل ولا مانع يمنعه سبحانه وتعالى من انكشاف كل المبصرات له معاً.

فيرى الله سبحانه وتعالى ذاته القديم، ويرى كل موجود مما نعلمه ومما لا نعلمه، ويرى كل الأشياء دقيقها وعظيمها، جليها وخفيها، لا يحجبه عنها حاجب ولا يمنعه منها ساتر.

الأدلة النقلية على وجوب صفة البصر في حق الله سبحانه وتعالى:

– **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾"طه:46"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾"الشورى:11"، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾"البقرة: 96".

– **من السنة المشرفة**: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعاً **بَصِيراً**)"رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم".

– **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالبصر.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق على أن الله راء برؤية أزلية يرى بها جميع المرئيات ولم يزل رائياً لنفسه "اهـ.

وقال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "مُدَبِّرٌ بَصِيرٌ، عَالِمٌ بِالْأُمُورِ، حَيٌّ قَيُّومٌ "اهـ. (رواه أبو نعيم في الحلية)، وقال **الإمام الغزالي** رحمه الله في كتاب (إحياء علوم الدين) ما نصه: "الله تعالى سميع بصير، يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى

من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق "اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وقُــدرةٌ إرادةٌ عِلْــمٌ حَيَــاةْ سَــمْعٌ كَلامٌ بَــصَرٌ ذِي واجبَــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة البصر:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالبصر لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالبصر.

تنبيه:

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذموا أقوامهم لعبادتهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر، قال تعالى على لسان خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾"مريم:42"، فهذه آية صريحة توجب لله أن يكون متصفاً بالسمع والبصر، فلو لم يتصف بالسمع والبصر، لاحتج أقوامهم على أنبيائهم أنكم تعبدون إلهاً لا يسمع ولا يبصر.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

والسَّــمْعُ والْبَــصَرُ والْــكَلاَمُ بالنَّقْــلِ مَــعْ كَمَــالِهِ تُــرَامُ

سابعاً: صفة "الـكـــلام"

اصطلاحاً: هي صفة أزلية، قائمة بذاته تعالى ليست بصوت ولا حرف، المنزه عن التقديم والتأخير والبعض والكل، والسكون والتمديد، واللحن والإعراب، واصطكاك الأجرام، والسر والجهر وسائر أنواع التغيرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات، المعبر عنه بالعبارات المختلفات.

- **قولنا "العبارات المختلفات"**: كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وغيرها من الصحف والألواح.
- **وقولنا "كلام الله ليس بصوت"**؛ لأن الأصوات حادثة.
- **وقولنا "كلام الله تعالى ليس بحرف"**؛ لأن الحروف حادثة.
- **وقولنا "وليس بسر ولا بجهر"**؛ لأنهما من صفات الحوادث.
- **وقولنا "صفة الكلام دالة على كل ما تدل عليه صفة العلم من المتعلقات"**:

▪ مثال دلالة الكلام على الواجب، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾"الإخلاص:1".

▪ مثال دلالة الكلام على الجائز، قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ "القصص:68".

▪ مثال دلالة الكلام على المستحيل، قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾"الأنبياء:22"

وللكلام إطلاقان:

- **الكلام النفسي**: هو صفة أزلية ليست بحرف ولا صوت، ولا يدخل عليها التبدل أو التجزء أو التغير، وليس عربياً ولا سريانياً ولا غيرهما من اللغات.

- **الكلام اللفظي**: هو الألفاظ والحروف الدالة على الكلام القديم، كالقرآن الكريم المنزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المحفوظ في الصدور المقروء بالألسن المبتدأ بسورة الفاتحه الـمنتهي بسورة الناس، وكذا سائر الكتب والصحف والألواح السماوية الـمنزلة على الرسل، فهو ليس من تأليف ملك مرسل ولا نبي مقرب، فيطلق عليهم أيضاً كلام الله؛ لأنه دال عن بعض مدلول الكلام القديم، ويقال له عبارات والمعبر عنه واحد وهو الكلام الأزلي الأبدي القديم الذي ليس بصوت ولا حرف.

وليعلم أن الكتب السماوية ليست من الكلام الأزلي القديم؛ لأنها ألفاظ مركبة من حروف، مقروءة بأصوات يدخلها التغيير والتشكيل والخطأ، لها مخارج وصفات، يمحى ويحرق، ولها حد، وهي منزلة، والمنزل حادث، وكلام الله تعالى ليس كذلك لا يحد ولا يوصف بنزول أو صعود أو غيرها من صفات الحوادث.

تنبيه:

1- لا يجوز أن يُقَالُ (القرآن مخلوق أَو حادث) لئلا يتوهم متوهم حدوث الكلام القديم ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾"الأنبياء:2"، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾"الشعراء:192-195"

2- سماع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لكلام الله تعالى لا يُفهم منه أن المولى كان ساكتاً ثم تكلم، أو تكلم فانقطع كلامه بعد السماع، وإنما المراد منه أنه رفع الحجاب المعنوي عنه عليه السلام، فسمع الكلام الأزلي القديم الذي ليس

بصوت ولا حرف، ففهم منه مراد الله تعالى، ثم رد الحجاب لما كان عليه، فلا يتوهم متوهم أن ذلك كان صورةً أو حدوثاً أو ابتداءً أو انتهاءً.

3- يحرم الاستهزاء بالكتب المنزلة ولو حرفت؛ لأنها لا تخلو من صواب وحق بعد تحريفها.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الكلام في حق الله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾"الكهف:109"، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾"لقمان:27"

- **من السنة المشرفة**: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (ما مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إِلَّا **سَيُكَلِمُهُ ربُّهُ** لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرْجُمَان وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُ)"رواه الشيخان وأحمد"، ويجب أن يعلم أن هذا الحديث محمول على الآخرة، ولا يقال كيف؛ لأن العقول لا تدرك غالب حقائق الدنيا فما بالك بالآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الجنة: (فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)"رواه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى متصف بالكلام القديم الأزلي.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن كلام الله تعالى صفة له أزلية، وهي أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده "اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى، وكان الله خالقاً في الأزل ولم

يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل "اهـ، وقال كذلك رحمه الله في نفس الكتاب: "ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق "اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾"المدثر:26" فَلمَّا أوعد اللهُ بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾"المدثر:25" علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر "اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

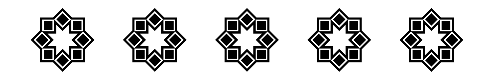
وقُـــدرةٌ إرادةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ سَـــمْعٌ **كَلامٌ** بَـــصَرٌ ذِي واجبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الْكَلَامِ:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالكلام لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالكلام.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

والسَّـــمْعُ والْبَـــصَرُ والْـــكَلَامُ **بالنَّقْـــلِ مَـــعْ كَمَـــالِهِ تُـــرَامُ**



ثانياً: الصفات التي تستحيل على الله سبحانه وتعالى

يستحيل عليه سبحانه وتعالى الاتصاف بأضداد الصفات الواجبة له تعالى وما سواها من صفات النقص، فنفي كل كمال له سبحانه وتعالى هو نقص يجب تنزيهه عنه، فهو الموصوف بكل كمال يليق به، المنزه عن كل نقص في حقه.

فيستحيل عليه سبحانه وتعالى:

- **العدم**: وهو ضد الوجود، وهو عبارة عن لا شيء.
- **الحدوث**: وهو ضد القدم، والمراد به الوجود بعد العدم.
- **الفناء**: وهو ضد البقاء، والمراد به الانقضاء بعد الوجود.
- **المماثلة للحوادث**: وهي ضد المخالفة للحوادث، والمراد بها: المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال.
- **أن لا يكون قائماً بنفسه**: وهو ضد الغنى المطلق، والمراد به: بأن يكون صفة تحتاج إلى محل أو تحتاج إلى مُخَصِّصٍ.
- **أن لا يكون واحداً**: وهو ضد الوحدانية، والمراد به: أن يكون مركباً في ذاته، أو يكون له مماثل في ذاته أو صفاته، أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من أفعاله.
- **العجز عن ممكن ما**: وهو ضد القدرة، والمراد به: تعذر إيجاد ما يمكن إيجاده، وإعدام ما يمكن إعدامه.
- **إيجاد شيء من العالم مع كراهته لوجوده**: وهو ضد الإرادة، والمراد به: إيجاد الشيء أو إعدامه مع عدم إرادته له سبحانه وتعالى، أو مع الذهول أو الغفلة أو بالتعليل أو بالطبع وهو من صفات الحوادث.

- **الجهل**: وهو ضد العلم، والمراد بالجهل: عدم الإحاطة بالمعلومات من واجب وجائز ومستحيل، وكذلك ما في معنى الجهل أيضا كالشك والظن والوهم والغفلة والنسيان.
- **الموت**: وهو ضد الحياة، وكذلك ما في معنى الموت كأن تكون حياته تعالى بروح أو نفس أو بأكل أو شرب أو غير ذلك من صفات الحوادث.
- **الصمم**: وهو ضد السمع، والمراد به: عدم السمع لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى الصمم ككون سمعه تعالى بالآذان أو الصماخ أو الآلة أو غير ذلك.
- **العمى**: وهو ضد البصر، والمراد به: عدم البصر لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى العمى ككون بصره تعالى بالمقلة أو الأجفان أو الحدقة أو الآلة أو غير ذلك.
- **البكم**: وهو ضد الكلام، والمراد به: عدم الكلام لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى البكم ككون كلامه تعالى بحروف وأصوات ولغات.

لأن كل ما سبق من صفات الحوادث وهي مستحيلة عليه وذلك لما مر معنا من قيام الأدلة النقلية والعقلية والإجماع الدالة على ما يجب له سبحانه وتعالى.

قال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ تَكْيِيفِ الصِّفَاتِ، مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَمَاكِنَ بِهِ تُحِيطُ، لَزِمَتْهُ الْحَيْرَةُ وَالتَّخْلِيطُ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ الرَّحْمَنِ، بِخِلَافِ التَّنْزِيلِ وَالْبُرْهَانِ، فَصِفْ لِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، هَيْهَاتَ، أَتَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ وَتَصِفُ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، وَأَنْتَ

تُدْرِكُ صِفَةَ رَبِّ الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ، فَكَيْفَ مَنْ لَمْ تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؟ "اهـ(رواه أبو نعيم في الحلية، والقضاعي في دستور معالم الحكم).

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

وَيسْــتَحِيلُ ضِــدُّ هَــذِهِ الصِّــفَاتْ   الْعَـــدَمُ الحُـــدُوثُ ذَا لِلْحَادِثَـــاتْ

كَــذَا الْفَنَــا وَالافْتِقَــارُ عُــدَّهْ   وأَنْ يُماثَـــلَ وَنَـــفْيُ الوَحْـــدَةْ

عَجْــزٌ كَرَاهَــةٌ وَجَهْــلٌ ومَمَــاتْ   وَصَــمَمٌ وَبَكَــمٌ عَــمًى صُــمَاتْ



ثالثاً: الصفات الجائزة في حق الله سبحانه وتعالى

بعد بيان ما يجب وما يستحيل في حقه سبحانه وتعالى؛ نشرع في بيان ما يجوز في حقه سبحانه وتعالى.

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه، فيجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى يجوز له أن يخلق ويختار من خلقه ما يشاء (**بلا كيف**)، ولا يجب عليه فعل شيء منه، ولا يستحيل عليه ترك شيء منه، بل يفعل ما شاء ويترك ما شاء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهو المتصرف المطلق الفاعل بالاختيار، ليس لأحد الاختيار معه، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾"الرحمن:29" أي بيده الأمور كلها يظهرها على وفق ما قدره وأراده في الأزل من خير وشر، وإعزاز وإذلال، ونفع وضر، وإغناء وإفقار، وغير ذلك من تعلقات مشيئته جل وعز.

فائدة: اعلم وفقني الله وإياك لطاعته، استحالة أن ينسب لذات الله تعالى ولصفاته الجواز؛ لأن الله تعالى هو الواجب الوجود بذاته وبصفاته، فلا يتطرق الجواز للذات ولا إلى الصفات، بل حكم الجواز لازم للأفعال، فكل أفعال الله تعالى جائزة، وكل ما تراه من الفصول اللاحقة لهذا الباب هي من قبيل الأفعال الممكنة عليه تعالى، فيدخل فيها الإيجاد والإعدام، والثواب للمطيع والعقاب للعاصي، وكذلك كل ما يتعلق بالرسليات كبعثة الأنبياء، والسمعيات مثل البرزخ والآخرة.

الأدلة النقلية على ما يجوز في حق الله سبحانه وتعالى:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم**: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾"القصص:68"، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ

ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾"آل عمران:26"، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾"آل عمران:129".

- **من السنة المشرفة**: عَنْ سالم الفراء أن عَبْدَ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ، وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهَا، فَيَقُولُ: (قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، **مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**)"رواه أبو داود في سننه والنسائي في الكبرى والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة أنه لا يحدث في العالم شيء إلا بإرادة الله تعالى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال **أبو سعيد المتولي الشافعي** رحمه الله في كتاب (الغُنيةُ فِي أُصُولِ الدين) ما نصه: "أجمعت الأمة على كلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن "اهـ.

الدليل العقلي على جواز فعل كل ممكن أوتركه:

هو أنه قد وجب له تعالى اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية والقدم والقيام بالنفس، فثبت له الاختيار المطلق في جميع أفعاله، ومن ثبت له الاختيار يجوز له فعل كل ممكن أو تركه على وفق مشيئته وببالغ حكمته.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

يَجُـــوزُ فِي حقِّـــه فِعــــلُ المـــُمْكِناتْ		بِأَسْرِهَـــا وَتَرْكُهـــا فِي الْعَـــدَمَاتْ

ولقد لخص ذلك كله **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام** فقال: "أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات المحدثة عنه، فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده" اهـ (دَفع شُبَه من شَبَّه وتمرَّد ونَسَب ذلك إلى السّيد الجليل الإمام أحمد، للإمام تقي الدين الحصني الشافعي).

جواز رؤية الله تعالى

اعلم أن مما يجوز في حقه سبحانه وتعالى أن يُرى بالأبصار في الآخرة كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وتكون الرؤية في حقه سبحانه من غير حد ولا مكان ولا جهة ولا إحاطة بالمرئي، ولا بحدقة، ولا مقابلة، ولا اتصال شعاع وغيرها مما يتبادر إلى الأذهان؛ لأن ذلك كله من صفات الحوادث وهو مستحيل على الله، أما الرؤية المتعارف عليها في هذه الدنيا فإن الله تعالى أجرى العادة أن يخلق الرؤية في العين عند المقابلة واتصال الشعاع مع عدم وجود المانع، فتتحقق الرؤية عند ذلك مع هذه الأسباب لا بها.

لأن العين سبب وعلة للرؤية ولا يلزم من وجود العين والمقابلة واتصال الشعاع وجود الرؤية، والدليل على ذلك أن الإنسان وهو مستغرق في النوم يرى الأشياء حتى ولو كان كفيفاً باليقظة، ويسمع حتى ولو كان أصماً في اليقظة، بل أكثر من ذلك إدعائه الأكل والشرب والذهاب والمجيء وغير ذلك مما يحدث معه في حال اليقظة على الرغم أنه نائم، فبالله عليك أفهمني بأي عين رأى وهو نائم؟ وبأي أذن سمع وهو

نائم؟ وبأي لسان تكلم وهو نائم؟ وبأي رجل خطى وهو نائم؟ وهكذا في الباقي، وإنكار ذلك مما يقع مع الإنسان في حال النوم هو من قبيل العناد وذلك مقطوع به بالحس والمشاهدة والواقع.

وبهذا تتيقن أن الرؤية ليست ملازمة للجسمية والتحيز واتصال الشعاع والمقابلة وغير ذلك من صفات الحوادث، مع وجوب العلم بأن الدنيا لا تقاس على البرزخ والبرزخ لا يقاس على الآخرة ومن باب الأحرى والأولى بل الواجب الضروري أن لا تقاس الآخرة على الدنيا ولا بوجه من الوجوه لحديث سَعْدِ بنِ سَعْدٍ السَّاعِدِي قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: (فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)"رواه مسلم وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم". فبالله عليك ما هو الذي لا عين رأت؟ ولا أذن سمعت؟ ولا خطر على قلب بشر؟ فهذا نص يزيل كل إشكال لمن أراد معرفة الحق أما بالنسبة لأجسامنا التي تلازمنا في هذه الدنيا فهي تستحيل في الآخرة إلى أجسام باقية بقدرة الله سبحانه وتعالى، فنرى بالعين الباقية ما هو باقٍ بلا كيف ولا مكان ولا جهة لا كما يرى المخلوق المخلوق، ولمثل هذا ذهب الإمام مالك رحمه الله فقال: "لم ير في الدنيا، لأنه باق، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة، ورزقوا أبصاراً باقية رئي الباقي بالباقي"اهـ."رواه عياض في الشفا".

أما الدليل على إمكانية الرؤية لله تعالى:

طلب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من ربه أن يريه ذاته المقدس، فقال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى

وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾"الأعراف:143"، ووجه الإستدلال بالآية من وجهين:

- **الأول**: أن رؤية الباري عُلقت على أمر ممكن، وكل ما علق على الممكن لا يكون إلا ممكناً، فرؤيته تعالى ممكنة.
- **الثاني**: إن الرؤيا لو لم تكن جائزة، لما سألها سيدنا موسى عليه السلام؛ لأنه نبي رسول يعلم ما يجوز وما يجب وما يستحيل في حقه تعالى، فسؤاله دلَّ على الجواز.

واعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخير أن دليل وقوع الرؤية سمعي عند أهل السنة والجماعة، فإذا صحت الأدلة النقلية وحكم العقل بإمكانه فلا موجب لصرف النص عن ظاهره، ولا يبقى وجه للقول باستحالة الرؤية، بل يكفيان للجزم برؤيته تعالى خلافاً لمن قال باستحالتها.

الأدلة النقلية على جواز الرؤية لله سبحانه وتعالى:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾"القيامة:22-23"، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾"يونس:26"، قال جمهور المفسرين: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم.
- **من السنة المشرفة**: عَنْ صُهَيْبٍ الرُومي رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾"يونس:26"، قَالَ: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، قَالُوا: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَتُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد واللفظ للترمذي"، وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ، فَقَالَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)"رواه الشيخان". والتشبيه للرؤية وليس للمرئي، ووجه الشبه عدم الشك برؤيته تعالى كما لا يُشك برؤية القمر ليلة البدر، وكان من سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعائه: (وأسْألُك لَذّة النَّظَرِ إلى وَجْهِك)"رواه النسائي وأحمد".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على جواز رؤيته تعالى في الآخرة بلا كيف ولا مكان.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين في الآخرة"اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والله تعالى يُرى في الآخرة يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة "اهـ، وقال **الإمام مالك** رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾"المطففين:15" ما نصه: "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى يروه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرون بالحجاب" اهـ (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، وقال **الإمام الشافعي** رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾"المطففين:15" ما نصه: "لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا" اهـ (رواه السبكي في الطبقات)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾"القيامة:22-23"، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه "اهـ.

قلت: وقد أجمع أهل السنة ومن وافقهم على رؤية الله تعالى في الآخرة للدلائل المتواترة قرآناً وسنةً فقد بلغت أحاديث الرؤية مبلغ التواتر كما بينها الإمام العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، واستدرك عليه السيد العلامة المحدث سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني الطنجي رحمه الله في كتابه (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر) وقال: "ونص على تواترها أيضاً ابن كثير في تفسيره" اهـ.

الدليل العقلي على جواز رؤية الله تعالى:

الله سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يُرى، فالله تعالى يصح أن يُرى.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي** رحمه الله:

وَمِنْـــــــهُ أَنْ يُنْظَـــــــرَ بِالْأَبْصَـــــــارِ لَكِـــنْ بِـــلَا كَيْـــفٍ وَلَا انْحِصَـــارِ



مبحث الرُّسليات

مبحث الرُّسليات

بعد الفراغ من ذكر العقائد المتعلقة بالله تعالى، وبيان براهينها؛ نشرع في بيان العقائد المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

اعلم أنه مما يجب على المكلف اعتقادهُ أن الرسل عليهم الصلاة والسلام مبعوثون من الله تعالى ليبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ويبينوا للمكلفين ما يحتاجون إليه من أمور دنياهم وآخرتهم حتى تقوم عليهم الحجة من غير ووجوب عليه سبحانه تعالى فهم سِفارةٌ بين الحق سبحانه وتعالى وأولي الألباب من خليقته، فالإرسال والإنباء هو فعل من أفعال الله تعالى الجائزة، وأفعاله تعالى لا تتصف بِالوجوب خلافاً لمن قال بوجوبها، بل هو متفضلٌ بها على عباده، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾"النساء:165"، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ١٣٤﴾"طه:134"، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤٢﴾"فاطر:42".



فصل

الْرَسُــولُ وَالْنَّبِيُّ

إن الإيمان بالأنبياء والمرسلين واجبٌ على المكلفين لأنه ركنٌ من أركان الدين، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾"البقرة:285" وقد اصطلح أهل الحق على أن الرسالة: هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته، يُزيح بها عِللَهم فيما قَصُرت عنه عقولهم من مصالح الدُّنيا والآخرة.

والرسول: هو إنسانٌ، ذكرٌ، حُرٌّ، يأْتي بشرع جديد من الله عز وجل، يُؤمر بتبليغه، ويكون ناسخاً لشرع الرسول الذي قبله.

- قولنا "**إنسان**": خرج به الملائكة والجن، إذ ليس في الجن رُسلاً وإنما هم رسل الإنس إلى الجن، وأما الملائكة ففيهم الرسل، لكن ليس الكلام هنا على رسلهم إنما الكلام على رسل الإنس لأن ذكرهم هو المقصود.
- وقولنا "**ذكر**": خرج به الأنثى والخنثى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾"يوسف:109".
- وقولنا "**حر**": خرج به العبد، لانشغاله بخدمة سيده، ولأن العبودية هي عقاب تأديبي لمن رفض الانصياع للحق بعد عرضه عليه، وهو هنا مستحيل شرعاً في حق الرسل والأنبياء قبل النبوة وبعدها، إذ يستحيل عليهم كل وصف دني يقدح في مقاماتهم العليَّة، وأي قدح أكبر من وصفهم بالعبودية للبشر، فالله حفظهم من ذلك

قبل النبوة وتسمى "**إرهاصاً**" وبعد النبوة وتسمى "**عصمةً**"، فهو تعالى تولى حفظ وعناية أوليائه بأكثر من هذا فكيف بأنبيائه؟ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾"يونس:62" وبناءً عليه فكل ما قيل في حق سيدنا يوسف عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام من أنه كان عبداً لا يصح ولا بوجه من الوجوه؛ لأن القاعدة العقائدية أن ما وجب لنبي وجب لكل الأنبياء قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾"البقرة:285" كما سنبينه لاحقاً.

أما ما حدث لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى لما أراد خلاصَ يوسف عليه الصلاة والسلام من الجُبِّ أزعج خواطر السَّيَّارة بأن أعدمهم الماءَ حتى احتاجوا إلى الاستقاء لِيَصِلَ يوسف عليه الصلاة والسلام إلى الخلاص عنايةً منه سبحانه وتعالى لنبيه والقصة مذكورة بتفاصيلها في القرآن الكريم فتدبرها، وخلاصتها أن الله سخر له عزيز مصر وكان مؤمناً، بأن حمله إلى بيته حيث طلب من زوجه أن تعتني به وتكرم مثواه، وتتلطف به وذلك لما سمع من غرائب أحواله من السيارة الذين أتوا به من أرض فلسطين، فتفرس به أن يكون له شأنٌ عظيم راغباً فيه أن يكون ابناً له، وذلك كُلُّه لا يكونَ من شأنِ العبيدِ، وهو أقل ما يناسب مقام النبوة قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾"يوسف:21"، فتبصر أيها الطالب للحق في قدرة الله وعنايته بأحب خلقه حيث نقله من بلاد الشام إلى مصر ليُعلي شأنه ويُعظم قدره، فلا تتسرع بإصدار الأحكام بمقاييس الوهم جُزافاً فتقع بما يُغضب الله بسبب إذايتك وتنقيصك من مقام أحب الخلق إليه كما بينته في رسالتي "وجوب التصديق بتنزيه يوسف الصديق".

• وقولنا "**يأتي بشرع جديد**": خرج به النبي؛ لأنه متبع لشرع الرسول الذي قبله.

• وقولنا "**ويكون ناسخاً لشرع الرسول الذي قبله** ": إما أن يكون النسخ بالكلية لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾"المائدة:48"، وإما بالجزئية لبعض أحكام شريعة الرسول الذي قبله، لقوله تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾"آل عمران:50"، والنسخ يكون في فروع العبادات والمعاملات، ولا يدخل في أصول العقائد ومتعلقاتها.

أما النبي: هو إنسان، حر، يوحى إليه من الله عز وجل، ويكون مُتبعاً لشرع الرسول الذي قبله، ويُؤمر بتبليغه.

وبناء على ما تم بيانه يتضح لك أن معنى الرسالة مغايرٌ لمعنى النبوة، فالرسالة أعم، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾"الحج:52"، فعطف النبي على الرسول في الآية يوجب المغايرة، ولما جاء من حديث أَبِي ذر، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمِ النَّبِيُّونَ؟ قَالَ: (مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ)، قُلْتُ: كَمِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (ثَلاثُ مِائَةٍ، وَثَلاثَةَ عَشَرَ)"رواه البيهقي في السنن وشعب الإيمان، والطبري في التاريخ، وعند ابن حبان في صحيحه بزيادة (جم غَفيرَ) وكذلك صححه الحافظ ابن كثير وابن حجر".

تنبيه:

اعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخير أن النبوة لا تختص بالذكور، بل يجوز عقلاً وشرعاً أن تكون في النساء، كما هو الحال مع السيدة مريم عليها الصلاة والسلام؛ لأن علماء أصول الإعتقاد أصلوا وأجمعوا واتفقوا أن الملائكة لا تتنزل ولا تُكلم

بصفتها الروحانية إلا الرسل والأنبياء، وقد جاءت الآيات القرآنية دالة على نبوة السيدة مريم عليها الصلاة والسلام، وهي مسألة تخفى على كثير من طلبة العلم، والسبب في ذلك التقليد فيما لا يصح فيه التقليد، رغم الإجماع المنعقد أنه لا يصح التقليد في العقائد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾"آل عمران:42"، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾"آل عمران:45"، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾"مريم:18-19"، وصيغة الملائكة هنا تفيد التعظيم والمقصود بها جبريل أمين الوحي، والآيات في نبوة مريم كثيرة وكثيرة جداً وهي صريحة في نزول الوحي على السيدة مريم عليها الصلاة والسلام وما جاء فيها قرآناً فاق كثيراً مما جاء لإخوتها من الأنبياء ويكفي أنها ذكرت في سورة الأنبياء معطوفةً عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾"مريم:16"، وقد بينت كل ذلك برسالتي "القول المتيم بنبوة السيدة مريم" فتبصر وتدبر واهجر التقليد في العقائد لأنه غالباً لا يأتي بخير.

ولما جاء في حديث أَبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ لِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ)"رواه النسائي وأحمد وأبي يعلى في مسنده" وفي الحديث دلالة على نبوة السيدة مريم عليها الصلاة والسلام؛ لأن كلمة "إلّاَ" جاءت للإستثناء وما بعد الاستثناء يفيد حكماً زائداً كما قرره علماء الأصول، وما هو الزائد على نساء العالمين إلا النبوة فتدبر!!.



فصل

بيان عدد الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام

يجب على المكلف أن يؤمن بأن لله رسلاً وأنبياء على الإجمال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾"غافر:78"، فلا يوجد في الآية تعلق وتمسك بعدد الأنبياء والمرسلين، بل هو بيان من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنا أرسلنا يا محمد رسلاً من قبلك إلى أممهم منهم من قصصنا عليك نبأهم وحكاياتهم ومنهم من لم نقصص عليك نبأهم وحكاياتهم والقرآن يشرح بعضه بعضاً، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾"هود:100"، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾"يوسف:3" وأما بيان عددهم فقد جاء في حديث أبي ذرٍ السابق، والإجماع الذي نقله الإمام أبو منصور البغدادي في (أصول الدين) فقال: "أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين على أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما وردت به الأخبار الصّحيحة، أولهم أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم" اهـ.

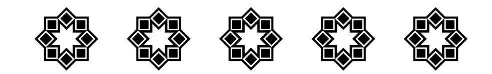
أما ما جاء به القرآن فيجب الإيمان به على التفصيل، والمتفق عليه خمس وعشرون في كتاب الله، وقد جمعت سورة الأنعام ثمانية عشر نبياً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾"الأنعام:83-86"، والباقون: آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾"آل عمران:33"، وإدريس عليه السلام قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾﴾"مريم:56"، وشعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾﴾"الشعراء:177-178"، وصالح عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾﴾"الشعراء:142-143"، وهود عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾﴾"الشعراء:124-125"، وذو الكفل عليه السلام قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾"ص:48"، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾"الأحزاب:40".

قَالَ الْشيخُ الْعَلَامَةُ إبراهيم الْمَارِغنِي الْمَالِكِيّ الْتُونِسيُّ رحمه الله:

خَمْسٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الرُّسْلِ بِهِمْ		قَدْ وَجَبَ الإِيمَانُ تَفْصِيلاً عِهِمْ
وَفِي الْكِتَابِ ذُكِرُوا بِدُونِ رَيْبْ		هُمْ آدَمُ إدْرِيسُ نُوحٌ وشُعَيْبْ
ذُو الكِفْلِ إِلْيَاسُ الْيَسَعْ أَيُّوبْ		إِسْحَاقُ صَالِحٌ كَذَا يَعْقُوبْ
هَارُونُ لُوطٌ زَكَرِيَّا مُوسَى		يُوسُفُ إبراهيم ثُمَّ عِيسَى
يُونُسُ إِسْمَاعِيلُ ثُمَّ هُودْ		يَحْيَي سُلَيْمَانُ كَذَا دَاودْ
مُحَمَّدٌ خَاتَمُهُمْ وَقُلْ يَجِبْ		الايمَانُ إجْمَالاً بِغَيْرِهِمْ تُصِبْ

ومما يجب أن يعلم أن أول الرسل سيدنا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا **محمد** صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾"آل عمران:33"، وَلِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: **(نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ)**"رواه ابن حبان والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح"، وقد أجمع المسلمون على ذلك، قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في (أصول الدين) ما نصه: "أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين **محمد** صلى الله عليه وآله وسلم" اهـ.



أولاً: الصفات الواجبة للرسل والأنبياء

ذهب أهل الحق أن النبوة لا تكتسب بالجد والإجتهاد في العبادات، إنما هي هبةٌ من الله تعالى تفضل بها على من اختص وشاءه من عباده، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾"غافر:15"، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾"الأنعام:124"، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾"طه:13"، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾"البقرة:269".

قال **الإمام أبو القاسم القشيري** رحمه الله في (عقيدة أهل التصوف) ما نصه: "ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَلَــمْ تَكُــن نُبُــوَّةٌ مُكتَسَــبَه   وَلَــوْ رَقَى فِي الْخَــيرِ أَعْلَى عَقَبَــهْ

بَــلْ ذَاكَ فَضْــلُ اللهِ يُؤْتِيــهِ لِمَــنْ   يَشَــاءُ جَــلَّ اللهُ وَاهِــبُ الْمِــنَنْ

واعلم أن الرسل والأنبياء بشر في أصل الخلقة لكنهم ليسوا كالبشر بما ميزهم الله ووهبهم من صفات الكمال، فهم أكمل الخلق صورةً ومعنىً، وأطهرهم ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾"الأنعام:86".

فلهذا يجب لهم من الصفات ما يحقق المقصود من إرسالهم لذاتهم إجمالاً مثل الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، وهي صفاتٌ جامعةٌ لكل معاني الكمال في حقهم، مانعةٌ من كل معاني النقص التي قد نتوهمها في حقهم عليهم الصلاة

والسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسلّم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسلّم حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ)"رواه الترمذي في الشمائل وابن عساكر في تاريخ دمشق وتهذيب الكمال للمزي وغيرهم ".

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

يَجِــبُ للرُّسْــلِ الْكِــرامِ الصِّــدْقُ أَمَانَــــــةٌ تَبْلِــــــيغُهُمْ يَحِــــــقُّ

قلت:

ثُـــمَّ الْفَطَانَـــــةُ لَهُـــــمُ حَـــــقُّ فَمَـــيِّزِ الْكَـــذِبَ مِـــنَ الصِّـــدقُ



صفة "الْصِّـدْق"

اصطلاحاً: هو مطابقة الخبر للواقع مطابقةً تامة، مثل إخبار الأنبياء بأنهم أرسلوا إلى الخلق وكل ما يتعلق بالوحي، والصدق ثابت للرسل والأنبياء الكرام في دعواهم النبوة والرسالة، وكذلك يجب لهم الصدق حتى في الكلام المتعلق بأمور الدنيا ولو كان مزاحاً، فلا يقع منهم الكذب في شيء من ذلك كُلِهِ لا عمداً ولا سهواً قبل التبليغ، أما بعد التبليغ فيجوز عليهم السهو لحكمة التشريع.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الصدق في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾"النجم:3-4"، وقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾"يس:52"، وقال تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾"الأحزاب:22".

- **من السنة المشرفة**: عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ: (لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً)"رواه البخاري والطبراني في المعجم الأوسط"، ولحديث الحسن البصري مرسلاً، قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: (يَا أُمَّ فُلانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ)، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: (أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾"الواقعة:35-37")"رواه الترمذي في الشمائل والبغوي في معالم التنزيل وغيرهما"، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟ قَالَ: (إِني لا أَقولُ إِلَّا حَقَّاً)"رواه الترمذي وأحمد والطبراني في المعجم الأوسط وغيرهم"، وعن أَنس بن مالك رضي الله

عنه، أَنَّ رَجُلاً اسْتَحْمَل رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ)"رواه أبو داود والترمذي وغيرهما".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على وجوب صدق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال **القاضي عياض اليحصبي المالكي** رحمه الله: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ الْمُوبِقَاتِ" "رواه السفاريني في لوامع الأنوار".

قال **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام**: "عَرَّفَنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف، وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ القرآن وبيان المفصلات للإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به "**اهـ**. "دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، للإمام تقي الدين الحصني الشافعي".

قال **الإمام أبو بكر الباقلاني** رحمه الله في (الإنصاف) ما نصه: "ويجب أن يعلم: أن صدق مدعي النبوة لم تثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم بالإتيان بمثل ذلك"اهـ.

الدليل العقلي على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالصدق:

لأنهم لو لم يكونوا صادقين للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى، وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب وهو وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام في كل ما جاؤوا به.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

لَوْ لَمْ يكونوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ أنْ يَكْذِبَ الإلهُ في تَصْدِيقِهِمْ
إذْ مُعْجِزاتُهُمْ كَقَوْلِهِ، وَبَرّ صَدَقَ هذا الْعَبْدُ في كُلِّ خَبَرْ

المعجزة

اصطلاحاً: هو أمرٌ خارقٌ للعادة، يظهر على يد مدعي النبوة أو الرسالة، مقرون بالتحدي، مُوافقٌ للدعوى، سالمٌ عن المعارضة بالمثل، دالٌ على صدق المدعي.

- فقولنا "**خارق للعادة**": خرج بذلك غير الخارق للعادة، وهو ما اعتاده الناس واستمروا عليه، كغرائب المخترعات والموجودات.
- وقولنا "**يظهر على يد مدعي النبوة أو الرسالة**": ليعلم أنه تصديق له فخرج بذلك الكرامة، والمعونة، والإستدراج، والإهانة.
- وقولنا "**مقرون بالتحدي**": خرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة، والآية وهي ما كانت بعد النبوة.
- وقولنا "**موافق للدعوى**": خرج بذلك الإهانة لأنها مخالفة للدعوى، مثال ذلك ما إذا قال: علامة صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.
- وقولنا "**سالم عن المعارضة بالمثل**": خرج بذلك السحر والشعوذة لأنه يعارض بمثله وبأقوى منه.

- وقولنا "**دالٌّ على صدق المدعي**": خرج بذلك ما إذا كان مُكذب له، مثال ذلك إذا قال: علامة صدقي نطق هذا الحجر فنطق بما هو مخالف له، كقوله: أنت مفتر كذاب.

ومن شروطها:

- أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً، فالأول كالقرآن، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.
- ألا تكون في زمن نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها، وما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر، وللأرض أن تنبت فتنبت، وللكنوز أن تخرج فتخرج، وكذلك كل ما يظهر على يدَيّ الدجال.

ومن المعجزات الخاصة به صلى الله عليه وآله وسلم معجزة الإسراء والمعراج

يجب الإيمان بالإسراء والمعراج، وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وأنه كان بالجسد والروح، وإسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً البراق بصحبة سيدنا جبريل عليه السلام، فنزل وصلى بالأنبياء عليهم السلام إماماً، ثم عرج به إلى السماوات العلا، ثم إِلَى سِدْرَة المُنتهى، ثم إِلَى مستوىً سمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الأقلام، وقد رأى الملائكة والأنبياء في منازلهم ودخل الجنة، ورأى النار، وافتُرض عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس، وسمع كلام الله الأزلي، ثم رجع في ليلته إلى مكة، وكل ذلك كان بروحه وجسده صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً لا مناماً.

وحادثة الإسراء والمعراج هي الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسماء ولم يشاركه فيها نبي ولا ملك، التي إذا تدبرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، وفضله بها على الأولين والآخرين، ومن أنكر الإسراء والمعراج فقد نزع ربقة الاسلام من عنقه، إلا قريب عهد بالإسلام أو قادم من المناطق النائية.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالإسراء والمعراج:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم**: قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾"الإسراء:1"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾"النجم:13-18"، والمقصود بالرؤية هنا رؤية سيدنا جبريل عليه السلام.

- **من السنة المشرفة**: عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ)، قَالَ: (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ)، قَالَ: (فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ)، قَالَ (ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ "، قَالَ: "فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ

عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "، قَالَ: "فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، قَالَ: "فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "، قَالَ: "فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ)"رواه مسلم"، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وعن مسروق قال قلت للسيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: "لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾"الأنعام:103"، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾"الشورى:51"...، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ""رواه البخاري".

وقد اعتبر المحققون من العلماء الخارق للعادة ثمانية أنواع:

1- الإرهاص، وهو: ما يقع للنبي قبل البعثه ويسمى تأسيساً، مثل كلام عيسى عليه السلام في المهد، وإظلال الغمام له صلى الله عليه وآله وسلم، وشق صدره صلى

الله عليه وآله وسلم كما ثبت في صحيح مسلم، ووجود طعام الصيف في فصل الشتاء للسيدة مريم وطعام الشتاء في فصل الصيف مع الحفاظ على منافعه في الصيف والشتاء كما جاء به القرآن.

2- المعجزة، وهي: ما يقع للنبي بعد بعثته متحدياً بها قومه، مثل النار التي لم تحرق إبراهيم، وعصى موسى التي انقلبت ثعباناً، وإحياء الموتى لعيسى، والقرآن الكريم والإسراء والمعراج وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وانشقاق القمر وغير ذلك كثير، وهذا الخارق إما أن يكون بطلب النبي ورغبته وإما إكراماً وهبةً من الله لنبيه تعظيماً له ولمكانته عند خالقه وتنبيهاً للعباد على رسالته.

3- الآية، وهي: ما يقع للنبي بعد بعثته لا بقصد التحدي، مثل: نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحنين الجذع له، وقد يحصل بغير رضى النبي لحكمة، مثل فرار الحجر بثوب موسى كما ثبت في الصحيحين، حتى مر على ملأ من بني إسرائيل وهو عريان، فرأوا جسده سالماً لا عيب فيه وذلك بعد أن رموه بمرض الأدرة وهو انتفاخ الخصيتين.

4- الكرامة، وهي: ما يقع على يد مؤمن صالح، غير مقرون بدعوى النبوة، منقاد للنبي ومصدقاً له، مثل ما وقع لنوم أهل الكهف ثلاث مائة سنين وتسعة، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾"الكهف:25-26"، ومثل ما وقع لآصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتد إليه طرفه، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾"النمل:40"، وما تواتر من وقوع الكرامات لكثير من الصحابة، قال الإمام التاج السبكي رحمه الله في معيد النعم

ومبيد النقم: (كان عمر رضي الله عنه قد أَمَّرَ سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: "يا سارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)"ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة بلفظ آخر"، وأخرج أبو نعيم من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه قال: عرض لعلي عليه السلام رجلان في حكومة، فجلس في أصل الجدار، فقال رجل: يا أمير المؤمنين الجدار يقع، فقال علي عليه السلام: امضِ كفى بالله حارساً، فقضى بينهما، وقام ثم سقط الجدار، وأخرج أيضاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: حَدَّثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ رَجُلاً بِحَدِيثٍ فَكَذَّبَهُ، فَمَا قَامَ حَتَّى أُعْمِيَ، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من جهة ليث ابن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر أن علياً عليه السلام حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، وقد كثرت الكرامات فيما بعد زمن الصحابة والتابعين، فدونها العلماء في كتب مستقلة كالحلية لأبي نعيم الأصبهاني، والرسالة القشيرية للإمام القشيري، وطبقات الأولياء للشعراني، وغيرهم الكثير.

5- **المعونة** أَو التأييد، وهي: ما يقع لمؤمن من تفريج كربة، أو إنقاذ من أزمة، من غير سعي منه، ولا استعانة بأحد من الخلق.

6- **الإهانة،** وهي: ما يقع للمتنبي – أي مدعي النبوة – بنقيض قصده، مثل ما يحكى: أن مسيلمة الكذاب مسح بيده رأس صبي فقرع، وتفل في بئر فنضب ماؤها وصار ملحاً، وتفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

7- الإستدراج، وهو: ما يظهر على يد فاسق خديعةً ومكراً به.

8- السحر، وهو: قواعد يَقدِرُ بها الساحر على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعد السحر وعلومه، ويمكن اكتسابه بالتعلم.

فيتبين من هذا أن الخارق بالنسبة للنبي ثلاثة أنواع: إرهاص، معجزة، وآية.

واعلم أن كل معجزة آية ولكن ليس كل آية معجزة فوجب التفريق بين ما هو عام وخاص.

فائدة:

كرامات الأولياء حق، وإنكارها مكابرة، فالولي همه إرضاء الله تعالى لا حصول الكرامة، ولذا نقل القشيري في رسالته عن أبي علي الجوزجاني قوله: "كُنْ صَاحِبَ الِاسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبَ الْكَرَامَةِ، فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَربُّكَ يُطَالِبُكَ بِالِاسْتِقَامَةِ"اهـ.

وبناء على ما سبق، فإن كرامة الولي، إنما هي حقيقتها معجزة للنبي، إذ أن ذلك الولي ما أعطيها، إلا باتباعه للنبي.

قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والآيات للأنبياء والكرامات للأولياء حق" اهـ، و**قال الإمام محي الدين النووي** رحمه الله في كتاب (بستان العارفين) ما نصه: "اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، وأما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه، ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع، وأما النقول: فآيات القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي** رحمه الله:

وَأَثْبِـــتَنْ لِلْأَوْلِيَـــا الْكَرَامَـــهْ وَمَـــنْ نَفَاهَـــا فَانْبِـــذَنْ كَلَامَـــهْ

قال **الإمام البوصيري المصري** رحمه الله:

وَالْكَرَامَـــاتُ مِـــنْهُمُ مُعْجِـــزَاتٌ حَازَهَـــا مِـــنْ نَوَالِـــكَ الْأَوْلِيَـــاءُ

فائدة:

اعلم أن المعجزات وسائر السمعيات يُكتفى فيها بخبر الواحد الصحيح بلا نزاع عند أهل الحق، لأنهم أجمعوا أن ما جاز في العقل وورد بوقوعه السمع وجب قبوله وحمله على ظاهره، وقد صرح بذلك كثير من العلماء كالنووي في شرحه على مسلم، والقاضي عياض في الشفا، وابن حجر في فتح الباري، **قلت**: وكل ما تفرع عن الأصل يكفي فيه خبر الآحاد.



صفة "الأمـانة"

اصطلاحَاً: المراد بها العصمة، أي حِفظُ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم وجوارحهم من التلبس بما هو منهيٌّ عنه حسياً كان أو معنوياً، سواء قبل النبوة أو بعدها، أما قبل النبوَّة لِئلَّا يُعَيِّرَهُم الناس بها بعد النُبوَّة ويُسمَّى ذلك إرهاصاً، أمَّا بعد النُبُوَّة فهي العِصْمة، فلا تقع منهم الكبائر ولا صغائر الخسةِ ولا يقع منهم الكفر أو المحرم، وكذلك حِفظُ جسدهم الشريف من كلِّ مرضٍ فيه تنفير، أما المعنوية فقد حفظ الله بواطنهم من الغلِّ والحسد والبُغض وكل معاصي القلب، ويُسمَّى صاحبها أميناً للأمن في جِهَتِه من كل ما سبق كما مرَّ آنفاً.

وقد اخْـتُلِـفَ في جواز وقوع الصغائر دون الخِسَّة منهم عليهم الصلاة والسلام، وإنَّ مَنْ صرَّحَ بالجواز قال إنهم يتوبون منها قبل أن يراها الناس كي لا يقتدي بهم أحدٌ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾"طه:121-122"، وقوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾"ص:24" وغير ذلك من الأدلة وكونه لم يره أحد يعصي الإله، فكأنَّ هذه المعصية لم تَقَعْ، والعبرة بعدم الرؤية لئلا يقع الاقتداء بهم، فالذي أخبر بوقوع المعصية الله، وكذلك الذي أخبر بالتوبة والاجتباء هو الله، فكان ذلك من قبيل الإخبار عن الله وليس عن مشاهدةِ أحدٍ من الناسِ، أمَّا صغائرُ الخِسَّةِ فلا خلاف في استحالتها عليهم؛ لأنَّها تتنافى مع كمالاتهم.

ولـيُعلم أنَّ أفعال الأنبياء محصورة في الطاعة وهي الواجب والمندوب، فلا يفعلون المباح تشهياً، وإذا وقع منهم صورة ذلك فهو للتشريع، فينقلب واجباً أو مندوباً في حقهم.

الأَدلة النقلية على وُجُوبِ صفة الأمانة فِي حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم:** قَال تَعَالَى: ﴿إِنِّى لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾"الشعراء:107"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾"الأنفال:58"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾"الأنبياء:51".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ: عن أبي رافع** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: (واللهِ إنِّي لَأمينٌ في السَّماءِ، أمينٌ في الأرض...)"رواه الطبراني في المعجم الكبير وغيره"، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ)"رواه أحمد وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهما".

- **الإجماع:** وقد أجمعت الأمة على وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها، وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب فلذلك جاز عليهم"اهـ. وهو من قبيل التشريع.

قال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر): "والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والفواحش وقد كانت منهم زلات وخطيئات" اهـ.

الدليل العقليّ على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالأمانة:

لو فعلوا محرماً أو مكروهاً لكنا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمر بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، وهو لا يأمر بمحرم ولا مكروه، فأصبح هذا الأمر منهيٌّ عنه بإعتبار، ومأمور به باعتبار آخر، فلما كان صدور المحرم يفضي إلى هذين الضدين الباطلين، كان صدور الفسق عنهم محال وما أدى إلى المحال فهو محال.

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ رحمه الله:

لَـوِ انْـتَفَى التَّبْلِيـغُ أَوْ **خَـانُوا** حُـتِمْ   أَنْ يُقْلَـبَ الْمَـنْهِيُّ طَاعَـةً لَهُـمْ



صفة "التَّبليـــغ"

اصطلاحاً: إيصالهم كل ما أمروا بتبليغه للخلق، لا ينكرون منه شيئاً، لا نسياناً ولا عمداً.

واعلم أن ما جاؤوا به من عند الله تعالى أقسام ثلاثة:

1- قسم أمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.
2- قسم أمروا بكتمانه، فلم يبلغوا منه حرفاً.
3- قسم خُيروا بتبليغه، فبلغوه لمن كان أهلاً.

فيجب على الرسل والأنبياء التبليغ، لثبوتِهِ في صريح القرآن والسنة وموافقته لصريح العقل، فقد أخذ الله الميثاق على العلماء بالتبليغ والتبيان، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾"آل عمران:187" فإذا كان هذا حال العلماء المتبعين للأنبياء والمرسلين، وقد توعد الشرع في صريح الكتاب والسنة الذين يكتمون العلم ولا يبينونه للناس باللعن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾"البقرة:159"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)"رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وبهذا يتبين أن العالم واجبٌ عليه التبليغ فمن باب أولى وجوب التبليغ على الأنبياء والمرسلين وهو من قبيل الاستدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، وكذلك شرع من قبلنا هو شرع لنا ما لم يأت ناسخٌ، وكل ذلك يفيد وجوب التبليغ.

ويجوز على الرسل الكرام نسيان ما كان من قبيل فضائل الأقوال والأفعال ولكن بعد التَّبليغ، أما ما كان من قبيل الثوابت كالصلاة والصوم والحج والزكاة والمواريث والدماء والفروج وغيرها من الأركان فلا، ويجوز النسيان مع التلبس بالفعل لحكمة التشريع، فقد سها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خمسة مواضع:

1- أنه سلم من ركعتين، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَت السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قُصِرت الصَّلَاةُ؟ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِسيتَ أَمْ قُصِرَتْ الصَّلَاةُ؟ فَقَالَ: (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ، فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذو الْيَدَيْنِ؟) فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ، ثُمَّ سَلَّمَ.

2- وأنه سلم من ثلاث ركعات، كما جاء عند مسلم عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَفِي لَفْظٍ: فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَال لَهُ: الْخِرْبَاقُ، وَكَانَ فِي يَدِهِ طُولٌ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَر لَهُ صَنِيعَهُ، فَخَرَجَ غَضْبَانَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: (أَصَدَقَ هَذَا؟) قَالُوا: نَعَمْ، فَصَلَّى رَكْعَةً ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ.

3- أنه سلم من خمسة ركعات، وهو في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظُّهْرَ خَمْساً فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: (وَمَا ذَلِكَ؟) قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْساً، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا سَلَّمَ.

4- وأنه ترك التشهد الأول، كما رواه الشيخان عن عبد الله بن بحينة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَامَ، فَلَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ وَنَظَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ سَلَّمَ.

5- وأما ما ذكر من سجوده صلى الله عليه وآله وسلم للشك فقد يستدل له بما رواه ابن مسعود قال: صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ إبراهيم: زَادَ أَوْ نَقَصَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَالَ: (إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ) "رواه البخاري".

أما في الفضائل فهو كثير، مثل ما روي في الصحيحين عن السَّيِّدَة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلاً يقرأ، فقال: (رحمه الله، لَقَدْ أذْكَرَنِي آيةً كُنْتُ أُنْسِيتُها).

وسهوهم عليهم الصلاة والسلام ناشئ عن اشتغالهم بالله سبحانه وتعالى، وما أجمل ما قاله "شارح المشارق" أبي اسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن قرقول المالكي:

يَـا سَـائِلِي عَـنْ رَسُـولِ اللهِ كيْـفَ سَـهَا وَالسَّـهْوُ مِـنْ كُلِّ قَلْـبٍ غَافِـلٍ لاهِي
قَـدْ غَابَ عَـنْ كُلِّ شَيءٍ سِرُّهُ فَسَـهَا عَمَّـا سِـوَى اللهِ، فَـالتَّعظيمُ للهِ

الأَدلة النقلية على وُجُوبِ صفة التبليغ فِي حقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

- **مِنَ الْقُرْآن الْكَرِيم:** قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾"المائدة:67"، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾"المائدة:3"، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾"الأعراف:79"، وقال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾"الحجر:94"، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾"النحل:44"، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾"النحل:64".

- **من السُنة المُشرفة:** عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا هَلْ **بَلَّغْتُ**، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)"رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبيها قالت: (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾"المائدة:67")"رواه البخاري والترمذي وغيرهما".

وكل ما وجب للرسل يجب للأنبياء لعموم الأدلة في ذلك وخاصة التبليغ بل هو واجب في حق العلماء وفي حق الأنبياء أوجب لأنهم مأمورين باتباع الرسل.

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أنَّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بالتبليغ.

قال **الإمام السبكي** رحمه الله: "أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وغيره" "نقله القسطلاني في شرح المواهب اللدنية في المنح المحمدية".

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

يجِــبُ للرُّسْــلِ الكِــرَامِ الصِّــدْقُ أَمَانَـــــةٌ تبلِـــــيغُهُمْ يَحِـــــقُّ

الدليل العقليّ على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالتبيلغ:

لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان بعض ما أوجب الله علينا تبليغه من العلم لمن احتاج إليه؛ لأن الله سبحانه أمرنا بالاقتداء بهم، والكتمان محرم، ملعون فاعله، وفِعْلُهُم للمُحرَّمات مستحيل، لِمَا علمنا من وجوب أمانتهم، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلَزِم العكس، وثبت المطلوب، وهو وجوب صفة التبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

مُحَـــــالٌ الكَـــذِبُ والمــــَنْهِيُّ كَعَــدَمِ التَّبْليــغ يَــا ذَكِـــــــيُّ

فائدة:

إن مما يجب أن يُعلم أنَّ الرسل والأنبياء مأمورون بالتبليغ فيما أمروا بتبليغه لا ينكرون منه شيئاً، وقد ظهر ذلك في بيان صفة التبليغ وأدلتها النقلية كما جاء في صريح الكتاب والسنة ولا يمنعه العقل السليم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾"الحج:52"، فالآية صريحة في إرسال الرَّسول والنبي من الله تعالى، فما العبرة من الإرسال إن كان حال النَّبي مخفيّاً، وكان غير مأمور بالتبليغ؟!.

وإنّ في تعرض الأنبياء للاستهزاء والأذية والقتل، لأكبر دليل على تبليغهم؛ لأن ذلك القتل وتلك الأذية لا تكون في حقِّ مُستَتر لا يُعرف حاله بين الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧﴾"الزخرف:7"، والآيات كثيرة في هذا المعنى.

ثمّ إنَّ الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على العلماء بالتبليغ وعدم الكتمان قرآناً وسنةً، وفي ذلك أكبر دليل على تبليغهم عليهم الصلاة والسلام، فقد ذمَّ المولى تعالى الكاتمين وتوعَّدهم بأليم العذاب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾"البقرة:159"، فإذا كان هذا حالُ العلماء ورثة الأنبياء، فكيف بالأنبياء وهم أعلى مقاماً ورتبة، وهذا ما يعبر عنه بالاستدلال بالأدنى على الأعلى.

ولحديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه آله وسلم: (أُعطِيتُ خَمساً لَم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنبيَاءِ قَبلِي...)، إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِهِ خاصَّة، وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّة)"رواه البخاري"، وكيفَ يكونُ النَّبي مبعوثاً إلى الناس وهو مستورٌ عنهم غيرُ مُبلِّغ لهم!، وقد بينت كل ذلك برسالتي "غاية المأمول في التفرقة بين النبي والرسول".

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

يجِـــبُ للرُّسْـــلِ الكِـــرَامِ الصِّـــدْقُ أمَانَـــــةٌ **تبلِـــــيغُهُمْ** يَحِـــــقُّ



صفة "الفَطانة"

اصطلاحاً: هي كمال العقل وحدة الذكاء، لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الفاسدة، فلو وُزن ذكاء نبي واحد من الأنبياء في كفة، ووُزن ذكاء أهل زمانه مجتمعين في كفة، لرجحهم ذكاؤه، وهكذا بقية الأنبياء في صفاتهم يفوقون أهل زمانهم مجتمعين وهم فيما بينهم متفاضلين وتفضيلهم من الله لا دخل للعقل فيه.

الأَدلة النقلية على وُجُوبِ صفة الفطانة فِي حقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾"الأنعام:83"، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾"هود:32"، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾"النحل:125".

- **من السُنة المُشرفة**: عَنْ السَّيِّدَة عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبيها قَالَتْ: قَالَ رَسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، ولا يكون صلى الله عليه وآله وسلم الأعلم إلا أن يكون الأكمل عقلاً وفهماً، وما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لجميعهم؛ لأن منصبهم يقتضي ذلك قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾"البقرة:285"، ويدل عليه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى)"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، فلا تفريق بينهم فيما يجب وما يجوز وما يستحيل عليهم، إنمّا التفريق يكون فيما فضَّل الله تعالى به بعضهم على بعض وهو تفضيل شرعيّ، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾"البقرة:253".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على وجوب الفَطانة للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَوَاجِـــبٌ فِي حَقِّهِـــمْ الأَمانَـــهْ وَصِـــدْقُهُمْ وَضِـــفْ لَهُ الْفَطَانَـــهْ

قلت:

ثُـــمَّ **الْفَطَانَـــةُ** لَهُـــمْ حَـــقُّ فَمَـــيِّزِ الْكَـــذِبَ مِـــنَ الصِّـــدْقُ

الدليل العقليّ على وجوب إتصاف الرسل الكرام بالفطانة:

أن أداء رسالتهم لا يتم إلا بذلك؛ لأن من لم يكن فطناً أي مغفلاً لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة عن دعوته وإبطال شبهة المخالفين، ولأننا مأمورون بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، والمـُقتدى به لا يصح أن يكون بليداً مغفلاً.

فائدة:

وممّا يدل على فطنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾"طه:114"، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾"القيامة:16-17"، فالآيتان صريحتان في كونه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرك لسانه بالقرآن لحفظه وخشية ذهابه، وهذا من حدة ذكائه وفطانته، وقد شهد الله له بذلك بأنه لا ينسى وهذه إشارة بالغة على حدة ذكائه صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾"الأعلى:6".



ثانياً: ما يستحيل على الرسل والأنبياء

مما يجب أن يُعلم بأنّه يستحيل في حقِّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلُّ صفة نقصٍ تقدح في مقاماتهم العليَّة، وإنَّ كلَّ معاني النقص مندرجة تحت أضداد الصفات الواجبة لهم.

فيستحيل عليهم الكذب: وهو ضد الصدق، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾"الحاقة:43-47".

وتستحيل عليهم الخيانة: وهي ضد الأمانة، فلو وقع المحرم منهم لوجب زجرهم؛ لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محرمٌ شرعاً وغير جائز ولا بوجه من الوجوه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾"الأحزاب:57".

ويستحيل عليهم الكتمان: أي كتمان شيء مِمَّا أُمروا بتبليغه وهو ضد التبليغ، إذ كيف يقع منهم، وقد شهد الله تعالى لهم بالتبليغ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾"الأحزاب:39"، وقال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾"الجن:28"، وقد أُذن لهم عليهم الصلاة والسلام في إيصال بعض العلوم لبعض الخصوص دون العموم، كبعض ما خَصَّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آل بيته الأطهار عليهم السلام، فعَنْ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها

قَالَتْ: (أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَرْحَباً بِابْنَتِي) ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَخَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ ثُمَّ تَبْكِينَ ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحاً أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيَّ فَقَالَ: (إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أَراه إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحُوقاً بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: (أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَتْ: فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ "رواه الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام عَلَى مِنْبَرِكُمْ هَذَا يَقُولُ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ "رواه أبو يعلى في مسنده وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، وغيرهما"، وكذلك خصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض صحابته الكرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلمَ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ" "رواه البخاري"، وعن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما قال: "مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أخبرني عَنِ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)"رواه مسلم".

وتستحيل عليهم بَلادة الذهن: وهي ضد الفطانة، ومعناها البلادة والغباء، فلا يجوز أن يكون الرسول بليداً، لأنهم قد أرسلوا لإقامة الحجة على المجادلين والمعاندين، ولا يكون ذلك من مغفل، ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف.

الأَدلة النقلية على استحالة كل تلك الصفات فِي حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

إن الله تعالى جعلهم قدوة وأئمة هدى لمن أرسلوا إليهم.

- **من القرآن الكريم**: قَال تَعَالَى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾"الأنعام:90"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾"النحل:120"، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾"الصف:2-3"، وقال تعالى: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾"الأنعام:86".

- **من السُنة المشرفة**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مالك رضي الله عنه، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ "رواه الترمذي في الشمائل وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهما".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على وجوب كل كمال خِلقي وخُلقي في الصورة والمعنى لهم عليهم الصلاة والسلام، فهم أجمل الناس في الصورة، وأسخى الناس في الكرم، وأشجع الناس في قول الحق والدفاع عنه، وهكذا في الباقي.

الدليل العقليّ على استحالة هذه الصفات على الرسل الكرام:

إن هذه الصفات، صفات نقائِص وعيوب، والأنبياء والمرسلين أئمة هدى، وإمام الهدى هو الذي يُقتدى به، فلو صدرت منهم هذه الصفات لكنا إما مأمورين بالإقتداء بهم وهذا لا يجوز، أو غير مأمورين وهذا باطل، فلما كان تلبسهم بهذه الصفات يُفضي إلى هذين القسمين الباطلين كان صدور هذه الصفات منهم مُحالاً لأسبابٍ كثيرة ذكرها علماء التوحيد منها:

أولاً: لو كانوا موصوفين بمثل هذه الصفات لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾"الحجرات:6" فالآية صريحة في التثبت والتوقف في قبول شهادة الفاسق، وهذا باطل في حق الرسل فإن لم تقبل شهادتهم في الدنيا فكيف تقبل شهادتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾"البقرة:143"، ومن كان شهيداً على جميع الخلق استحال أن يتصف بصفات تَخِلُّ بعصمته.

ثانياً: لو كانوا موصفين بمثل هذه الصفات من الكذب والخيانة لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾"الحج:38"، ولِما ثبت باستحالة الكذب والخيانة وعدم التبليغ وكل ما يخدش في صفات الكمال لهم.

ثالثاً: أجمع أهل الحق أن الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾"الأنعام:86"، وقد ثبت بالأدلة القطعية عدم صدور المعصية من

الملائكة قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾"التحريم:6"، فلو صدر من الأنبياء الفسق لامتنع أن يكونوا أفضل من الملائكة، وهو باطل، وما أدى إلى الباطل فهو باطل، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾"ص:28".

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

مُحَـــالٌ الكَـــذِبُ والمَـــنْهِيُّ ... كَعَـــدَمِ التَّبْليــغ يَــا ذَكِـــيُّ



ثالثاً: ما يجوز على الرسل والأنبياء

يجوز في حقِّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى النقص في مراتبهم العلية؛ بأن لا يكون منهيّاً عنه، ولا مُباحاً مُزرِياً، ولا مرضاً منفِّراً تعافه الأنفس.

اعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من البشر من الأكل والشرب، والبيع والشراء، ودخول الأسواق، والزواج والطلاق، والموت والحياة، واللذة والألم، والصحة والمرض، والنوم لكن بأعينهم فقط دون قلوبهم، وخروج المني لكن بسبب امتلاء الأوعية دون الاحتلام، والشرط في جواز الأعراض البشرية عليهم أن لا يكون مؤدياً إلى نقصٍ في مراتبهم العلية من حيث كونهم أنبياء، وكل ما كان من قبيل الجائز في حق عموم البشر، وواجب في حق الأنبياء والمرسلين فهو من قبيل الواجب العرضي أي أن الله أوجبه لهم، ومثله ما يستحيل في حق الأنبياء والمرسلين ويجوز في حق عموم البشر فهو من قبيل المستحيل العرضي أي أن الله جعله مستحيلاً عليهم ويسمى هذا قبل النبوة إرهاصاً وبعد النبوة معجزةً وكل ما لم يدخل تحت الواجب والمستحيل العرضيين في حقهم فهو باقٍ على أصله من قبيل الجواز.

وإن ما يقع عليهم من الأعراض البشرية لا يكون منهيّاً عنه لوجوب أمانتهم عليهم الصلاة والسلام كما مرّ معنا سابقاً، وكذا لا يكون مباحاً مُزرياً؛ أي مُحتقَراً، كسؤال الصدقة وقَبولها، وكذا الأكل في الأسواق، وما شابه مما تأباهُ الأنفس الأبية، فإن هذه الأمور وإن كانت مباحة في أصلها، إلا أنها لا تليق بكمال قدرهم أن يتلبسوا بها، لما أخرجه البخاري في الصحيح، (باب من تكلم بالفارسية والرَّطَانة)،

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن عليٍّ عليهما السلام أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفارسية: (كِخْ كِخْ أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ).

وإنَّ ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من البلاء والمرض لا يُعرِّضُهم لنفور الناس منهم، بل العكس، يزيد من رفعتهم وعلوِّ قدرهم في قلوب من سواهم، أمَّا الأعراض التي فيها نقصٌ كالجُذام والبَرَص، والصَّمَم والعَمَى، والبَكَم والشَّلل، والعَرَج والعَوَر، والحسد والبغض والخوف، التي تتنافى مع أصل النبوة في حقِّ الأنبياء وأصل كمال الخلقة في حقّ غير الأنبياء، فهي مستحيلةٌ عليهم بلا نزاع؛ لأن تلبسهم بتلك الأعراض يستلزم نفور الناس عنهم، وذلك منافٍ لما كلفوا به من دعوة الناس إلى دين الحق، فما قيل بأنَّ سيدنا شعيباً عليه السلام كان ضريراً، لا أصل له، إذ إنَّ العمى صفةُ نقصٍ في حقِّ الكُمَّل من البشر فما بالكم بخيرة الله تعالى من خلقه وهم أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام!، وكذلك ما قيل في حقِّ سيدنا يعقوب عليه السلام من أنه أصيب بالعمى، باطلٌ مستحيل، وإنما حصلت له غشاوة من كثرة البكاء وزالت، وكذلك ما قيل من أنَّ الدود خرج من جسد سيدنا أيوب عليه السلام عند مرضه فهو أكذوبةٌ مع وجوب العلم أنه يستحيل على الدود أن يأكل أجسادهم بعد الموت فما بالك وهم أحياء!، والحاصل أنّ اليهود فرّطوا حتى استنقصوا الأنبياء ووصفوهم بأمور مُنْقِصة، والنَّصارى أفرطوا في التَّعظيم حتى وصفوا سيدنا عيسى عليه السلام بصفات الألوهية، أما أهل الحقِّ من المسلمين لم يُفرِّطوا فكانوا بين ذلك قواما.

وليُعلم بأن النبي لا يخاف خوف الجبن، إنما يخاف خوف الوَجَل، وخوف التقصير في حقّ خالقه، وخوف الشفقة على من يُحب، أما الخوف خوف جبن من عدو أو من بطش ظالمٍ وباغٍ، فإنَّ هذا الأمر يترفَّع عنه بعض الأولياء، فكيف بمقام النبوة!

ثم اعلم أنَّ ما جاز عليهم من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، إنما هو بحسب ظواهرهم فقط، أما بواطنهم فهي متعلقة بحب ربِّ البرية سبحانه وتعالى، لا يَخِلُّ مرضٌ ونحوه بشيءٍ منها، ولا يحصل منهم ضجر ولا شكوى ولا تَأَوُّه، بل لا يزيدهم ذلك إلا قرباً وحبّاً لله.

وإن التنبيه لمثل هذا الأمر مهم جدّاً، فإن لذة المباح وشدة البلاء قد تشغل العامة من المؤمنين عن النية الصالحة، بل وعن عين الطاعة في الكثير من الأحيان، لكن خصوص المؤمنين الذين وَفَّقَهُمُ الله تعالى لطاعته وحمده وشكره، فلا يقع منهم الفعل إلا مصحوباً بجميل النية فتنقلب إلى طاعة، ولا تشغلهم لذة مباح أو شدة بلاء عن مداومة ذكر الله تعالى في كل حال، وإذا كان هذا حال من تَبِعَ الرُّسلَ والأنبياء، فكيف يكون حالهم الشريف عليهم الصلاة والسلام!

هذا وإن ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من الأعراض لا يخلو من فوائدَ وحكم:

- كتعظيم أجورهم عليهم الصلاة والسلام، ورفع قدرهم ومكانتهم عند المولى سبحانه وتعالى.

- وتسلية قلوبهم الشريفة عن هذه الدنيا، أي التَّصبُّرُ على ما فيها، فيجدون الراحة عند شدة البلاء، ويأنسون بلذة أنسٍ لا يعرفه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- ثم تنبيه قلوب المؤمنين إلى خِسَّة قدر الدنيا عند الله تعالى، وعدم رضاه تعالى بها دار جزاء لأوليائه فما بالك بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

- والتَّسلي بأحوالهم الشريفة إذا نزل بنا بعض ما نزل بهم، إذ هم خيرُ أسوة وخير قُدوة.

- والتَّشريع، فبفعله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم شرع لنا كثيراً من الأحكام الشرعيه، كالتيمم، وصلاة الخوف، وصلاة المرض، وغيرها من الأحكام.

الأَدلة النّقلِيَّة عَلَى على جواز الأعراض البشرية فِي حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾"الفرقان:20"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾"الرعد:38"، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾"آل عمران:144"، وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾"المائدة:75"، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾"الأنبياء:80"، وقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾"الأنبياء:78".

- **من السُنة المُشرفة**: وقد صحَّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكل وشرب ونام وتزوَّج وطلَّق وباع واشترى، وكذا غيره من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولحديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال: (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)"رواه البخاري".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على جواز الأعراض البشرية دون المنفّرة على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب **(الإقناع في مسائل الإجماع)** ما نصه: "واتفقوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ... يأكل ويجوع، ويصح ويمرض"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

يَجُــوزُ فِي حَقِّهِــمُ كُلُّ عَــرَضْ لَــيْسَ مُؤَدِّيــاً لِنَقْــصٍ كَالْمَــرَضْ

الدليل العقليّ على جواز الأعراض البشرية فِي حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

هو مشاهدة وقوعها بهم لأهل زمانهم، فقد شوهد مرضهم وجوعهم وأذيَّة الخلق لهم عليهم الصلاة والسلام، وقد نُقل ذلك بالتواتر لمن بعدهم، فكأنهم يشاهدونها عياناً.

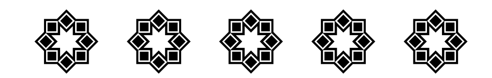
قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

جَـوَازُ الأَعْـرَاضِ عَلَـيْهم حُجَّتُـهْ **وُقُوعُهَــا بِهِــم** تَسَــلٍّ حِكْمَتُــهْ

خاتمة:

إن كل ما سبق من المعاني، والتنبيهات، هو لأجل تحقيق معنى الأصل الذي وجب لهم عليهم الصلاة والسلام، وهو وجوب كلِّ كمال خَلقي وخُلقي في الصورة والحس والمعنى، وإن هذا هو المقصود والمراد، فمهما بلغت عبارتنا في حقهم عليهم الصلاة والسلام من الجزالة والفصاحة، فإنها عن جليل رتبتهم الشريفة قاصرة، وعن كمال

مقامهم جزماً ناقصة، فلقد مدحهم الخالق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾"القلم:4"، فلنتنبه جيِّداً لهذا المقام الكريم، فقد قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾"الفتح:9"، وإنَّ فهمَنا لآيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية المطهرة، لابدَّ وأن يكون مُنضبطاً بهذا الأصل، فأيُّ وَهْمٍ ناقص، أو فَهْمٍ قاصرٍ لبعض الآيات والأحاديث، لابدَّ أن يُردَّ، لمخالفته الأصل الكريم في حقهم عليهم الصلاة والسلام، يؤول تأويلاً يليق بمكانتهم عند الله.



فصل في
وجوب الإيمان "بالكتب السماوية"

يجب على المكلف الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل والأنبياء، كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، وقد جاءت الكتب لهداية العباد ورعاية مصالحهم الدنيوية والأخروية على ما سبق في علم الله وحكمته، سواء علمنا أسمائها أم لم نعلمها ومنها: الصحف والألواح والتوراة والإنجيل والزبور، والقرآن وهو المعجزة الخالدة المُتحدى بأقصر آية منه المُبتدأ بسورة الفاتحة المُختتم بسورة الناس، وله عدة أسماء منها الفرقان والكتاب والذّكر، وهو المهيمن والنور والهدى والحق فعَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سُئِلَ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا ؟ قَالَ: (الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾"فصلت: 42" مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، فقد أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ، قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾"الجن: 2" وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ)"رواه الدارمي في مسنده".

ويجب الإيمان بالكتب السماوية وكل ما جاء فيها وبأنها بوحي من الله على رسله قال تعالى: ﴿إِنّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾"الإسراء:9"، وقال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّه وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا

أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾"البقرة: 136" فكل ما ثبت من الكتب تفصيلاً يجب الإيمان به على التفصيل، وكل ما ثبت إجمالاً يجب الإيمان به على الإجمال لأن الإيمان بالكتب والصحف والألواح هو الأصل أما أسماء الكتب وعددها فهو متفرع عن ذلك الأصل، فما ثبت قلنا به وما لم يثبت يبقى حكمه حكم ذلك الأصل، وكل ما في تلك الكتب هي عبارات والمعبر عنه واحد لا مثيل له ولا شبيه وهو كلام الله الأزلي الأبدي الذي ليس بصوت ولا حرف، والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن والصحف والألواح التي نزل بها سيدنا جبرائيل عليه السلام على قلوب الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام كلها دلالات يتوصل بها لمعرفة ما أمر به المولى سبحانه وتعالى وما نهى عنه وغير ذلك من الحكم التي تتعلق بها مصالح العباد في دنياهم ومعادهم، والذي يجب على المكلف هو تعظيم هذه الكتب على ما هيَ عليه من تحريف لأنها لا تخلو من حق ومثل ذلك القرآن اذا حُرفَ فإن تعظيمه واجب رغم أنه حُرفَ فإنه لا يخلو من الحق كذلك الكتب السماوية فإنها لا تخلو من حق رغم أنها حُرفت والقاعدة العامة في مثل هذا أن الاستهزاء بالجزء حكمه مثل الاستهزاء بالكل لا فرق في ذلك عند العلماء سلفهم وخلفهم، وكذلك مما يجب على المكلف أن يعتقده أن هذه الكتب والصحف والألواح ليست من ترتيب رسول ولا نبي ولا ملك إنما نزل بها أمين الوحي سيدنا جبرائيل عليه السلام على قلوب الأنبياء والمرسلين على وفق علمه وحكمته سبحانه وتعالى مفرقاً على فترات وما ظهر لنا من أسباب النزول كل ذلك سابق في علم الله سبحانه وتعالى مع كمال الحكمة التي يبديها لنا من تلك الأسباب الظاهرة المقرونة بالنزول.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾"البقرة: 4"، وقال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾"البقرة: 285"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾"الأعلى: 18 – 19"، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾"الأعراف: 145"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّه﴾"المائدة: 44"، وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾"النّساء: 163"، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾"الحديد: 27"، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّه وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾"النساء: 136"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"الحجر: 9".

الدليل من السنة: ما رواه عمر بن الخطاب في حديث جبريل عليه السلام الطويل عندما سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "عن الإيمان؟" فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ....)"رواه مسلم"، وعن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كم كتابا أنزل الله؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ (إدريس) ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)"رواه ابن حبان".

الإجماعُ: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمع أهل الإسلام؛ جنهم وإنسهم في كل زمان وبكل مكان

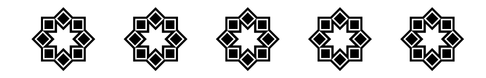
إجماعاً صحيحاً متيقناً على أن القرآن الذي أنزله الله عز وجل على رسوله عليه السلام حق لازم لكل بشر اتباعه".

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما نصه: "لم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً". (رواه الشريف الرضي في كتابه نهج البلاغة)، **وقال الإمام علي زين العابدين عليه وعلى آبائه السلام** في (الصحيفة السجادية) ما نصه: "اللَّهُمَّ إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته"اهـ، **وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار وذلك كله حق".

وقال الإمام أحمد بن سلامة الطحاوي رحمه الله في عَقِيدَتِهِ الْمُسَمّاة (بَيَانُ عقيدة أَهْل السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ) ما نصه: "والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإيمَـــانُ جَـــزْمٌ بِـــالإلَهِ **وَالْكُتُـــبْ** والرُّسْـــلِ وَالأَمْـــلاكِ مَـــعْ بَعْـــثٍ قَـــرُبْ



مبحث السمعيات

مبحث السمعيات

بعد أن أنهينا الكلام على الأحكام الضرورية الواجبة علينا معرفتها والمتعلقة بالإلهيات والرسليات وبيان براهينها، نشرع بالكلام على الأحكام الضرورية المندرجة تحت باب السمعيات.

واعلم أن أصل العقائد متوقف ثبوتها على الأدلة القطعية الثبوت الصريحة المعنى والتي اصطُلح على تعريفها بالأدلة اليقينية المكتسبة من الكتاب والسنّة والإجماع المعتبر، مثل ما مر معنا فيما يجب علينا معرفته في حق الله ورسله، فباب الإلهيات يعتمد على الدليل القطعي في قسم الواجب منها، وأما القسم الجائز فيُكتَفَى فيه بالخبر الصحيح؛ لأنه فرع عن أصل أي فرع عن ثبوت القدرة لله تعالى، وشمولها لكل مقدور، وقد أثبتهما الدليل القطعي في قسم الواجب، وباب النبوات يعتمد منها على الدليل القطعي شيئان: أولها: إثبات النبوة وحاجة الناس إليها، وثانيها: إثبات نبوة شخص معين، فلا يصح الجزم بأن شخصاً نبي، إلا إذا ثبت بالخبر الذي يفيد اليقين، وأما ما هو مندرج تحت هذا الباب الذي اصطُلح على تسميته بباب السمعيات فيُكتفى فيها بالحديث الصحيح بلا نزاع عند أهل الحق، لأنهم أجمعوا على أن ما جاز في العقل، وورد وقوعه بالسمع وجب قبوله وحمله على ظاهره، فما ثبت فيه تفصيلاً نؤمنُ بِهِ على التَّفصيلِ ومَا ثَبَتَ فيه إجْمَالاً نؤمنُ بِهِ على الإجْمَالِ، ومَنْ خَالَفَ في ذلك ضَلَّ وغوى والعِياذُ بِاللهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ مُخَالَفَتِهِ، مثل: العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنة، والنار، وَوُجُودِهِم الآنَ، أما كيفية كتابة القلم على اللوح، وما يتعلق بتفصيل العرش والكرسي، وما يدور في الجنة والنار، وكل ذلك فرعٌ عن الأصل ويُكتفَى فيه ما يثبت من الأخبار الصحيحة، فإن ثَبَتَ الدَّليلُ قَالَ العُلَمَاءُ بِهِ

وَأَثْبَتُوه، وَإِلَّا تَوَقَّفُوا رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى وفوضوا به العلمَ إلى الله، وعلى هذا يدور مبحث السمعيات.

ويقصد بالقطعي من حيث الثبوت: المتواتر كالقرآن والأحاديث المتواترة والمشهورة، ويقصد بالظني من حيث الثبوت: أحاديث الآحاد، ويقصد بالقطعي من حيث الدلالة: القول الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً، ويقصد بالظني من حيث الدلالة: ما يمكن أن يحتمل أكثر من معنى، وقد يكون الخبر ظنيّاً وينقلب إلى قطعي بإجماع العلماء المجتهدين على معناه فيصبح نصاً ولا يُقبل له تأويل.

فصل

السَّمْعِيَّات اصطلاحاً: هو ما كان طريق ثبوته السمع الوارد في الكتاب أو السنة بطريق الوحي على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن سيدنا جبريل عن اللوح المحفوظ ولا يستقل العقل بإدراكه، كفناء العالم، والبعث والحشر، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة، ويقابله ما يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ وَإِنْ وافق النَّقْلَ، فما كان طريق العلم به العقل يُسَمَّى العقليات والنظريات، وما كان طريق العلم به السمع يُسَمَّى السمعيات.

فنحن نؤمن أنّ كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما أخبر به عن المولى سبحانه وتعالى، قرآناً وسنّةً هو حقٌّ، فما جاء به الرّسولُ حقّهُ التَّسليم والقَبولُ، سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنّا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه نؤمن به وجوباً بعد ثبوته عن طريق الخبر المتواتر أو المشهور أو الخبر الثابت الصحيح الصريح اللفظ والمعنى والذي لا يقبل الاجتهاد والرأي والنظر وليس له

معارض مثله أو أقوى منه من باب الأحرى والأولى وأن لا يقبل النسخ ولا بوجه من الوجوه.

وقد تقرر مما تقدم ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحة رسالته بدليل ثبوت المعجزة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾"الأعراف:158"، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ "النساء:79"، والدليل العقلي عليه: محمد صلى الله عليه وآله وسلم ادعى الرسالة، وأَيَّدَهُ الله تعالى بالمعجزة، ومن أُيِّدَ بالمعجزة كان رسول الله، فلزم أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول من الله.

ومن ثبتت رسالته فلزم صدقه في كل ما أخبر به، فوجب قبول خبره، ودليله: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أُيِّدَ بالمعجزات، والمؤيد بالمعجزات وجب صدقه في دعواه، وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتابه (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقال أهل الحق: الصادق في دعوى النبوة يجوز ظهورُ معجزة التصديق عليه، ولا يجوز ظهور معجزة التصديق على المتنبي في دعوى النبوة"اهـ.

قال **العلامة أحمد المرزوقي المكي المالكي** رحمه الله في منظومته (عقيدة العوام):

وَكُلُّ مَـــا أَتَى بِـــهِ الـــرَّسُولُ فَـحَـقُّـــهُ التَّسْـــلِيمُ وَالْقَبُـــولُ

قال **العلامة السفاريني الحنبلي** رحمه الله في منظومته (الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

وَكُلُّ مَـا صَـحَّ مِـنَ الْأَخْبَـارِ أَوْ جَـاءَ فِي التَّنْزِيـلِ وَالْآثَـارِ

مِـــنْ فِتْنَـــةِ الْـــبَرْزَخِ وَالْقُبُـــورِ وَمَـــا أَتَى فِي ذَا مِـــنَ الْأُمُـــورِ
وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْـــوَرَى لَـــمْ تُعْـــدَمِ مَـــعَ كَوْنِهَـــا مَخْلُوقَـــةً فَاسْـــتَفْهِمِ
فَـــكُلُّ مَـــا عَـــنْ سَـــيِّدِ الْخَلْـــقِ وَرَدْ مِـــنْ أَمْـــرِ هَـــذَا الْبَـــابِ حَـــقٌّ لَا يُـــرَدْ

فيجب على المكلف الإيمان بكل ما صح ثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدخل فيه: الإيمان بالجن، والملائكة، وكذا الإيمان بالروح، والموت، وسؤال الملكين منكر ونكير، ونعيم القبر وعذابه، وقيام الساعة، وفناء العالم، والبعث، والحشر، والحساب، والثواب والعقاب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار والخلود فيهما وأن كل ذلك حق لا شك فيه ولا ريب وهو حقيقة الإيمان.

وجوب الإيمان "بالجن"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الجن فهو أمر مقطوع به لثبوته في القرآن الكريم والسنة المتواترة وإجماع أهل الحق من المسلمين، والجن هي مخلوقاتٌ لطيفةٌ ليس لها جِرْم يتصور في الذهن عندنا وإن كان لها كيفية ولكننا نجهلها مثلها مثل الروح لأن كل ذلك متوقفٌ على السمع، وهي تُشَمُّ ولا تُحك، ليس لها أجرام نعهدها ولا أشكالٌ نراها ولكن المولى أعطاها القدرة أن تتشكل بصور بعض الحيات والمخلوقات الأخرى كما ثبت في الأحاديث، فعن أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ إِذْ سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَقُمْتُ،

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَيَّةٌ هَاهُنَا، فَقَالَ: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ فَقُلْتُ: أُرِيدُ قَتْلَهَا، فَأَشَارَ لِي إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِهِ تِلْقَاءَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمٍّ لِي كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسِلَاحِهِ مَعَهُ، فَأَتَى دَارَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَائِمَةً عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ، فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَإِذَا حَيَّةٌ مُنْكَرَةٌ فَطَعَنَهَا بِالرُّمْحِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي الرُّمْحِ تَرْتَكِضُ، قَالَ: لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعُ مَوْتاً الرَّجُلُ أَوِ الْحَيَّةُ، فَأَتَى قَوْمُهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ صَاحِبَنَا، قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ) مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَداً مِنْهُمْ فَحَذِّرُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدُ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ الثَّالِثَةِ)"رواه أبو داود وأحمد"، وقد خُلقت من مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾"الحِجْر: 27"، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾"الرحمن: 15".

وسُمِّيَ الجنُّ جِنّاً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سُمِّي الجنين جنيناً، فهم يرونا ولا نراهم على خلقتهم الحقيقة، بل فقط إذا تشكَّلوا بالإنس والحيوانات وغيرهما، فقد أعطاهم المولى سبحانه وتعالى القدرة على التشكل بهما كما مر بيانه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾"الأعراف:27"، وقد نص شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث تطور الجن على صور شتى من صور الحيوانات، فقال: "ذُكر في إرشاد الساري أيضاً أنها متواترة، ونصه: وقد تواترت الأخبار بتطورهم في صور شتى، ثم ذكر أنهم يتصورون بصور بني آدم، وفي صور

الحيوانات، وفي صور الكلاب"اهـ، وقد روي في كتب السيرة النبوية، كسيرة ابن هشام، والسيرة لابن حبان، وابن كثير، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وغيرهم أن إبليس تشكل في هيئة شيخ نجدي عند اجتماع الكفار في دار الندوة لمناقشة كيفية القضاء على الإسلام، وأشار إليهم بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم: "انتخبوا عشرة شبان من عشر قبائل من قريش، وأعطوا كل واحد سيفاً ثم يعمدون إلى محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، فيقتلونه قتلة رجل واحد، فيضيع دمه في القبائل؛ فلا تستطيع بنو هاشم أن تقتل واحداً من هؤلاء الشبان وحينئذ يلجؤون إلى الدية، فتسلمون منه" اهـ، وقد روي في مسند الإمام أحمد من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلْبِ بِاللَّيْلِ أَوْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا تَرَوْنَ)، وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (الْجِنُّ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَّاتٌ وَكِلابٌ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَظْعَنُونَ)"رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الأسماء والصفات"، كما ذكر القرآن الكريم تسخير الجن لنبي الله سيدنا سليمان عليه السلام، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة شاقة تحتاج إلى القوة قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾"سبأ:12-13".

فهم خلق من خلق الله لا هم كالملائكة ولا هم كالإنس، لا كما زعم البعض أنهم الجراثيم والميكروبات التي تصيب الناس بالأمراض التي كشف عنها العلم الحديث وهذا وهم وخرافة لا أصل لها فقد دلت على وجودهم نصوص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع المعتبر، وهم مكلفون من حين الخِلْقَة، وُلِدُوا عُقَلاء مكلفين، من حيث المقدرة على فهم الخطاب ورد الجواب، ودليل ذلك عدم وجود دليل على بلوغهم، تبعاً لقاعدة "عدم وجود العلامة له علامة "ولو كان لهم علامة لأخبرنا المولى بها، ودليل تكليفهم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ "الذاريات:56"، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾" الإسراء:88"، فالقرآن وجه التحدي لكل من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فدلّ مفهوم الخطاب على أن الإنس والجن مكلفون جميعاً بالإسلام.

واعلم أن مساكنهم الجبال والأودية والخِرَبْ أي الأماكن المهجورة، والبحار والمحيطات، وهم كالإنس يتناكحون ويتناسلون، ويأكلون ويشربون، وينامون ويتمخطون ويتبرزون، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ)"رواه مسلم وأبو داود وأحمد وغيرهم"،

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَال: (مَنْ هَذَا ؟) فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: (ابْغِنِي أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ)، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: (هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنٍّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً)"رواه البخاري"، وعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَتَانِي، دَاعِي الْجِنِّ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ)، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا، فَأَرَانَا آثَارَهُمْ، وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ، فَقَالَ: (لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ، ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْماً، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا، فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وهم كذلك يتناسلون ويتناكحون كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾"الرحمن:56"، ففيه دلالة صريحة أن الجن يطمثون النساء ويتناكحون، وللإمام مالك قول في جواز التزاوج بين الإنس والجن، فقال: "ما أرى بذلك بأساً في الدين، ولكن أكره إذا وجدت أمرأة حامل، قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجن!! فيكثر الفساد في الإسلام بذلك"اهـ، وقال السيد العلامة عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام): "وقول الإمام مالك يدل على الحكمة، وبعد النظر، وهو يتفق مع الأخذ بسد الذريعة الذي اعتبره الإمام مالك في كثير من المسائل" اهـ، والجن لهم قدرة على الوصول إلى السماء الأولى ولا يستطيعون

دخلوها وإن كانوا يستطيعون إستراق السمع من خلالها، ثم قل ذلك ببركة مولده صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾"الجن:8-9".

وكما أن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام هو أبو البشر، فإبليس لعنه الله هو أبو الجنّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾"الكهف:50"، وهو أول من كفر بالله تعالى، وقد أمره المولى تعالى أن يسجد لآدم عليه الصلاة والسلام فأبى.

ثم إن منهم المسلم والكافر والطائع والعاصي كحال المكلفين من الإنس فطائعهم يُثاب بالجنة، وكافرهم يعاقب بالنار، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾"الجن:11"، والكافر منهم يقال عنه شيطان، والجان مثل الإنس يتبع كل الديانات كالإسلام واليهودية والنصرانية ومنهم من لا دين له، ومنهم من ينكر البعث كالكفار من الإنس، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾"الجن:7"، وقد ذُكِرَ شيء من أحوالهم في سورتي الرحمن والجن.

والجنّ لا نبي لهم ولا رسول، وإنّما رُسُلُ البشرِ هُمْ رُسُلُ الجنّ، وأنبياءُ البشرِ هُمْ أنبياءُ الجنّ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجن:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾"الجن:1-2"، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾"الأنعام:112"، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨﴾"الأنعام:128"، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾"الأعراف:38"، وقال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۝٣٣﴾"الرحمن:33"، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾"الكهف:50"، **قلت:** ونص الآية صريح في أن إبليس كان من الجنَّ، ولم يكن من الملائكة أو طاووس الملائكة؛ لأنه لو كان من الملائكة لما خالف أمر الله تعالى؛ لأنهم لا يعصون الله ويفعلون ما يأمرون، قال الحسن

البصري رحمه الله: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر"اهـ "رواه ابن جرير عنه بإسناد صحيح".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** نص شيخ شيوخنا العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) على أن أحاديث وجود الجن متواترة، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ أَحْفَظَ زَكَاةَ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا صَلَّى الْغَدَاةَ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ اللَّيْلَةَ؟) أَوْ قَالَ: (الْبَارِحَةَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْتَكَى حَاجَةً فَخَلَّيْتُهُ وَزَعَمَ أَنَّهُ لا يَعُودُ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ)، قَالَ: فَرَصَدْتُهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَاءَ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَى حَاجَةً، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ اللَّيْلَةَ أَوِ الْبَارِحَةَ؟) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَى حَاجَةً فَخَلَّيْتُهُ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لا يَعُودُ، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، قَالَ: وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ "البقرة:255"، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظاً، وَلا يَقْرَبُكَ الشَّيْطَانُ، حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: صَدَقَكَ وَإِنَّهُ لَكَاذِبٌ، تَدْرِي مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ، ذَاكَ الشَّيْطَانُ)"رواه ابن خزيمة والنسائي وغيرهما"، وعَنْ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قَدْ وُصِفَ لَكُمْ)"رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعَنْها رضي الله عنها وعن أبيها قَالَتْ: حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَدِيثاً، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ الْحَدِيثُ حَدِيثَ خُرَافَةَ؟ فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلاً مِنْ عُذْرَةَ، أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْراً طَوِيلاً، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الْإِنْسِ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنَ الْأَعَاجِيبِ، فَقَالَ النَّاسُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ)"رواه أحمد والترمذي في الشمائل والطبراني في المعجم الأوسط وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجود الجنِّ وأنَّ منهم المؤمن والكافر، ومن أنكر وجودهم فقد كذَّب القرآن والسنّة والإجماع، ونَزَعَ رَبَقَةَ الإسلام من عُنُقِهِ، وتتعلق به أحكام المرتدين.

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الجن حق وأن إبليس عاص لله كافر منذ أبى السجود لآدم واستخف به عليه السلام"اهـ، ونقل **العلامة الكتاني** رحمه الله في كتاب (نظم المتناثر في الحديث

المتواتر) الإجماع فقال: "نقل الشيخ أبو علي الحسن بن رحال المعداني في شرحه لمختصر خليل، عن البرزلي أن الصواب أن حكم من أنكر وجودهم من المعتزلة أنه كافر؛ لأنه جحد نص القرآن، والسنة المتواترة، والإجماع الضروري"اه، وقال **الإمام القسطلاني** رحمه الله في كتاب (إرشاد الساري) ما نصه: "دلت على وجودهم نصوص الكتاب والسنة مع إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين عليه، وتواتر نقله عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تواتراً ظاهراً يعلمه الخاص والعام"اه، وقال الإمام **بدر الدين العيني الحنفي** رحمه الله في كتاب (عمدة القاري في شرح البخاري) ما نصه: "تواترت به أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تواتراً معلوماً بالضرورة"اه، وقال **محمد بن عبد الله بن عمرو الصفار** قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: " لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةُ كُنْتُ عِنْدَهُ، وَكَانَ حَرَقَ فِيمَا هُوَ فِيهِ، وَبِيَدِي خِرْقَةٌ أَمْسَحُ بِهَا عَيْنَيْهِ سَاعَةً فَسَاعَةً، فَفَتَحَ أَبِي عَيْنَيْهِ، وَحَدَّقَ بِهِمَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: لَا بَعْدُ، دُفْعَاتٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ مَنْ تُخَاطِبُ؟ فَقَالَ: هَذَا إِبْلِيسُ قَائِمٌ بِحَضْرَتِي، عَاضّاً عَلَى أَنَامِلِهِ يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ فُتَّنِي، فَقُلْتُ: لَا حَتَّى أَمُوتَ" "رواه الطبري في شرح أصول التوحيد".

قال الإمام أحمد الدَّردير المصري المالكيّ رحمه الله:

وَالجِـــنِّ والأمــــلاك ثــــم الأنبيـــا وَالحـــــور والــــوِلدانِ ثــــم الأوليــــا

وجوب الإيمان "بالملائكة"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الملائكة الكرام عليهم السلام لثبوت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، فهم مخلوقات لطيفة مُكرّمة خُلِقت من نور، لا يأكلون ولا يشربون، ويدل عليه قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عندما أتوه في صورة شبان، فقدم لهم الطعام، فلم يأكلوا.

ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يتغوطون ولا يتمخَّطون ولا ينامون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، عباد الله مكرمون ليسوا كالجن والإنس لا في الخلقة ولا متعلقاتها ولا في هيئة الأحكام وكيفيتها وإن كان لهم تكاليف فلا نعرف ما هيتها قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾"آل عمران:18" فالآية صريحة الدلالة على أن الله احتج بشهادتهم على أمرين مشهودين وهما: توحيده سبحانه وتعالى وصحة دين الإسلام وانحصار الحق فيه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده، فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم وأنهم مكرمون عند ربهم، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾"الأنبياء:26-27"، رسلٌ معصومون قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾"فاطر:1"، جُبِلوا على الطَّاعة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾"التحريم:6"، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾"النجم:27"، أعطاهم المولى القدرة على التشكل بأشكال متعددة ولكنها لا تكون إلا حسنةً جميلة، وتنحصر في الكُمَّل من الذكور، وهو أمرٌ تعبُّدي لا دخل للعقل فيه، وبناءً عليه لا انتقاص من مقام النِّساء كما يظن بعض الجاهلين؛ لأنه وحيٌ من الله ويدل عليه مجيء جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾"مريم:17"، وهم خلق عظيم كما وصفهم القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾"فاطر:1"، وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾"التكوير:20"، وقال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ في وصفه: (رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ، سَادّاً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ)"رواه مسلم"، وهم كثيرون لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾"المدثر:31"، وروى الطبري بسنده عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)، مسكنهم الأصلي السماوات، وينزلون إلى الأرض لتنفيذ ما أمروا به من أعمال، قال تعالى:

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤﴾"القدر:4"، لا يضعفون ولا يهرمون، ولا تعتريهم آفة من الآفات، ولا يموتون إلا عند النفخة الأولى نفخة الموت لجميع الأحياء.

وقد أثبت النص قرآناً وسنة على وجود الملائكة فلا عبرة لمن حمل اللفظ على غير ظاهره، إذ اتفقوا على أن الأدلة من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرفها الدليل القطعي، والآيات صريحة في أن الملائكة مخلوقات موجودة عاملة مريدة لا تعصي الله ما أمرها، ولها وظائف مختلفة، كحمل الرسالات إلى الأنبياء قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٧٥﴾"الحج:75"، ومنهم حافين حول العرش يسبحون الله قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾"الزمر:75"، ومنهم من خُلق للتعذيب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾"التحريم:6"، وغير ذلك من الأفعال.

وكل ما ثبت عن الملائكة بالإجمال، يجب الإيمان به على الإجمال كالإيمان بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، وكل ما ثبت بالتفصيل، يجب الإيمان به على التفصيل، كما نطق به كتاب ربنا، ومنهم:

- **جبريل عليه السلام:**

وهو أشهر الملائكة وأفضلهم، وهو ملك الوحي، السفير بين الله ورسله وأنبيائه، يعرفه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا ينزل بالوحي إلا عليهم بالإجماع كما أصلوه في قواعد عقائدهم، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾"البقرة:98"، ويسمى: الروح الأمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾"الشعراء:192-193"، ويسمى: روح القدس، قال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾"النحل:102"، ويسمى أيضاً: بالناموس، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول عهده بالوحي: "هذا الناموس الذي أنزل على موسى" "رواه البخاري ومسلم"، وعند أبي نعيم في الدلائل: "أنزل على عيسى"، قال النووي: وكلاهما صحيح.

- **ميكائيل عليه السلام:**

وهو المكلف بالأمطار والبحار والأنهار والزرع، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾"البقرة:98"، فذكر الله تعالى الملائكة في الأول وهذا ذكر عام، ثم ذكر جبريل وميكال وهذا خاص، والقصد من الإفراد في هذه الآية هو التمييز والتشريف لهما عليما الصلاة والسلام، وأَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ عكرمة بن خالد :أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَلَائِكَةِ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: (جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، فَأَمَّا جِبْرِيلُ

صَاحِبُ الْحَرْبِ وَصَاحِبُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَمَّا مِيكَائِيلُ فَصَاحِبُ الْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ، وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَمُوَكَّلٌ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَأَمَّا إِسْرَافِيلُ فَأَمِينُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ).

- **إسرافيل عليه السلام:**

وهو الموكل بالنفخ في الصور، فينفخ فيه نفختين: النفخة الأولى تفنى فيها المخلوقات إلا ما شاء الله، والنفخة الثانية تبعث فيها جميع المخلوقات، فترجع الأرواح لأجسادها، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾"الزمر:68".

- **مَلَكُ الموت عليه السلام:**

وهو الموكل بقبض الأرواح، وهل هو ملك واحدٌ يقبض جميع الأرواح أم إنه اسم جنس لجمعٍ من الملائكة؟، هذا أمرٌ واسعٌ يحتمل كلا الأمرين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾"السجدة:11"، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾"الأنعام:61".

- **الحَفَظَة عليهم السلام:**

وهم المـُوَكّلون بحفظ العباد، قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾"الأنعام:61"، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾"الرعد:11".

- **الكَتَبَة، رقيب وعتيد عليهما السلام:**

وهما الموكلان بكتب الأعمال، أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾"ق:18"، وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾"الإنفطار:11-12".

- **رضوان خازن الجنّة عليه السلام:**

وهو الموكل بالجنان ورئيس خزنتها، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس وَمَنْ قَرَأَ يس وَهُوَ يُرِيدُ بِهَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قُرِئَ عِنْدَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ سُورَةُ يس نَزَلَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ سُورَةِ يس عَشَرَةُ أَمْلاكٍ، يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفاً يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ غُسْلَهُ، وَيُشَيِّعُونَ جِنَازَتَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ حَتَّى يَجِيئَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُهَا، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ رَيَّانُ، فَيَمْكُثُ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَلا يَحْتَاجُ إِلَى حَوْضٍ مِنْ حِيَاضِ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّانُ)"رواه القضاعي في مسند الشهاب".

- **مالك خازن النار عليه السلام:**

وهو الموكل بالنيران ورئيس خزنتها، ومعه الزبانية وهم تسعة عشر ملكاً، ولكل ملك منهم أعوان وجنود، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾"الزخرف:77"، وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾"المدثر:26-30".

- **مُنكر ونَكير عليهما السلام:**

وهما الموكلان بسؤال العبد في قبره عن التوحيد والدين والنبوة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ)"رواه الترمذي"، وإنهما يأتيان للمؤمن بصفة مبشر وبشير.

- **حَمَلَةُ العرش العظيم عليهم السلام:**

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾"الحاقة:17".

- **هاروت وماروت عليهما السلام:**

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٞ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾"البقرة:102".

- **المكلفون بالأرزاق عليهم السلام:**

قال تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ٤﴾"الذاريات:4".

- **المكلفون بالأرحام عليهم السلام:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ)"رواه الشيخان وأحمد".

- **المكلفون بالنصر والرعب عليهم السلام:**

قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾"الأنفال:9"، قال الربيع بن أنس: (كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة – أي الذين قتلتهم الملائكة من الكفار - من قتلى الناس، بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان، مثل: وسم النار)"رواه البيهقي".

- **المكلفون بالإستغفار للمؤمنين:**

قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨﴾"غافر:7-8"، وغيرهم مما لا يعلم أسمائهم وعددهم وما هم مكلفين به إلا الله.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالملائكة:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾"البقرة:285"، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾"البقرة:177"، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣﴾"الأحزاب:43"، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾"النحل:49"، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي

جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾"البقرة:30-31"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾"الأعراف:206".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قَدْ وُصِفَ لَكُمْ)"رواه مسلم"، وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عن الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عن الْإِيمَانِ قَالَ: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ....الحديث)، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَن السَّائِلُ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)"رواه مسلم"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا

النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، وَاخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ، يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ)"رواه النسائي وأحمد وغيرهما"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ قَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَ الْجِنِّ)، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَأَنَا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، وَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)"رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّت السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ)"رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم"، وعن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرّ مُسْتَلْقِياً فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السّوْطِ فَاخْضَرّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السّمَاءِ الثّالِثَةِ)، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ "رواه مسلم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجود الملائكة، ومن أنكر وجودهم فقد كذَّب القرآن والسنّة المتواترة والإجماع، ونَزَعَ رَبَقَةَ الإسلام من عُنُقِهِ، وتتعلق به

أحكام المرتدين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾"النساء:136".

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الملائكة حق وأن جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله عز وجل مقربان عظيمان عند الله تعالى وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلاً"اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى"اهـ، وقال **الإمام أبو الحسن الأشعري** رحمه الله في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ما نصه: "جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وقال **الإمام البيهقي الشافعي** رحمه الله في كتاب (شعب الإيمان) ما نصه: " والإيمان بالملائكة ينتظم معاني: أحدها: التصديق بوجودهم، والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنَّهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلّفون لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يُؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدّه، والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر" اهـ، وقال **الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي** في عقيدته المشهورة ما نصه: "والملائكة عباد الله تعالى العاملون بأمره، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة"اهـ، وقال **الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي** رحمه الله في كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ما نصه: "قال جمهور أهل الكلام من المسلمين:

الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات، وأبطل من قال إنها الكواكب أو إنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها"اهـ، **وللإمام السيوطي الشافعي** رحمه الله رسالة أسماها الحبائك في أخبار الملائك جمع فيها الأدلة على ثبوت وجودهم.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

الإيمانُ جَزْمٌ بالإلهِ والكتبْ والرّسْلِ **والأمْلاكِ** مع بَعثٍ قَرُبْ

تنبيهات:

1. لا يجوز وصف الملائكة عليهم السلام بالأنوثة، وذلك لمعارضة قوله تعالى حكايةً عن الكافرين: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾"الزخرف:19"، ومن وصفهم بالذكورة، فقد أخطأ بفهم ما جاء به الشرع وأثبت ما لم يُثبت، ونفي أن يكونوا إناثاً لا يلزم أن يكونوا ذكوراً، فإن الملائكة خلق ليسوا كالإنس ولا كالجن في الخلقة ومتعلقاتها، وقد استوفيت الأدلة على حكم من نسب إلى الملائكة الأنوثة في رسالتي "ماحكم من يقول أن الملائكة ذكوراً أو إناثاً".

2. لا يجوز الإستهزاء بمَلَكِ الموت عليه السلام فهو مأمورٌ بقبض الأرواح، ولا بخازن النار فهو مأمورٌ بتعذيب العُصَاةِ والكُفَّار، فمن استهزأ بالملائكة بأي وجهٍ من الوجوه كفر لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ "البقرة:98"، كذا لا يجوز الاستهزاء والتقليل من أهوال النار والعذاب كمن يقول: "نتدفأ في نار جهنّم".

وجوب الإيمان "بالعَـرْش"

يجب على المكلف الإيمان بوجود العرش؛ لأن نصوص الكتاب والسنة واردة بذكره وإثباته وأجمعت الأمة على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيمُ الحجمِ، له قوائم، خلقه الله تعالى إظهاراً لقدرتـه ولـم يتَّخذه مكاناً لذاته، لا يعلم حقيقته إلا الله، جعله سقفاً لمخلوقاته، وأمَـرَ ملائكَتَـهُ بِحَمْلِهِ، وتَعَبَّدَ بعضَهُم بِتَعْظِيمِهِ والطَّوافِ به، وهُوَ مَحْمُـولٌ بِلُطـفِ اللهِ تعـالى كَبَقِيَّـةِ المـَخْلوقات، لا يُعْجِزْهُ عنها شيء؛ لأنه مُسْتَغنٍ عنها جميعاً.

والعرش من المخلوقات الباقية أراد الله له البقاء، وبقاؤها ليس بذاتـه، أمـا قـوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ "القصص:88"، فهو عام خُصَّ منه ما اسـتثناه الدليـل، كالروح وعجب الذنب والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وغيرهم، وقـد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها بقوله:

ثمانيـــةٌ حُكْـــمُ الْبَقـــاءِ يَعُمُّهَـــا ... مِـنَ الْخَلْـقِ وَالْبَـاقُونَ فِي حَـيِّزِ الْعَـدَمِ
هِيَ الْعَــرْشُ وَالْكُـرسِيُّ نَـارٌ وَجنَّـةٌ ... وَعَجْـبٌ وَأَرْواحٌ كَـذَا الْلَـوحُ والْقَلَـمُ

ويجب العلم بأنَّهُ لم يثبت دليل من الكتاب أو السنة لبيان ماهيَّة العرش وصفته، فالواجب أن نؤمن بأنه مخلوقٌ عظيم، وبيانه على مراد الله ورسوله.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالعرش:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾"البروج:15"، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ﴾"غافر:7"، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧﴾"الحاقة:17"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾"هود:7"، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾"طه:5"، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٢٩﴾"التوبة:129"، قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: "خص العرش؛ لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه"اهـ، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾"المؤمنون:116"، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾"الزمر:75"، **قلت**: ومجموع هذه الآيات وغيرها يمنع من صرف اللفظ عن ظاهره، وتأويله على معنى الملك أو العلم كما زعم بذلك قوم، فوجب القطع بثبوت وجوده.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عن عمران بن حصين، قَالَ: قال أهل اليمن لرَسُول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقَال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (كَانَ اللهُ ولَمْ يكُنْ شَيءٌ غَيْره، وكانَ

عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كلَّ شَيء)"رواه البخاري وغيره"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أُرَاهُ قال: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ- وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)"رواه البخاري وغيره"، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟)"رواه البخاري"، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾"يس:38")"رواه البخاري"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)"رواه الشيخان وأحمد وغيرهم"، وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي

فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ)"رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في دلائل النبوة، وغيرهم"، وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال:سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ)"رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وقد نص العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتره فقال: " ففي شرح المواهب ثبت عن عشرة من الصحابة أو أكثر"اه.

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالعرش وأنه مخلوق.

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ثم خلق الأشياء كلها كما شاء وأن النفس مخلوقة والعرش مخلوق" اه، وقال **الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام**: "إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرتهِ ولم يتخذه مكاناً لذاته"اه(رواه الإمام أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والعرش والكرسي حقٌّ، وهو مُستغنٍ عن العرش وما دونه"اه، وقال **الإمام أبو الحسن الأشعري** رحمه الله ما نصه: "كان الله ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه"اه (رواه الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري)، وقال **الإمام البيهقي**

الشافعي رحمه الله في (الأسماء والصفات) ما نصه: "اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه"اهـ، وقال **الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي** رحمه الله في (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) ما نصه: "قال أبو الوليد بن رشد في"شَرْحِ الْعُتْبِيَّةِ إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته كما يقع للجالس منا على كرسيه، وليس العرش بموضع استقرار الله، تبارك الله وتنزه عن مشابهة خلقه."اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَالعَــرْشُ وَالكُــرْسِيُّ ثُــمَّ القَلَــمْ وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لاِحْتِيَـــاجٍ وَبهَـــا الإِيمَـــانُ يَجِــبْ عَلَيْــكَ أَيُّهَـــا الإِنْسَـــانُ

وجوب الإيمان "بالكرسيِّ"

يجب على المكلف الإيمان بوجود الكرسي وأنه مخلوق كما جاء في الكتاب والسنة و إجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقات الله تعالى دون العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، ونسبته للعرش كحلقة في فلاة، ونُمسكُ عن الخوض في حقيقتِهِ، ونُفَوِّضُ العلمَ به للهِ تعالى، وتسميته بالكرسي هو من قبيل الثابت في الأصل المختلف في المعنى، ويجب الإيمان به على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والكرسي كذلك من المخلوقات الباقية التي أراد الله لها البقاء، وبقاؤها ليس بذاتها، كما مر معنا فيما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله.

واعلم أن تأويل لفظ "الكرسي"من غير دليل لا يصح، وقد بين ذلك العلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتابه "بدع التفاسير" فقال: "ومن بدع التفاسير قول المعتزلة: الكرسي هو العلم"اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكرسيُّ:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾"البقرة:255".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَوَاتُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ)"رواه ابن حبان والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهما"، **قلت**: ومنطوق الحديث ومفهومه دالٌ على أن العرش غير الكرسي بل هما حقيقتان مختلفتان، وتأويلهما على معناً واحد باطل من كل الوجوه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ) ولو كانا معناهما واحد لـما صح التفاضل ولأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم مصان عن العبث.

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالكرسيّ وأنه مخلوق.

قال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة: "والعرش والكرسي حقٌّ، وهو مُستغنٍ عن العرش وما دونه"اهـ، وقال **ابن عطية المحاربي** رحمه الله في كتاب (المحرر الوجيز) ما نصه: "والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه"اهـ، وقال **ابن جزي الكلبي** رحمه الله في

(التسهيل لعلوم التنزيل) ما نصه: "الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، وهو بالنسبة للعرش كأصغر شيء" اهـ، وما أجمل قول القائل: "لا الْعَرْشُ يَحْمِلُهُ ولا الكُرْسِيُّ يَسْنِدُهُ بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ والْكُرْسِيُّ وعَظَمَتُهُ الْكُلُّ مَحْمُولٌ بِلُطْفِ إِرَادَتِهِ".

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَالعَــرْشُ **وَالكُــرْسِيُّ** ثُــمَّ القَلَــمْ وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لِاحْتِيَــاجٍ وَبِهَــا الإِيمَــانُ يَجِــبْ عَلَيْــكَ أَيُّهَــا الإِنْسَــانُ

وجوب الإيمان "باللوح المحفوظ"

يجب على كل مكلف الإيمان باللوح المحفوظ وأنه موجود ومخلوق وذلك لوروده نصاً في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيم دون العرش لا نعلم حقيقته، ولا يمكن تصوره، موجود فوق العرش، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)"رواه البخاري ومسلم" وهو من المخلوقات الباقية التي شاء المولى سبحانه وتعالى لها البقاء، فبقاؤه ليس بذاته، خلقه المولى سبحانه وتعالى لحكمةٍ يعلمها، مكتوبٌ فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه القضاء المبرم الذي لا يتبدل ولا يطَّلع عليه مخلوق ويُعرف بالغيب الكلي، أما ما نزل إلى بيت العزة هو الذي يتغير ويعرفه الملك فينزل به في ليلة القدر ويُعرفُ بالقضاء المعلق، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ

وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾"الرعد:39"، وله عدة أسماء منها: اللوح المحفوظ، الكتاب، الإمام المبين، أم الكتاب، الكتاب المسطور.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باللوح:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾"الرعد:39"، وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾"البروج:21-22"، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾"يس:12"، وقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾﴾"الطور:1-2"، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾"الحج:70"، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾"الحديد:22" قال الإمام القرطبي في كتاب (الجامع لأحكام القرآن): "يعني اللوح المحفوظ"اهـ، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾"القمر:53".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفَةِ:** عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)"رواه البخاري"، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)"رواه مسلم" والعدد هنا قد لا يفيد الحصر، وإنَّما المبالغة في قِدَم خلق الأشياء التي كتبت في اللوح المحفوظ، وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله

وسَلَّمَ لزوجته السيدة أم حبيبة رضي الله عنها: (قَدْ سَأَلْتِ اللَّه لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ)"رواه مسلم"، وهذا محمولٌ على كتابة هذه الأمور في اللوح المحفوظ.

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان باللوح وأنه مخلوق.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب **(الإقناع في مسائل الإجماع)** ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى قدر أفعال جميع الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم" اه.

قال **الإمام الخطابي** رحمه الله: "المراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾"المجادلة:21" أي قضى ذلك، قال ويكون معنى قوله (فوق العرش) أي عنده علم ذلك فهو لا ينساه ولا يبدله، كقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾"طه:52"، وإما اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر أصناف الخلق وبيان أمورهم وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم، ويكون معنى (فهو عنده فوق العرش) أي ذكره وعلمه وكل ذلك جائز في التخريج، على أن العرش خلق مخلوق تحمله الملائكة، فلا يستحيل أن يماسوا العرش إذا حملوه، وإن كان حامل العرش وحامل حملته هو الله، وليس قولنا إن الله على العرش أي مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته بل هو خبر جاء به التوقيف، فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء وبالله التوفيق"اه(نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقِمَ فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم

يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"اهـ، وقال الحافظ **ابن حجر العسقلاني الشافعي** رحمه الله في كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) ما نصه: "والغرض من الحديث: لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي، الإشارة إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش"اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَالعَــرْشُ وَالكُــرْسِيُّ ثُــمَّ القَلَــمْ وَالكَاتِبُــونَ **اللَّــوْحُ** كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لاِحْتِيَــاجٍ وَبهَــا الإِيمَــانُ يَجِــبْ عَلَيْــكَ أَيُّهَــا الإِنْسَــانُ

فائدة:

اعلم أن القلم كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة وهو ليس فيه كل علم الله تعالى؛ لأن اللوح مخلوق وعلم الله تعالى علم أزلي أبدي سرمدي لا ابتداء له ولا انتهاء له.

وجوب الإيمان "بالقلم"

يجب على المكلف الإيمان بالقلم وأنه موجود ومخلوق كما جاء في الكتاب والسنة و إجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقات الله تعالى دون العرش، لا نعلم حقيقته، وعقولنا قاصرة عن تصوره، شاء المولى سبحانه وتعالى له البقاء، أي بقاؤه ليس بذاته، وقد أمر الله تعالى القلم أن يجري على اللوح المحفوظ فجرى بقدرة الله ومن غير أن يمسّهُ أحد من الخلق، فسطر في اللوح المحفوظ كل ما هو كان وسيكون إلى يوم القيامة.

والقلم في الأصل ثلاثة:

1. **القلم الأول**: الذي خلقه الله وقال له اكتب، وهو المراد إذا ما أطلق.
2. **القلم الثاني**: ما تكتب به الملائكة المقادير والكوائن والأعمال وما سوى ذلك مما أمروا به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ "الإنفطار:10-11".
3. **القلم الثالث**: ما جعله المولى سبحانه وتعالى بأيدي الناس، يكتبون كلامهم، ويصلون به مآربهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ "العلق:4-5"

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقلم:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾"القلم:1".
- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلمَ قَالَ له: اكتُبْ، قال: مَا أَكْتُبْ؟، قَالَ: اكتُبْ القَدَرَ، مَا كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد)"رواه الترمذي وأحمد وغيرهما"، وإذا ما حملنا كلمة (أوّلَ) في الحديث على الأوليّة فتكون هذه الأوليّة أوليّةً إضافيَّةً، أما أوليَّة خلق الماء فهي أوليَّة حقيقيَّة، فيكون بذلك خلق القلم بعد الماء كالعرش كما مرَّ معنا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ)"رواه البخاري"، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله في كتاب (فتح الباري) عند شرحه للحديث: "أي نفذ المقدور بما كُتِبَ في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كُتب به"اهـ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ يَوْماً فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)"رواه الترمذي"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (سَبَقَ الْعِلْمُ، وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَمَضَى الْقَضَاءُ، وَتَمَّ الْقَدَرُ)"رواه البيهقي في القضاء والقدر"، وكلُّ ذلك كناية على أنَّ تقدير الله تعالى للأشياء نافذٌ لا يتبدل.

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالقلم، وأنه مخلوق.

قال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقِمَ فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"اهـ، وقال **القاضي عياض المالكي** رحمه الله: "كتابة الله ولوحه وقلمه من غيب علمه الذي نؤمن به ونفوض علمه إليه" (نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري).

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَالعَـــرْشُ وَالكُـــرْسِيُّ ثُـــمَّ **القَلَـــمْ** وَالكَاتِبُـــونَ اللَّـــوْحُ كُلٌّ حِكَـــمْ
لَا لاِحْتِيَـــاجٍ وَبهَـــا الإِيمَـــانُ يَجِـــبْ عَلَيْـــكَ أَيُّهَـــا الإِنْسَـــانُ

وجوب الإيمان "بالرُّوح"

يجب على المكلف الإيمان بالروح، لثبوت ذلك في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي جوهرٌ لطيف جعله الله بالنسبة للآدمي متشابكٌ بالبدن كما يتشابك الماء بالعود الأخضر، تذهب الحياة بذهابه.

وحقيقة الروح لا نفهمها ولا نستطيع تصورها، ولكن نشعر بها، وهي مخلوقةٌ باقيةٌ لا تفنى، وبقاؤها هذا ليس ذاتياً بل بإرادة الله تعالى، ومثلها مثل اللوح والقلم والجنة ونعيمها والنار وعذابها والعرش والكرسي وعَجْبُ الذَّنَبِ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَفِي فَنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتُلِفْ وَاسْتَظْهَرَ السُّبْكِي بَقَاهَا الَّذْ عُرِفْ

عَجْبُ الذَّنَبْ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمُزَنِيُّ لِلْبِلَا وَوَضَّحَا

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالروح:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾"الإسراء:85"، **قلت**: ولا يوجد في الآية تعلق وتمسك بعدم الخوض في بيان حقيقة الروح، بل الآية فيها بيان من الله تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من خلق ربي فهي حادثة، وجدت بمشيئته تعالى وقدرته فجعلها سبباً في إفادة الحياة للجسد، ثم احتج على حدوث الروح بتغيرها من حال إلى حال فما تزال في التغيير والتبديل من نقصان

إلى كمال أو من كمال إلى نقص وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، بل كيف يصح قبول قول القائل: أن مبحث الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه نبي مرسل، فهذا يفيد نسبة الجهل في حقهم عليهم الصلاة والسلام وأنهم لا يعلمون ما يُنَزَّلُ عليهم، بل إن العلماء تكلموا في الروح، فكيف يُقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا علم له فيها، وهذا كله مستحيل لما قد بيناه في مبحث الرسليات من وجوب أن يكون الرسول أعلم أهل قومه، وهو مخالفٌ أيضاً لصريح القرآن، قال تعالى في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾"النساء: 113"، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾"الرحمن:1-2"، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾"طه:114"، فلا يمتنع أن يكون علم الروح مما استأثر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان العلم بالروح مما لم يؤمر بتفصيل بيانه كما مر معنا في باب الرسليات عند الكلام على مسألة التبليغ ولقد خاض فيه كثير من العلماء منهم إمام الحرمين، والإمام النووي، والإمام الرازي، والعز بن عبد السلام، وأصحاب مالك، وغيرهم كثير فلو كان الخوض ممتنعاً لم يقدم عليه مثل هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى، كما قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله في الجوهرة:

وَلَا تَخُـضْ فِي الـرُّوحِ إِذْ مَـا وَرَدَا نَـصٌّ مِـنَ الشَّـارِعِ لَكِـنْ وُجِـدَا

لِمَالِـــكٍ هِيْ صُـــورَةٌ كَالْجَسَـــدِ فَحَسْـــبُكَ النَّـــصُ بِهَـــذَا السَّـــنَدِ

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنِ الْحَسَنِ البصري رحمه الله مرسلاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ تَلْقَى رُوحَهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُوا لَهُ: مَا فَعَلَ فُلانٌ؟ فَإِذَا قَالَ: مَاتَ، قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ وَبِئْسَتِ الْمُرَبِّيَةُ)"رواه الحاكم في المستدرك"، وَعَنْ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)"رواه البخاري ورواه مسلم من حديث أبي هريرة".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على أن الروح حادثة أوجدها الله من العدم، وهي سببٌ في إفادة الحياة للجسد.

قال **الإمام محي الدين النووي الشافعي** رحمه الله: "وأصح ما قيل فيها على هذه الطريقة ما قاله إمام الحرمين: إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر فتكون سارية في جميع البدن"اهـ"رواه الباجوري في تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد"، وقال **عبد الرحيم بن خالد المالكي** رحمه الله: "الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس، تسل من الجسد سلاً"اهـ"رواه الباجوري في تحفة المريد" وهو قول الإمام مالك.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَوَاجِـــبٌ إِيمَانُنَـــا بِـــالمَوْتِ وَيَقْـــبِضُ الـــرُّوحَ رَسُـــولُ المَـــوْتِ

وجوب الإيمان "بقيام الساعة وعلاماتها"

يجب على المكلف الإيمان بقيام الساعة، ووجود علامات لها، وقيام الساعة، هيَ آخر أيام الدنيا وأول أيام الأخرة وسميت باليوم الآخر لأن أخرها متعلق في هذه الدنيا وأولها متعلق بالآخرة، أما وقت قيامها فهو من ضمن الغيوب التي استأثر المولى سبحانه وتعالى بعلمها ولم يطّلع عليها لا رسول ولا نبي ولا ملك مُقرَّب، ولكن ببالغ رحمته تعالى جعل لها علاماتٌ دالةٌ على قُربِ وقوعها، فهي حق ثابت كثبوت اليوم الآخر فوجب الإيمان بها.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بقيام الساعة:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾"القمر:1"، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾"الحجر:85"، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾"الأعراف:187"، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾"الحج:7"، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾"النازعات:42-46"، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ

أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧﴾"النحل:77"، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾"الأنعام:31".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام الطويل عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: متى الساعة؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا المسؤول عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ) قال: "فأخبرني عن أماراتها""رواه مسلم"، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**) وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"رواه البخاري ومسلموأحمد وغيرهم" وقد نص على تواتره شيخ شيوخنا العلامة السيد **محمد** بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى قوله: (وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ،... إلى آخر الحديث)"رواه الشيخان والترمذي وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بقيام الساعة.

قال الإمام **أبي زيد القيرواني** رحمه الله في رسالته ما نصه: "وأن الساعة آتية لا ريب فيها"اهـ، وقال العلامة **الزرقاني** رحمه الله في "شرح الزرقاني على موطأ مالك بن أنس" ما نصه: وقوله: (والساعة حق) أي يوم القيامة، وأصل الساعة القطعة من الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها، وأنها ما

يجب أن يصدق بها)اهـ، وقال العلامة **أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق** رحمه الله في شرحه على متن الرسالة ما نصه: "الساعة عبارة عن فراغ أيام الدنيا وإنقراضها سميت بذلك لقرب أمرها وسرعته قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾"النحل:77" وهو أقرب، ومعنى آتية أي جائية ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾"الحج:7" لا شك فيها يعني لا يمكن الشك لتحقق أمرها إذ قد جاء بالخبر الصادق فلا يصح الشك فيه"اهـ.

فصل

(وجوب الإيمان بعلامات الساعة)

ثم اعلم أن علامات الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: العلامات الصغرى، والعلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة، والعلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة وتعقبها الساعة، وهي متتابعة كنظام خرزات انقطع سلكها.

وقد جرت العادة بأنّ الإستغراب من الأمر يكون في أول ظهوره فقط، فالعلامة عندما تظهر يستغرب منها الناس، ثمّ تنتشر فيعتادوا عليها ثم لا تعد بنظرهم علامة، ولْيُعلم بأنه لا يلزم من ظهور العلامة الثانية ذهاب الأولى، ولكن قد لا نشعر بها مع وجود ما هو أقوى منها وهكذا تتوالى العلامات من صغرى إلى كبرى حتى يتفاجأ الناس بالعلامات التي لا تُقبل معها التوّبة، ثم تقوم الساعة على شرار الناس، نسأل الله الحليم الغفور أن يرزقنا العفو والعافية ويختم لنا على كامل الإيمان، آمين.

ثم أن هناك فرق بين وجود العلامة وظهورها، فالدجال مثلاً موجود كما جاء في حديث تميم الداري وهو من العلامات الصغرى ولكن خروجه وظهوره من العلامات الكبرى.

واعلم أن علامات الساعة بأقسامها هي من قبيل الأخبار السمعية التي اشتهر نقلها اشتهاراً يوجب العلم بها فيجب الإيمان والجزم بوقوعها في الزمان الذي أراده الله تعالى.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بعلامات الساعة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾"محمد:18".
- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: ما جاء في حديث جبريل الطويل: (قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ مَا المسؤول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)"رواه مسلم".
- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بقيام الساعة وعلاماتها.

قال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق"اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى

بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"اهـ، وقال **الإمام النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها فهو حق" اهـ.

قال العلامة **السفاريني الحنبلي** في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية:

وَمَــا أَتَى فِي النَّــصِّ مِــنْ أَشْرَاطْ فَكُلُّـــهُ حَـــقٌّ بِـــلَا شَـــطَاطْ

القسم الأول: العلامات الصغرى

1- **منها بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ) وأشار بالسبابة والوسطى"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، وهذا إشارة إلى الساعة تأتي بعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا علمٌ بقربها وليس بوقتها، أي من قبيل أنّ كل آتٍ قريب.

2- **منها فتح بيت المقدس**: عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: (اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ.. مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا)"رواه البخاري وابن ماجه وأحمد

وغيرهم"، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية، كما ذهب إلى ذلك أئمة السيرة.

3- **منها وقعة صِفِّينَ**: فقد صح عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ)"رواه البخاري".

4- **ومنها واقعة النَّهْرَوَانِ**: فقد أخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلت: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بقتال ثلاثة: (الناكثين والقاسطين والمارقين)، فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين، وذُكر مثله عن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

5- **ومنها نزول الإمام وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الإمام أبي محمد الحسن بن علي وأخي الحسين عليهم السلام أجمعين**: وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)"رواه البخاري والترمذي وأحمد وغيرهم" والحديث متواتر نص عليه العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر".

6- **ومنها ملك بني أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذية كقتل الحسين بعدما سُمَّ الحسن عليهما السلام، وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق، وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق:**

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضّاً، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ)"رواه أحمد".

7- ومنها ملك بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والبأس على آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم،كما تواتر في كتب التاريخ والسير والتراجم.

8- **ومنها نار الحجاز التي أضاءت منها أعناق الإبل ببصرى**: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى)"رواه البخاري".

9- **ومنها خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي أنه نبي**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ)"رواه البخاري".

10- **ومنها كثرة المال**: كما مر معنا من حديث عَوْفَ بْنِ مَالِكٍ.

11- **ومنها ضياع الأمانة**: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، وَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ

بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ: قَالَ أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: (إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)"رواه البخاري".

القسم الثاني: العلامات الكبرى التي ظهرت وما زالت تتوالى حتى يومنا هذا:

منها مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً: (مِن اقْتِرَابِ السَّاعَةِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ خَصْلَةً: إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ أَمَاتُوا الصَّلَاةَ وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ وَأَكَلُوا الرِّبَا وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ وَاسْتَخَفُّوا بِالدِّمَاءِ وَاسْتَعْلَوُا الْبِنَاءَ وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ وَيَكُونُ الْحِلْمُ ضَعْفاً وَالْكَذِبُ صِدْقاً وَالْحَرِيرُ لِبَاساً وَظَهَرَ الْجَوْرُ وَكَثُرَ الطَّلَاقُ وَمَوْتُ الْفَجْأَةِ وَائْتُمِنَ الْخَائِنُ وَخُوِّنَ الْأَمِينُ وَصُدِّقَ الْكَذَّابُ وَكُذِّبَ الصَّادِقُ وَكَثُرَ الْقَذْفُ وَكَانَ الْمَطَرُ قَيْظاً وَالْوَلَدُ غَيْظاً وَفَاضَ اللِّئَامُ فَيْضاً وَغَاضَ الْكِرَامُ غَيْضاً وَكَانَ الْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْأُمَنَاءُ خَوَنَةً وَالْعُرَفَاءُ ظَلَمَةً وَالْقُرَّاءُ فَسَقَةً، إِذَا لَبِسُوا مُسُوكَ الضَّأْنِ قُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ وَأَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ يُغَشِّيهِمُ اللَّهُ فِتْنَةً يَتَهَاوَكُونَ فِيهَا تَهَاوُكَ الْيَهُودِ وَالظَّلَمَةِ وَتَظْهَرُ الصَّفْرَاءُ وَتُطْلَبُ الْبَيْضَاءُ - يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ - وَتَكْثُرُ الْخُطَبَاءُ وَيَقِلُّ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ وَصُوِّرَتِ الْمَسَاجِدُ وَطُوِّلَتِ الْمَنَابِرُ وَخَرِبَتِ الْقُلُوبُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ وَعُطِّلَتِ الْحُدُودُ وَوَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَتَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ صَارُوا مُلُوكاً وَشَارَكَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ وَتَشَبَّهَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ وَحُلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ وَشَهِدَ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ وَسُلِّمَ لِلْمَعْرِفَةِ وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَطُلِبَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَاتُّخِذَ الْمَغْنَمُ دُوَلاً - وَهُوَ بِضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ: مَا يُتَدَاوَلُ

مِنَ الْمَالِ، وَمَعْنَاهُ إِذَا اخْتَصَّ الْأَغْنِيَاءُ وَأَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ بِأَمْوَالِ الْفَيْءِ وَمَنَعُوهَا مُسْتَحِقِّيهَا كَمَا فِي النِّهَايَةِ - وَالْأَمَانَةُ مَغْنَماً وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ وَعَقَّ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَجَفَا أُمَّهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَأَطَاعَ امْرَأَتَهُ وَعَلَتْ أَصْوَاتُ الْفَسَقَةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَاتُّخِذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ فِي الطُّرُقِ وَاتُّخِذَ الظُّلْمُ فَخراً وَبِيعَ الْحُكْمُ وَكَثُرَتِ الشُّرَطُ وَاتُّخِذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ وَجُلُودُ السِّبَاعِ صِفَافاً - أَيْ بِأَنْ تُجْعَلَ عَلَى السُّرُوجِ كَمَا يَفْعَلُهُ أُمَرَاءُ زَمَانِنَا - وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحاً حَمْرَاءَ وَخَسْفاً وَمَسْخاً وَقَذْفاً وَآيَاتٍ)اهـ، والأحاديث في ذلك كثيرة بل كثيرة جداً لا تليق بهذا المختصر ومن أراد الرجوع إليها فعليه بكتاب (الإشاعة لأشراط الساعة) للإمام محمد بن رسول البرزنجي الحسيني الشافعي رحمه الله، وكتاب (الفتن والملاحم وأشراط الساعة والأمور العظام يوم القيامة) لابن كثير رحمه الله، وكتاب (القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة) للإمام السخاوي رحمه الله.

فائدة: قال شيخنا العلامة المحقق السيد عبد العزيز الغماري الحسني رحمه الله في كتابه "الأربعين العزيزة فيما أخبر به سيد البرية من علامات الوقت" ما نصه: "الأحاديث الواردة في الفتن وأشراط الساعة، والمخبرة بما سيكون قبل قيامها من عجائب المظاهر وغرائب الأحوال، وما سيقع للناس من تبدل وانقلاب وما سينزل بالأمم من بلايا وأهوال، يجب على العالم الحاذق ألا يتكلف شرحها بما يقتضيه اللفظ والعبارة ومدلول اللغة، فإن ذلك يجر إلى الوقوع في الغلط العظيم، والخطأ الجسيم، وصرف الحديث الوارد في ذلك عما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما عبر بتلك الألفاظ عما شاهده، وأطلعه الله تعالى

عليه من الأحوال، والأحداث التي ستقع، أتى صلوات الله تعالى عليه وسلامه، بالعبارة التي تقرب للصحابة المعنى لا غير؛ لأنه لا يمكن أن يخاطبهم بشيء لا يعرفونه"اهـ.

وقد حفظنا عليه رحمه الله قوله: "لا يجوز لأحد أن يكتب عن العلامة حتى تبرز أي يفندها من صغرى وكبرى؛ لأن هذا الباب مزلقة أقدام العلماء، وهذا لأن نُكذب الأمة ولا يُكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يجتمع في الحديث الواحد علامات صغرى كضياع الأمانة واستحلال الكذب، وكبرى تقبل معها التوبة كالخسف والمسخ، وخروج الدخان، وكبرى لا تقبل معها التوبة كخروج الدابة وخروج الشمس من المغرب"اهـ.

القسم الثالث: العلامات الكبرى التي لم تظهر بعد:

وهي علاماتٌ مَهِيْبَةٌ عظيمةٌ، قد تواتر الخبر بها، ولقد جاء غالبها مجملاً، من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: (مَا تَذْكُرُونَ؟)، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)"رواه مسلم"، وهي علامات متتابعة، فما أن تظهر واحدة حتى تتبعها بقية العلامات الأخرى، وقد ورد عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضاً)"رواه الحاكم في المستدرك"، وهي قسمان:

أولاً: علامات كبرى تُقبل معها التوّبة: وهي ظهور المهدي، ويأجوج ومأجوج، وخروج الدجّال، ونزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: علامات كبرى لا تُقبل معها التوّبة: وهي طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدّابة، والنار التي تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى أرض المحشر.

قال العلامة **السفاريني الحنبلي** في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية:

وَمَـــا أَتَى فِي النَّـــصِّ مِـــنْ أَشْرَاطْ فَكُلُّـــهُ حَـــقٌّ بِـــلَا شَـــطَاطْ

مِنْهَـــا الْإِمَـــامُ الْخَـــاتَمُ الْفَصِـــيحْ مُحَمَّـــدُ الْمَهْـــدِيُّ وَالْمَسِـــيحْ

وَإِنَّـــهُ يَقْتُـــلُ الدَّجَّـــالْ بِبَـــابِ لُدٍّ خَـــلِّ عَـــنْ جِـــدَالْ

وَأَمْـــرُ يَـــأْجُوجَ وَمَـــأْجُوجَ أَثْبِـــتِ فَإِنَّـــهُ حَـــقٌّ كَهَـــدْمِ الْكَعْبَـــةِ

وَإِنَّ مِنْهَـــا آيَـــةَ الدُّخَـــانِ وَإِنَّـــهُ يُـــذْهَبُ بِـــالْقُرْآنِ

طُلُـــوعُ شَـــمْسِ الْأُفُـــقِ مِـــنْ دَبُـــورِ كَـــذَاتِ أَجْيَـــادٍ عَلَى الْمَشْـــهُورِ

وَآخِـــرُ الْآيَـــاتِ حَـــشْرُ النَّـــارِ كَمَـــا أَتَى فِي مُحْكَـــمِ الْأَخْبَـــارِ

أولاً: العلامات الكبرى التي تُقبل معها التوّبة:

1- الدُّخَان:

اعلم أن آية الدخان هي من أشراط الساعة التي ورد النص بها وإنها حق يجب الإيمان به، لشبوتها بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾"الدخان:10"، ومن السنة ما حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ مرفوعاً: (أَنَّ

مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَاناً يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ شِبْهُ الزُّكَامِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فِيهِ، وَمِنْخَرَيْهِ، وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ، وَدُبُرِهِ)"رَوَاهُ الطبراني"، وَرَوَاهُ الْبَغَوِيُّ وَلَفْظُهُ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَوَّلُ الْآيَاتِ الدُّخَانُ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تُقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، قَالَ حُذَيْفَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الدُّخَانُ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾"الدخان:10"، يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "آيَةُ الدُّخَانِ لَمْ تَمْضِ بَعْدُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ وَيُنْفَخُ الْكَافِرُ حَتَّى يَنْقَدَّ"، وقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن البصري، وزيد بن علي عليه السلام هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت.

2- **يأجوج ومأجوج:**

اعلم أن آية خروج يأجوج ومأجوج هي من أشراط الساعة التي ورد النص بها وإنها حق يجب الإيمان به، لثبوتها بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أما الكتاب فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ "الأنبياء:96"، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾"الكهف:93-94"، ومن السنة ما

روي في صحيح مسلم مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَتْلِهِ الدَّجَّالَ أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لَا يَدان لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ، وَيَحْصُرُونَ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ)، وعن زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعاً يَقُولُ: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)"رواه البخاري"، وفي الحديث الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَثْنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا

كَهَيْئَةِ الدَّمِ فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفاً فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ شَكَراً مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ)"رواه أحمد".

والنَغَفُ: نوع من الدود يكون في رؤوس الإبل وتحت قرن الخروف، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بخروج يأجوج ومأجوج، و ذكر الإمام ابن عبد البر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هَلْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَتُكَ فَقَالَ: (جُزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يُجِيبُوا)اهـ"رواه العلامة السفاريني في لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية"، **قلت**: والحديث متواتر نص عليه العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، ونقل إجماع العلماء عليه.

3- **ثلاثة خسوف**:

اعلم أن آيات الخسوف هي من العلامات الكبرى التي يجب الإيمان بها، والمقصود بها ثلاثة خسوف تكون عظيمة ومهيبة ليست معتادة كحال الخسوفات التي حدثت وما زالت تحدث إلى الآن، لما رواه حذيفة بن أسيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: - فذكر منها- ثَلاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ)"رواه مسلم"، وما أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من حديث صحار العبدي: (لا تقومُ السَّاعةُ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبْ).

4- **خروج المهدي المنتظر عليه السلام**:

اعلم أن أول أشراط الساعة الكبرى التي وردت بها الأخبار المتواترة ظهور الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله، الخاتم للأئمة الْمُلهم المجتهد فلا إمام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده الإمام محمد المهدي عليه السلام، واسمُهُ محمدٌ أو أَحْمَدُ، وسمِّيَ بذلك أسوةً بالنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ؛ لأنه كثيرُ الخصالِ المحمودة، فقد جاء ذلك في عدة أخبار واسم أبيه عبد الله فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيْهِ رَجُلاً مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، واسْمُ أَبِيهِ اسمَ أَبِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئتْ ظُلماً وَجوراً)"رواه أبوداود والترمذي والبيهقي وغيرهم"، وأخرجه الترمذي وأبو داود في سننه ولفظه: (حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي)، وقد تواترت الأخبار أنه من ولد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، من وَلَدِ الحسن عليهم السلام، يولدُ في المدينة ويُبايع في مكة بين الركن والمقام، ومهاجره بلاد الشام، روى نعيم بن حماد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قَالَ: (الْمَهْدِيُّ مَوْلِدُهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَاسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ وَمُهَاجَرُهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ)، ويكون ظهوره قبل نزول سيدنا عيسى عليه السلام، يحكم بكتاب الله تعالى، ويُحْيي ما حُرِّفَ من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويملأ الأرض عدلاً وأمناً بعد أن مُلئت ظُلماً وجوراً وخوفاً، وقد تواترت الأخبار في خروج المهدي عليه السلام وممن نقل تواتره **العلامة محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتاب "نَظم المتناثر من الحديث المتواتر" فعد عشرين نفساً روى

الحديث، وقال: "وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة، والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث، وفي شرح المواهب نقلاً عن أبي الحسين الآبري في مناقب الشافعي قال: تواترت الأخبار أن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه"اهـ، وقال **العلامة السفاريني الحنبلي** رحمه الله في كتاب (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار البهية) ما نصه: "وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة" اهـ، **وللقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني** رحمه الله رسالة سماها (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) قال فيها: "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً في الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للإجتهاد في مثل ذلك"اهـ، **وللحافظ السيوطي** رحمه الله رسالة أسماها "العرف الوردي في أخبار المهدي" جمع فيها الأحاديث والأخبار التي وردت في المهدي، ولشيخنا **السيد المحقق العلامة الولي الصالح عبد الله بن الصديق الغماري الحسني** رحمه الله كتاب حافل سماه "المهدي المنتظر"، وقد بينت أخطاء وفندت مزاعم منكري خروج الإمام المهدي عليه السلام في رسالة مختصرة أسميتها "سلّ الحسام الهندي على منكر خروج المهدي".

5- الدَّجال:

اعلم أن من الآيات العظام والعلامات الجسام خروج الدجال أصل الكفر والضلال والفتن، فقد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها وحذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن أبي سلمة قال: سمعت أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثاً مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا النَّارُ هِيَ الْجَنَّةُ، فَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ)"أخرجه البخاري ومسلم"، وسُميّ كذلك؛ لأنه يغطي الحقّ بالباطل ويسمى بالمسيح الدَّجال؛ لأنه يمسح الأرض جوراً وظلماً وبهتاناً بعد أن يطأها؛ ولأنه ممسوح العين أيضاً، فعينه كحبةِ عنبٍ طافيةٍ لا سوادَ فيها ولا بياض، مكتوب على جبينه ك ف ر من قرأ عليه فواتح سورة الكهف نجا بفضل الله، والأحاديث فيه لعنه الله كثيرة متواترة منها ما جاء في الحديث الطويل عن فاطمة بنت قيس قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنَ تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيّاً فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ...قال دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.... قال إِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ

أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)"رواه مسلم".

وفي زمن الدَّجال يكون قد عمّ البلاء وانتشر، لا سيما في بيت المقدس، وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (أَنَّ قَبْلَ خُرُوجِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ أَوَّلُ سَنَةٍ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا وَالْأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةُ الثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا وَالْأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةُ الثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ مَا فِيهَا وَيَهْلَكُ كُلُّ ذِي ضِرْسٍ وَظِلْفٍ، وَيَسِيرُ وَمَعَهُ جَبَلَانِ أَحَدُهُمَا فِيهِ أَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَمَاءٌ، وَأَحَدُهُمَا فِيهِ دُخَانٌ، فَيَقُولُ هَذِهِ الْجَنَّةُ وَهَذِهِ النَّارُ)"رواه الحاكم في المستدرك"، وفي صحيح مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ)، وَعَنْهُ أيضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَأَمَّا إِنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً وَلْيُغْمِضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِد، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ)"رواه مسلم"، وأخرج مسلم من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ:

(غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِيحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً - أَيْ أَنَّهُ يَخْرُجُ قَصْداً وَطَرِيقاً وَالتَّخَلُّلُ الدُّخُولُ للشَّيْءَ - بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ تَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: (لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: (كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرىً وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً شَابّاً مُمْتَلِئاً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ)، والذي يشرع في قتال الدَّجال هو سيدنا المهدي المنتظر عليه السلام، حتى يشتد البلاء على المسلمين فينزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويقتل الدَّجال، لما جاء عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رسول اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ وَإِنَّهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَيَقُولُ لِلنَّاسِ أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ أَنْتَ رَبِّي فَقَدْ فُتِنَ، وَمَنْ قَالَ رَبِّيَ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ فَقَدْ عُصِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ وَلَا فِتْنَةَ بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَلا عَذَابَ فَيَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلام مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مُصَدِّقاً بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ)"رواه أحمد".

وقد جاء في الأخبار أن من أهم أسباب خروج الدجال هو نسيان ذكره على المنابر وعدم تحذير الناس منه حتى إذا ذكر ينكرون خروجه من كثرة الجهل به ومن أهم الأدلة على ذلك حديث رَاشِد بْنِ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ إِصْطَخْرُ نَادَى مُنَادٍ أَلا إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، قَالَ: فَلَقِيَهُمْ الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ، قَالَ: فَقَالَ لَوْلا مَا تَقُولُونَ لأَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ وَحَتَّى تَتْرُكَ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ)"رواه أحمد وغيره".

قلت: وقد تواتر الخبر في خروج المسيح الدَّجال فوجب الإيمان به خلافاً لمن قال أن الدجال كل رجل خبيث، وهو قول باطل لمخالفته النص المتواتر، وَأُلفت فيه التآليف المستقلة، وجمع كل أخباره الإمام العلامة السيد محمد بن رسول بن عبد السيد البرزنجي الحسيني الشافعي في كتابه "الإشاعة لأشراط الساعة".

6- **نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام**:

اعلم أن من علامات الساعة الكبرى نزول السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء حاكماً بالشريعة المحمدية، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الإسلام فلا خيار لأهل الكتاب وقتها إلا

الإسلام أو السيف، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث فَيَعُمُّ الخير وينتشر العدل، ويسود الإسلام والأمان، ويُرفع الجهاد، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة قرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج البخاري في تاريخه والطبراني: "يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعاً"اهـ.

ونزوله ثابت بالكتاب والسنة المتواترة وإجماع أهل الحق على ذلك، أما في الكتاب قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾"النساء:159"، فصريح الآية ومفهومها فيه رد على المكذبين الذين يكذبون بسيدنا عيسى عليه السلام ونزوله، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾"الزخرف:61" والتنبيه في الآية فيه تحريض للمؤمنين الذين يؤمنون بسيدنا عيسى عليه السلام ونزوله على الثبات على ذلك الإيمان، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾"المائدة:110" قال الحافظ السيوطي رحمه الله في (تفسير الجلالين) عقب قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ ما نصه: "يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رُفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران"اهـ، وقال السيد المحقق العلامة أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله في كتابه (إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان) عقب قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ ما نصه: "اشتملت الآية على نكتتين لطيفتين: الأولى: الإشارة إلى أن كلامه كهلاً يأتي على خلاف المعتاد المعهود، فإن الناس يتكلمون كهولاً وشباباً، ليس في ذلك ما يدعو إلى

العجب، ولكن العجب في شأن عيسى عليه السلام أن يُرفع شاباً ويغيب مئات السنين في عالم لا تجري عليه الأغيار الجسمانية، ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلاً، لا جرم أنه أمر غريب استحق لغرابته أن ينوه الله به في آيتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان تارة أخرى، فاشتملنا بذلك على معجزتين عظيمتين.

النكتة الثانية: التعبير بالناس حيث قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾"آل عمران:46" ولم يقل: ويكلم بني إسرائيل، أو قومه، كما هو المعهود في كل رسول أنه يكلم قومه الذين أُرسل إليهم خاصة، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب، بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان"اهـ.

وأما السنة فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تواتراً لا خلاف فيه بنزول عيسى عليه السلام، فقد رواه أكثر من عشرين نفساً من الصحابة غير الموقوفات والمقطوعات وهي في هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر في علوم الحديث، منها ما رُوي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)"رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم"، **قلت**: والذي أمر برفع الجزية هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو يسمى نسخ معلق بنزول عيسى عليه السلام.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ بِنَا فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ)"رواه مسلم"، وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً مَرفُوعاً: (لَيَهْبِطَنَّ ابْنُ

مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً وَإِمَاماً مُقْسِطاً وَلَيَسْلُكَنَّ فَجّاً حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً وَلَيَأْتِيَنَّ قَبْرِي حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَلأَرُدَّنَّ عَلَيْهِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَيْ بَنِي أَخِي إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَقُولُوا أَبُو هُرَيْرَةَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ."رواه الحاكم في المستدرك"، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إبراهيم وَمُوسَى وَعِيسَى، قَالَ: فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، قَالَ: فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إبراهيم، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِي بِهَا، قَالَ: فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ عِيسَى: أَمَّا وَجْبَتُهَا فَلا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِراً فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَئُونَ بِلادَهُمْ، لا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلا أَهْلَكُوهُ، وَلا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلا شَرِبُوهُ، قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، قَالَ: حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ فَيَجْتَرِفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ)"رواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما"، **قلت**: والحديث فيه نكتة وهي رواية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النبي عيسى عليه السلام، وتسمى مثل هذه الرواية كما قررها علماء الحديث برواية الأكابر عن الأصاغر.

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل الحق على نزوله في آخر الزمان حكماً عدلاً عاملاً بشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال **العلامة السفاريني الحنبلي** رحمه الله في (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية) ما نصه: "وقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل

الشريعة"اهـ، وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه: "وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق"اهـ، وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله: "والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لُدٍّ" اهـ (رواه الطبري في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة)، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء"اهـ، وقال **الإمام أبو الحسن الأشعري** رحمه الله في كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ما نصه: "ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله"اهـ، وقال **الحافظ أبو الحسين الآبري** في كتاب (مناقب الشافعي) ما نصه: "وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في المهدي أنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمه وعيسى خلفه في طول من قصته وأمره"اهـ، وقال **القاضي عياض** رحمه الله في كتاب (إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم) ما نصه: "نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق، وصحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته"اهـ، وقال **الإمام ابن عطية** في تفسيره: "وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب،

ويقتل الدجال، ويفيض العدل، وتظهر به ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويحج البيت ويعتمر" اهـ، وقال **الإمام محمد زاهد الكوثري** رحمه الله في كتابه (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة) ما نصه: "فظهر مما سبق أن نصوص القرآن الكريم وحدها تحتم القول برفع عيسى حياً، وبنزوله في آخر الزمان، حيث لا إعتداد باحتمالات خيالية لم تنشأ من دليل، كيف والأحاديث قد تواترت في ذلك، واستمرت الأمه خلفاً عن سلف على الأخذ بها، وتدوين موجبها في كتب الإعتقاد من أقدم العصور إلى اليوم فماذا بعد الحق إلا الضلال؟"اهـ، وقال **شيخ شيوخنا العلامه المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) ما نصه: "وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة"اهـ.

و اعلم أن الكلام في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهير أُفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة ككتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ محمد أنور شاه الكشميري، وكتاب (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة) للعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري رحمه الله، وكتاب (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام) للسيد العلامة الولي الصالح أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الحسني الطنجي رحمه الله، والله أعلم.

7- **نار تطرد النّاس إلى محشرهم:**

اعلم أن من الآيات العظام والعلامات الجسام حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ومن اليمن إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو أرض الشام كما جاء ذلك

صريحاً في روايات كثيرة، والصحيح أنَّ مصدر خروجها اليمن، ثمّ تنتشر بسرعة وتذهب شمالاً ويميناً وفي كلِّ الإتجاهات؛ لأنّها مأمورةٌ فتدفع النّاس إلى أرض الشام "أرض المحشر" في الدنيا قبل قيام الساعة، ويكون عليها الفصل بين أهل الحقِّ وأهل الباطل وهو حشر الدنيا ليس حشر الآخرة فتغلق عليهم كل الطرق إلا طريق الشام تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا، عن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ)"رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم" والمقصود بالمغرب أي بلاد الشام لأنها غرب المدينة، وعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ)، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)"رواه الترمذي وأحمد وغيرهما"، **قلت**: وقد تقدم في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ذكر النار في آخر العلامات، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ فَعَدَّهَا، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) فاعلم أنها من قبيل الأولية الإضافية إذ ثبت في الدليل الصحيح أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق والنار تجمع شرار الخلق إلى محشرهم فكانت النار من آخر العلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة، وللحافظ السخاوي قول آخر، وتسمى النار باسم البلاد التي تمر فيها، فتارة تسمى بنار حضرموت، وتارة تسمى نار بَرْهُوتَ ويقال له وادي النار وهو في قعر عدن، وعدن على ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد، وتارة نار تمر من حَبْسِ سَيْلٍ أيضاً وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار إليه يكون قبل وصولها إلى المدينة، عَنْ رَافِعِ بْنِ بِشْرٍ السُّلَمِيِّ،

عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَبْسِ سَيْلٍ تَسِيرُ بِسَيْرٍ بَطِيئَةٍ، تَكْمُنُ بِاللَّيْلِ وَتَسِيرُ بِالنَّهَارِ، تَغْدُو وَتَرُوحُ، يُقَالُ: غَدَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَاغْدُوا، قَالَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقِيلُوا، رَاحَتِ النَّارُ أَيُّهَا النَّاسُ فَرُوحُوا، مَنْ أَدْرَكَتْهُ أَكَلَتْهُ)"رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك وغيرهما.

8- **ريحٌ طيِّبةٌ تأخذُ المؤمنين:**

ومن علامات الساعة التي يجب الإيمان بها خروج الريح الطيبة، وهي ريحُ رحمةٍ وسلامٍ، تأخذُ أرواحَ المؤمنين وكلَّ مَنْ في قلبه حبةَ خَرْدَلٍ من إيمانٍ بِطِيبٍ ويُسْر، ولو كان في كَبِدِ الجَبَل، ويبقى شرار الناسِ وعليهم تقوم الساعة، فتضعُ كلُّ ذاتِ حمْلٍ حَمْلَها، وترى النّاسَ سُكارى من هَوْلِ وشدَّةِ الأحداث، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تَجِيءُ بَعْدَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا تُبْقِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُونَ مَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَيَعْبُدُونَهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)"رواه مسلم وأحمد وغيرهما"، وجاء عند مسلم: (يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ)، وفي حديث أبوهريرة مرفوعاً: (أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ فَلَا تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا

قبَضَتْهُ)"رواه الحاكم في المستدرك"، **قلت**: وقد تقدم ذكر أن الريح تأتي من قبل الشام، وللجمع بين الروايتين فهما ريحان شامية ويمانية.

وروى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان وابن عدي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ)، وفي لفظ: (لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ)، وفي لفظ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وروى الحاكم في المستدرك عَنْ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعن أبيهَا مَرْفُوعاً: (لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَيَبْعَثَ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَتَوَفَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ).

قلت: ولا تعارض بين ما سبق وبين ما رواه مسلم من حديث ثوبان قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) وفي لفظ: (حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)"رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل وغيرهما"، والمراد لايزالون على الحق حتى تأتيهم الريح الطيبة قرب القيامة وعند تحقق أشراطها فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، فأطلق بقاءهم إلى قيام الساعة وأراد علاماتها وقربها.

واختلفوا في المراد بالطائفة فمنهم من قال هم أهل الحديث وهو قول أحمد والبخاري، ومنهم من قال هم أهل الجهاد حكاه ابن الأثير في النهاية، ومنهم من قال هم الصوفية حكاه المناوي في فيض القدير، ومنهم من قال هم المجتهدون في الأحكام

الشرعية، ومنهم من قال إن هذه العصابة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم علماء محدثون ومنهم قائمون بالمعروف وناهين عن المنكر إلى غير ذلك حكاه النووي في شرح مسلم وهو الصواب، ومن أراد الوقوف على دليل كل منهما وتمحيص المعتمد منها فليرجع إلى رسالة شيخ شيوخنا السيد العلامة أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله في الكلام على هذا الحديث واسمها "الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة".

ثانياً: العلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾"الأنعام:158"، وهذه العلامات هي:

1- <u>طلوع الشمس من المغرب</u>:

إن من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها وهي من العلامات الغريبة العظيمة التي لا تقبل معها التوبة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً، الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ)"رواه مسلم"، قال قتادة (خويصة أحدكم) الموت، (وأمر العامة) الساعة، وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾"الأنعام:158")"رواه البخاري ومسلم وغيرهما"،

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)"رواه مسلم".

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدَّابَّةُ، أَيُّهُمَا كَانَتْ أَوَّلاً، فَالأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيباً، ثُمَّ نَشَأَ يُحَدِّثُ، قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا غَرَبَتْ، أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنَتْ فِي الرُّجُوعِ، فَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، قَالَ: ثُمَّ تَعُودُ تَسْتَأْذِنُ فِي الرُّجُوعِ، فَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقِ مَنْ لِي بِالنَّاسِ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، أَتَتْ فَاسْتَأْذَنَتْ، فَقَالَ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَكَانِكِ)"رواه الحاكم في المستدرك"، وقد نص العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث طلوع الشمس من مغربها فقد رواه خمسة عشر نفساً من الصحابة.

قال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتابه "الفقه الأكبر" ما نصه: "وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى صلوات الله عليه من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله الموفق"اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مَغْرِبِهَا، وخروج دابَّة الأَرضِ من موضِعِهَا"اهـ، وقال **الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط

الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها فهو حقٌّ"اه.

2- **خروج الدّابة "الجَسَّاسَة"**:

اعلم إن من علامات الساعة الكبرى خروج الدابة، فقد ثبت خبرها قرآناً وسنة وإجماعاً، وسُمِّيت بالجسَّاسة؛ لأنَّها تجسس أخبار النَّاس أما الكتاب قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾"النمل:82"، وأما السنة فكثيرة منها ما أخرجه مسلم عن فاطمة بنت قيس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (....فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ... الحديث)، وفي حديث مسلم السابق: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً) ذكر منها (...وَدَابَّةَ الأَرْضِ)، وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ، وَعَصَا مُوسَى فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ)"رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَليهِ السَّلام أَنَّهُ قِيلَ لَهُ إِنَّ نَاساً يَزْعُمُونَ أَنَّكَ دَابَّةُ الْأَرْضِ فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّ لِدَابَّةِ الْأَرْضِ رِيشاً وَزَغَباً وَمَا لِي رِيشٌ وَلَا زَغَبٌ، وَإِنَّ لَهَا حَافِراً وَإِنَّهَا لَتَخْرُجُ حَضَرَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ ثَلَاثاً وَمَا خَرَجَ ثُلُثَاهَا" "رواه السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار"، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "لَا يَلْبَثُونَ - يَعْنِي النَّاسَ - بَعْدَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ وَلَا يُقْبَلُ لِأَحَدٍ تَوْبَةٌ، وَيَخِرُّ إِبْلِيسُ سَاجِداً يُنَادِي إِلَهِي مُرْنِي أَسْجُدُ لِمَنْ شِئْتَ، وَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ تَقُولُ

يَا سَيِّدَنَا إِلَى مَنْ نَفْزَعُ فَيَقُولُ إِنَّمَا سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُنْظِرَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَأَنْظَرَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَهَذَا يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَتَصِيرُ الشَّيَاطِينُ ظَاهِرَةً فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ هَذَا قَرِينِي الَّذِي كَانَ يُغْوِينِي فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاه، وَلَا يَزَالُ إِبْلِيسُ سَاجِداً بَاكِياً حَتَّى تَخْرُجَ الدَّابَّةُ فَتَقْتُلُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ" "رواه الحاكم في المستدرك".

وأما الإجماع فقد نص عليه **العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الأحاديث المتواترة" فقال: "وانعقد على خروج دابة الأرض إجماع العلماء رضي الله عنهم".

قال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مَغْرِبِهَا، وخروج دابَّة الأَرضِ من موضِعِهَا"اهـ، وقال **الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة من خروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها فهو حقٌّ"اهـ، وقال **الحافظ ابن كثير** في تفسيره: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، فيخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك"اهـ.

فائدة: الظاهر أن خروجَ الدَّابةِ وطلوعَ الشمسِ من مغربها متلازمان، والفرق بينهما أنَّ خروج الدَّابة أوَّلية حقيقيَّة؛ لأنها موجودة منذ أن اجتمع بهما تميم الدَّاري وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناء عليه فإنَّ خروج الدَّابة يكون قبل خروج الشَّمس من المغرب، وطلوع الشمس على إثرها مباشرة؛ لأنَّ الدابة تُكلِّم الناس بما هو كائن من حالهم، فمن كان الظاهر من حاله الإسلام وأخبرته الدَّابة أنَّه يموت على غير الإسلام، فهو كذلك؛ لأنها مأمورة أطلعها الذي خلقها على حقائق الأمور، فلا يتخلَّف ما أخبرت به، وذلك من عجائب الأمور الدَّالة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

ومثاله ما جاء عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: حدَّثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهُوَ الصَّادقُ المَصْدوق: (فَوَاللهِ الَّذي لا إله غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتى ما يكُون بَيْنَهُ وبَيْنَها إلا ذِراعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَملِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها...الحديث)،"رواه البخاري ومسلم"، ومعنى هذا الحديث وما سبق من خروج الدابة كله محمولٌ على معنى ما يظهر للناس وليس حقيقة الأمر؛ لأن الظاهر من حال هؤلاءِ الإيمان وفي باطنهم الكفر، فبعد توصيف الدَّابة لحقائق النَّاس بأن يكون مؤمناً أو منافقاً وهم في غفلة من هذا، تعود عليهم الرِّيحُ الطِّيبة فتأخذ المؤمنين وتَدَع المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبْطنون الكفر، وعلى هذا المعنى فإنَّ الرِّيح لا تأخذ إلا مَنْ وَسَّمتهُ الدَّابة بالإيمان، وتَدَع مَنْ وسَّمَتهُ بالنِّفاق، حينها تخرج عليهم الشمس من مغربها فلا ينفع نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، أي عند تسمية وكَشْف الدَّابة لحقائق الأمور وعليه يُحمل حديث عبد الله بن عمرو بن الْعَاصِي حيثُ قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ حَدِيثاً لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحىً، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً)"رواه مسلم"، وبناءً على

هذا فإنَّ التوبة لا تُقبل من التَّائبين؛ لأنهم أُنْذِروا وأُعْذِروا بها قبل ظهورها ولم يُصدِّقوا بها إلا بعد أن تحقَّقَ وجودها فكان ذلك علامة فاصلة بين قَبول التَّوبة ورَدِّها، وليس بين صِدقها وقَبولها.

والشيءُ بالشيءِ يُذكر، فما مرَّ سابقاً من نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وأنَّ النَّاس يعيشون بُرْهةً من الزمن ليس بين اثنين عداوة، هذا كلامٌ صحيحٌ، ولكن لا يلزم منه عدم وجود المنافقين في ذلك الزَّمان، بل هم كُثر، ولكن العدل والأخذ على يد الظالم وإنصاف المظلوم هو الذي يُظهر للرَّائي في ذلك الزَّمان أنَّه ليس بين اثنين عداوة ظاهرة، كما كان ذلك في زمن سيدنا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ العدل هو الذي منع النَّاس من الظلم رغم كثرة المنافقين الذين يتربَّصون بالحقِّ وأهله، وكذلك في زمن سيدنا عيسى وقبله المهدي عليهما السلام.

و مما يجب أن يُعلم أنه بعد خروج الدَّابة وطلوع الشمس وإرسال الرِّيح الطيِّبة وفيض روح المؤمنين، يتحقق الشّيطان أنه لم يبق من أهل الإيمان أحد، فينادي بالنَّاس أنَّه لم يبق مؤمن على وجه الأرض فيُظهر المنافقون كوامن بواطنهم من الكفر، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، فأن السَّاعة لا تقوم وعلى الأرض مؤمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فتدبَّر أخي المؤمن كيفية الجمع بين الآيات والأحاديث لفهم عويص المسائل كمثل هذه المسألة. هداني الله وإياك إلى الصَّواب، والله ورسوله أعلم وأحكم.

كانت هذه لمحةٌ وجيزةٌ من بعض ما يتعلق بأشراط الساعة، والمعروف أنَّها متتابعة وكثيرة وعظيمة، وأكثرها خطورة هي العلامات الكبرى، وكما قلنا سابقاً يكون بين

العلامة والأخرى علامات منها ما هو باقي ومنها ما يختفي ويزول وهكذا، والأصل الإيمان بها جميعاً لأن الإيمان كلٌ واحدٌ لا يتجزأ، نسأل الله العظيم الحليم الذي لم يَلد ولَم يُولَد أنْ يُعَمِّرَ قلوبَنا وإيَّاكم باليَقِين به، وأن يختم لنا على كامل الإيمان، ويرزقنا العفو والعافية في الدِّين والدنيا، اللَّهُمَّ آمين.

وجوب الإيمان "بفناء العالم"

يجب على المكلف الإيمان بفناء العالم لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، ففناء العالم هو بإرادة الله تعالى فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾"القصص:88"، فيأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفخ في البوق، وهو بوق كبوق الدنيا، النفخة الأولى فيزول هذا العالم بكل ما فيه من الأحياء ويفنى وتسمى نفخة الصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾"الزمر:68"، ويستثنى من الصَّعقة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وشهداء المعترك.

وإسرافيل كما جميع الملائكة يُميته مَلَكُ الموت بعد أن ينفخ النفخة الأولى وسيأتي بيانها لاحقاً، ولا يبقى من المخلوقات سوى مَلَكُ الموت فيموت بمشيئة الله تعالى.

ولا بد من العلم هنا، وكما ذكرنا سابقاً، أن كل المخلوقات تموت وتفنى إلا تلك التي شاء الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس ذاتياً.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وكُلُّ شَيءٍ هالِـــكٌ قَـــدْ خَصَّصُـــوا عُمُومَـهُ فَاطْلُـبْ لِمَـا قَـدْ لَخَّصُـوا

وَفِي فَنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتُلِفْ وَاستَظْهَرَ السُّبْكِي بَقَاهَا الَّذْ عُرِفْ

عَجْبُ الذَّنَبْ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمُـــزَنِيُّ لِلْـــبِلَا وَوَضَّـــحَا

وقد جمعها **الإمام السيوطي الشافعي المصري** رحمه الله في قوله:

ثمانيةٌ حُكْمُ الْبَقاءِ يَعُمُّهَا مِنَ الْخَلْـقِ وَالْبَـاقُونَ فـي حَيّـزِ الْعَـدَمِ

هِيَ الْعَـرْشُ والْكُـرسِيُّ نَـارٌ وَجنَّـةٌ وَعَجْبٌ وَأَرْواحٌ كَذَا الْلَـوحُ والْقَلَـمُ

ولْيُعلم بأنَّه قبل فناء العالم يكون هناك حشرٌ من قعر عدن إلى أرض المحشر (بلاد الشام)، وهذا الحشر لا علاقة له بالحشر بعد الفناء والبعث، كما مر معنا سابقاً.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بفناء العالم:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾"الرحمن:26-27"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾"مريم:40"، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾"السجدة:11"، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥﴾"الروم:25"، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾"الروم:40"، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩﴾"الروم:19"، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِى ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾"الحج:6-7"، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾"غافر:68".

- **مِنَ السُنّةِ الْمُشَرَّفةِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ (سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾"الزمر:68" - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - (مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَشَإِ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ)، قَالَ- جبريل -: هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)"رواه الحاكم في المستدرك".

- **الإجماع:** أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بفناء العالم.

قال **الإمام البغـدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصـه: " وقـالوا أن الله سبحانه قادر على إفناء جميع العالم جملة، وعلى إفنـاء بعـض الأجسـام مـع بقـاء بعضها"اهـ.

وجوب الإيمان "بالموت"

يجب على المكلف الإيمان بالموت، لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو فراغ الآجال المقدرة، وهو عرضٌ يضادّ الحياة، وعلامته مفارقة الروح للجسد، ثم إنتقاله من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾"الأعراف:34"، وقال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾"المنافقون:11" خلافاً لمن قال: إن هي إلا أرحامٌ تدفع وأرض تبلع.

فيجب على المكلف التصديق بعموم فناء الكل إلا من استثني بدليل، ومُنْكره كافرٌ كونه أنكر صريح القرآن والسنة والإجماع واتفاق الأمم، وما هو مشاهد بالحسّ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالموت:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾"الأنبياء:35"، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾"القصص:88"، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾"الزمر:30"، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾"النساء:78"، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾"الجمعة:8"، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩﴾"المؤمنون:99"، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾"الملك:2".
- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)"رواه مسلم"، وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)"رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم"، وعَنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)"رواه الترمذي وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم".

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالموت، وبأنه نازل بكل روح لا محال.

قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجاز أصحابنا وأكثر الأمة فناء جميع العالم جملة وتفصيلاً، وقالوا أن الذي خلقها قادر على إفناء جميعها وقادر على إفناء بعضها" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَوَاجِـــبٌ إِيمَانُنَــــا بِـــــالمَوْتِ وَيَقْــبِضُ الــرُّوحَ رَسُــولُ الــــمَوْتِ

وللموت مَلَكٌ كريم موكل بقبض الأرواح ونزعها من الأجساد بإذن الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾"السجدة:11"، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾"النساء:97"، وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾"الأنعام:61"، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۝٢٧﴾"محمد:27"، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾"الأنعام:93"، ونحو ذلك من الآيات الصريحة على أن الذي يقبض الروح ملائكة لا ملك واحد، وللجمع بين الآيات فيكون المراد أن ملك الموت عليه السلام هو الموكل بقبض الأرواح، ولكن له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، قال **العلامة الصاوي** رحمه الله في كتاب (حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد) ما نصه: "فكيفة الجمع بينهما أن تقول: آية الرسل محمولة على المعالجة، وآية ملك الموت محمولة على

المباشرة بالفعل" اهـ، ويدل عليه حَدِيث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِب الطَّوِيلِ الْمَشْهُورِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِيهِ: (أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا أَخَذَ رُوحَ الْمَيِّتِ أَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ بِسُرْعَةٍ مَلَائِكَةٌ فَصَعِدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ)"رواه أحمد"، وقال **الإمام جلال الدين السيوطي** رحمه الله في كتاب (الحبائك في أخبار الملائك): أخرج عبد الرزاق، وأحمد في الزهد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: "جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم" اهـ، وأما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾"الزمر:42" فهي محمولة على الفاعل الحقيقي؛ لأنه الخالق لذلك حقيقة، ولا يكون شيء إلا بمشيئته تعالى.

وقد أجمع الأصوليين على أن الجزم بتعين إسم نبي أو مَلَك لا يثبت إلا إذا ثبت بخبر يقيني، وعملاً بمنطوق هذه القاعدة، فلم يثبت بالكتاب ولا بالسنة المتواترة اسمٌ لملك الموت، خلافاً لمن قال أن اسمه "عزرائيل".

واعلم أنه عليه السلام يترقق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة، ويكفيه المؤمن بشارة رؤيته لملك الموت عليه السلام، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾"النحل:32"، أمَّا الكافر فملك الموت عليه السلام ليس رحيماً به، بل ينتزع روحه انتزاعاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾"النحل:28-29".

ومما تجدر الإشارة إليه بأنَّ الميتَ ميتٌ بعمره وأَجَله الذي كتبه الله له، فلا يموت أحدٌ إلا بأجله وتغيير الآجال ممتنع، والأجل هو الوقت الذي كتب الله في الأزل إنتهاء حياته فيه، بمرضٍ أو قتلٍ أو إنتحارٍ، أو غير ذلك، فالموت بخلقِ الله تعالى، والسَّبب كسبٌ، والحدُّ والقصاص وغير ذلك مما جرت به العادة كلُّهُ من قبيل الأسباب من غير دخل للقاتل.

الأدلة النقلية على أن المقتول ميت بأجله:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾"آل عمران:145"، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾"النحل:61".
- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، **وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**)"رواه البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم".
- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على أن كلَّ مَنْ مات حَتْفَ أنْفِه أو قتل فإنما مات بأجَله.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقال أهل السنّة في الآجال: أنّ كلَّ مَنْ مات حَتْفَ أنْفِه أو قتل فإنما مات بأجَله الذي جعله الله أجلاً لعمره، والله تعالى قادر على إبقائه والزيادة في عمره، لكنه متى لم يُبْقِهِ إلى مدة لم تكن المدة التي لم يبقه إليها أجلاً له" اهـ، وقال **العلامة القرطبي** رحمه الله في كتاب (الجامع لأحكام القرآن) ما نصه: "هذا إعلام أن الموت لا بد منه،

وأن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له؛ لأن معنى مؤجلاً إلى أجل، ومعنى بإذن الله بقضاء الله وقدره، وكتاباً نصب على المصدر: أي كتب الله كتاباً مؤجلاً، وأجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه: أن روح الحي تفارق جسده، ومتى قتل العبد علمنا أن ذلك أجله، ولا يصح أن يقال: لو لم يقتل لعاش" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَمَيِّـــتٌ بِعُمْــرِهِ مَــنْ يُقْتَــلُ وَغَـــيْرُ هَـــذَا بَاطِـــلٌ لَا يُقْبَــلُ

قال **ابن نَبَّاته السعدي** رحمه الله:

ومنْ لم يَمُـتْ بالسَّـيفِ مـاتَ بغـيرِهِ تعــدَّدتِ الأســبابُ والمــوتُ واحــدُ

فكله سابقٌ في علم الله تعالى كونه سيموت قتلاً أو انتحاراً أو مرضاً أو حرقاً أو غير ذلك.

وجوب الإيمان "بسؤال الملكين منكر ونكير"

يجب على المكلف الإيمان بسؤال الملكين مُنْكَر وَنَكِير للمكلف بعد الموت إلا من استثني بدليل، فَيُسأل المؤمن والكافر والمنافق، وإنما سُمِّيا بذلك؛ لأنهما يأتيان الميت بصورة مُنْكَرَة لم يسبق له رؤيتهما على حقيقتهما، فيترَفَّقَان بالمؤمن وينتهِران المنافق والكافر، و اعلم أن السؤال إنما هو للمكلفين من الإنس والجن، واختص الله بعض عباده فعصمهم منه، ومنهم: الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والمرابطون، وملازم قراءة سورة تبارك في كل ليلة، كذا سورة السجده، ومن مات ليلة الجمعة أو يومها، وغير ذلك مما ورد في السنة استثناؤه، روى النسائي في السنن، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى

رَأْسِهِ فِتْنَةً)، وعن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ)"رواه الترمذي و أبو داود والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وعن عبد الله بن عمرو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلا وَقَاهُ اللَّه فِتْنَةَ الْقَبْرِ)"رواه الترمذي وأحمد"، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)"رواه الترمذي".

ولابد من سؤال الميت، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها أو تناثر جسده في الجو أو البحر حتى ولو كان رماداً، إذ لا يَبْعُدُ أن الله تعالى يعيد له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة أو يُعيده لأصله كما كانت؛ لأن قدرة الله تعالى صالحة لذلك وأكثر من ذلك، وقد تنوعت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب حال الميت، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاده ومنهم من يسأل عن كلها، قال ابن عباس: "يسألون عن الشهادتين"، وقال عكرمة: يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمر التوحيد".

قلت: وقد أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بسؤال الملكين منكر ونكير للميت لثبوت الأدلة المتواترة قرآناً وسنةً، فقد بلغت أحاديث سؤال الملكين للميت

في قبره، مبلغ التواتر، كما بينها شيخ شيوخنا **العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" فقال: "باب فتنة القبر، وهي سؤال الملكين قد تواترت الأحاديث بذلك"اهـ، وعد ثمانية وعشرين نفساً ممن رواها، وقال: "وأنها بلغت في العد سبعين حديثاً"اهـ، وممن نقل تواترها **الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني الباجي المالكي** في كتاب (تحرير المقالة في شرح الرسالة) قال: "بلغت الأخبار في فتنة القبر وعذابه مبلغ التواتر" اهـ، وقال الأبي في شرح مسلم: "أنه تواتر كل من فتنة القبر وعذابه، وأجمع عليه أهل الحق"اهـ، وقال **الإمام ابن الجوزي** رحمه الله: "تتبعت الأحاديث المتواترة فبلغت جملة منها حديث الشفاعة، وحديث الحساب، وحديث النظر إلى الله تعالى في الآخرة، وحديث غسل الرجلين في الوضوء، وحديث عذاب القبر، وحديث المسح على الخفين"اهـ، وقال **ابن عبد البر** في (التمهيد) ما نصه: "تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحوض وأجمع أهل الحق والسنة على الإيمان به وتصديقه، وكذلك الأثر في الشفاعة وعذاب القبر، والحمد لله رب العالمين"، وقال **الإمام السعد التفتازاني** في شرحه على العقائد النسفية ما نصه: "وبالجملة: الأحاديث في هذا المعنى، وفي كثير من أحوال الآخرة متواترة المعنى، وإن لم يبلغ آحادها حدَّ التَّواتر" اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بفتنة القبر:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾"إبراهيم:27"

والمقصود بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ سؤالهم في القبر، أما المقصود بقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فهو السؤال يوم القيامة.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنِ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وتولَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)"رواه البخاري ومسلم"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)"رواه الترمذي"، وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ، قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِمَيِّتِكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ)"رواه أبو داود والبيهقي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على ثبوت السؤال في القبر.

قال **الإمام محمد الملا الحنفي** رحمه الله في كتاب (عقد اللآلي في شرح بدء الأمالي) ما نصه: "أجمع أهل السنة على سؤال منكر ونكير؛ لأن ذلك أمر ممكن، وورد به النص فيجب الإيمان به" اهـ، وقال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر"اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر وإعادة الروح إلى جسد العبد في قبره حق" اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: " ونؤمن بسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربِّه ودينه ونبيِّه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين "اهـ، وقال **الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: " وسؤال مُنكرٍ ونَكِيرٍ ثابتٌ بالدَّلائِل السَّمْعِيَّةِ" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

سُؤَالُنَا ثُمَّ عَذَابُ القَبْرِ نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعْثِ الحَشْرِ

وجوب الإيمان "بالقبر ونعيمه وعذابه"

يجب على المكلف الإيمان بنعيم القبر وعذابه وإحياء الموتى فيه لثبوت ذلك بالكتاب والسنة واتفاق أهل الحق من المسلمين، والمراد بهما نعيم البرزخ وعذابه، لقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾"المؤمنون:100".

ومعنى البرزخ: هو مجموعة الأمور والأحداث الفاصلة بين الدنيا والآخرة، يبدأ من الموت وينتهي بالبعث، فهو العالم الذي ينقل الله تعالى إليه الأرواح بعد الممات.

والحياة البرزخية لا تقاس على الدنيا كما لا تقاس على الآخرة كذلك، ولكن لها وجهٌ متعَلِقٌ بالدنيا كالعظام واللحم والدعاء وردِّ السلام وما إلى ذلك، ووجهٌ متعلِقٌ بالآخرة كالتّعيم والعذاب، فيجب على كل مكلَّفٍ الإيمان بالبرزخ، وأنَّ حقيقة البرزخ لا يُدْركها مخلوقٌ إلا من أطلعه الله تعالى على ذلك من الرسل والأنبياء والملائكة وبعد خواصه من الأولياء.

واعلم أنه أضيف النعيم والعذاب للقبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب، قبر أو لم يقبر، ولو غرق أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو حرق ثم ذرته الرياح، ومن العذاب ضغطة القبر، والضرب بمطارق من حديد، وجعله حفرة من حفر النار، وكذلك الكلام في النعيم فهو يشمل كل ميت قبر أو لم يقبر، ومن النعيم توسيع القبر، وفتح طاقة فيه من الجنة، وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة، وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر، وكل هذا مما يتناسب مع عالم البرزخ.

وبناءً على ما تقدم وجب الإيمان بالقبر ونعيمه وعذابه حقيقةً وليس معنىً لمن كان لذلك أهلاً، وأنه واقع في حياة البرزخ بالروح والبدن معاً، وإن عجزت العقول عن تصوره لكونها لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، فهو أمر ممكن أخبر به الصادق، وتواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد رُوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)"رواه الترمذي والنّسائي والحاكم في المستدرك بسند صحيح"، **قلت**: وهذا محمول على الغالب، وقد نقل شيخ شيوخنا **العلامة السيد**

محمد بن جعفر الكتاني الحسني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث عذاب القبر ونعيمه، فقد رواه اثنان وثلاثون نفساً، وقال **الإمام اللقاني** رحمه الله في شرح منظومته لما تكلم عن عذاب القبر ونعيمه ما نصه: "وأما الأحاديث فبلغت جملتها التواتر"اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾"غافر:46" فالآية صريحة في إثبات عذاب القبر قبل قيام الساعة بدلالة عطف المغايرة فعطف عذاب القيامة عليه، فُعلم أنه غيره وليس غير عذاب القبر، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾"غافر:11" فإن الإحياء الأول في القبر والثاني في الحشر بالإتفاق، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾"آل عمران:169-170" يدل عليه صريحاً، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾"المائدة:93"، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾"السجدة:21"، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾"التوبة:101"، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾"البقرة:154".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)"رواه البخاري ومسلم"، وَعَنْ زيدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ)، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)، فَقُلْنَا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"رواه مسلم"، وروى البخاري إنّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ، وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: (إِنّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ)، إِنّمَا قَالَ: (إِنّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ)، وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتاً، فَقَالَ: (يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا)"رواه الشيخان وأحمد وغيرهم"، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ)"أخرجه الطبراني في الأوسط، والترمذي ضمن حديث طويل في صفة القيامة عن أبي سعيد الخدري".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

قال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر"اهـ، وقال **الإمام الأُبي** رحمه الله في (إكمال إكمال المعلم

على شرح صحيح مسلم) في الكلام على أحاديث شق العسيب على القبر ما نصه: "تواتر، وأجمع عليه أهل السنة"اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم أجمعين ولبعض عصاة المسلمين" اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بملكِ الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربِّه ودينه ونبيِّه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الصحابة رضي الله عنهم، والقبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرة من حُفَرِ النَّار "اهـ، وقال **الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين، وتنعيم أهل الطاعة في القبر مما يعلمه الله تعالى ويريده" اهـ، وقال **الإمام محي الدين النووي** رحمه الله في (شرح مسلم) ما نصه: "إعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾"غافر:46"، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رواية جماعة من الصحابة، في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

سُــــؤَالُنَا ثُـــمَّ عَـــذَابُ القَـــبْرِ نَعِيمُـــهُ وَاجِـــبٌ كَبَعْـــثِ الحَـــشْرِ

فائدة: استدل بعضهم على نفي الحياة في البرزخ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾"فاطر:22"، اعلم أنه استدلال ضعيف؛ لأن المراد من الآية تشبيه حال الكفار بحال الموتى من جهة عدم سماع القبول والإمتثال لأحكام الشرع، لا نفي ثبوت الحياة في القبر وعدم سماعهم حقيقة، فما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بالسلام على أهل القبور فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، أَتَى المَقْبَرَةَ، فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) الحديث، فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع، فيفهم الخطاب ويجيب، وكما بينا أن أمور البرزخ لا تقاس بأمور الدنيا، وَعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟، قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً)"رواه البخاري ومسلم".

وجوب الإيمان "بالبعث"

يجب على المكلف الإيمان بالبعث لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من السلمين.

اصطلاحاً: وهو إحياء الموتى بعد النفخة الثانية، وإخراج أهل القبور من قبورهم، وعودة الأرواح إلى الأجساد لا تخطئ روحٌ جسدها، حتى الذين ماتوا حرقاً أو غرقاً أو غير ذلك فالكل تعود أجسادهم كما كانت لِتَلْقى الحساب، هذا في حقِّ من بَلِيَ

جسده، أما من بقي جسده كما هو حال الرُّسل والأنبياء، والشهداء والصِّدِّيقين، ومن شاء الله له ذلك، فهؤلاء لا يتعلق بهم هذا الأمر، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾"الزمر:68"، وأوَّل مَن تنشق عنه الأرض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و اعلم أن الأجساد بعد البعث تعود كما كانت في الدنيا، إلا أن هذه الأجساد تستحيل إلى أفضل من ذلك لكي تليق بدخول الجنة وذوق نعيمها فضلاً من المولى سبحانه وتعالى، كذلك أجساد الكفار تستحيل وتُضَخَّم لكي يقع عليها عذاب جهنم عدلاً منه سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث عَن عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَعْظُمُونَ، حَتَّى يَكُونَ مِنْ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ عُنُقِهِ سَبْعَ مِائَةٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعِينَ، وَضِرْسُهُ أَعْظَمُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ)"رواه الطبراني وغيره"، وقد نص شيخ شيوخنا **العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث بعث العباد ومعادهم الجسماني، قال: "ذكر اللقاني في شرحه لجوهرته أن جملتها ثابت بالتواتر المعنوي، ودلالة القرآن، وأنه من ضروريات الدين، وإنكاره كفر بيقين"اهـ، وقال إمام الحرمين **أبي المعالي عبد الملك الجويني** رحمه الله في (العقيدة النظامية): "فإذا ثبت الجواز فقد نطق الكتاب ومتواتر السنن بنشر الخلائق ليوم الدين وقيامهم لرب العالمين" اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالبعث:

من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾"المؤمنون:16"، وقال

تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾"الحج:7"، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾"الزمر:68"، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾"التغابن:7"، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾"الأنبياء:104"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾"الروم:27"، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾"لقمان:28"، وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾"القيامة:40".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ،....، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَاءً مِنَ السَّمَاءِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ)"رواه البخاري ومسلم وغيرهما"، وعن عبد الله بن عمرو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَهُ فَيَصْعَقُ، ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَعِقَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ يُنْزِلُ اللَّهُ، مطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)"رواه مسلم"، وعن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ)"رواه مالك في الموطأ وأحمد والنسائي وغيرهم"، وعَنِ الْبَرَاءِ بن عازب، قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت.

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن البعث حق وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا" اهـ، وقال **الإمام أبو منصور البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا إن الله عز وجل يعيد في الآخرة الناس وسائر الحيوانات التي ماتت في الدنيا"اهـ.

وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسيّ المالكيّ** رحمه الله:

الإيمــانُ جَــزْمٌ بــالإلهِ والكتــبْ والرّسْـلِ والأمْـلاكِ مـع بَعـثٍ قَـرُبْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

سُـــؤَالُنَا ثُـــمَّ عَـــذَابُ القَـــبْرِ نَعِيمُـــهُ وَاجِـبْ كَبَعْـثِ الحَـــشْرِ

واعلم أن بَعْثَ الأمواتِ جائزٌ عقلاً، فاللهُ تعالى القادرُ على الخَلْقِ من الْعَدَمِ أولاً، وهو القادِر على بعث الخَلْقِ ثانياً، فقدرتُهُ تعالى صالحةٌ لهذا ولأكثر من هذا، كما بين ذلك في محكم تنزيله، مبيناً لنا عجائب قدرته في كيفية نقل الإنسان من طور إلى آخر، وكذلك إظهار عجائب قدرته في الأرض التي نعيش عليها من إيجادٍ وإعدامٍ فيه غاية الإتقان والإحكام والذي يفوق تصور العقول، ولولا أننا ما لمسناه وعشناه وشاهدناه وسمعناه وأحكمت الحواس الخمسة ذلك لما فهمناه قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۞٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۞٧﴾"الحج:5-7"، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۞٨١﴾"يس:81".

ولْيُعلم بأنَّ قدرة الله تعالى صالحة لجمع وبعث كل الموتى ومنهم الحَرْقَى والغَرْقَى ومَنْ أكلته الطيور والسِّباع والأسماك في البحر ومن قُطِّعَ وحُرِّق وذلك لما رُوي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ: لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ، قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ، قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ) "رواه البخاري وغيره".

وجوب الإيمان "بالحَشْر"

يجب على كل مكلف الإيمان بالحشر لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، ومكانه أرض الشام يوم تبدل الأرض غير هذه الأرض، وهو غير الحشر الذي مر معنا؛ لأن الحشر الأول يكون في الدنيا وهو من علامات الساعة الكبرى التي تقبل معها التوبة، كما سبق في محله.

اصطلاحاً: هو سَوْقُ الخلائق إلى المَــوْقِفِ بعد البعث لفصل القضاء، ووزن الأعمال، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار، ويكون بالروح والجسد معاً، ولا فرق في ذلك بين مَن يُجازى وهم الإنس والجن، وبين من لم يُجاز كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه أهل الحق خلافاً لمن أنكر ذلك، والموقف يكون في بلاد الشام أرض المحْشَرِ والمنْشَرِ، وهي أرضٌ بيضاءٌ مستويةٌ كالأديم، وهو الجِلْدِ المشْدُود، لا جبال فيها ولا وديان ولا غيرها، وهي أرض لم يعص الله عليها، فيُحْشَرُ المكلفون على وِفْقِ أعمالهم في الدنيا، وما خُتم لهم عليه، فمنهم طاعمون كاسون راكبون على نُوقٍ رَحائِلُها من ذهب وهم الأتقياء، ومنهم حُفاةٌ عراةٌ وهم المسلمون أصحاب الكبائر، ومنهم يُجَرُّون على وجوههم ويُؤْخَذُونَ بالنَّواصي وهم الكفار والعياذ بالله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفاً مُشَاةً وَصِنْفاً رُكْبَاناً وَصِنْفاً عَلَى وُجُوهِهِمْ) قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: (إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ)"رواه الترمذي"، أمَّا الأنبياء والمرسلون يُحشرون كالسُّرُجِ الـمُـنيرة من شدَّة تَمَيُّزِهِم عن باقي المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾"النساء:69".

ويكون الحشر للإنس والجنِّ والدَّواب والطيور،حتى أنَّه يؤتى بالشاة العجفاء، وهي الكسيرة الهزيلة، ويُقْتَصُّ لها، ثمَّ يُؤتى بالموت على شكل كَبْش، ثم يُذبَحُ ويموت، وينادي منادي يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت، وينادى للحيوانات كوني تراباً فتكون تراباً فيقول الكافر يا ليتني كنت ترابا، وما هو بكائن.

وقد نص شيخ شيوخنا **العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث حشر العباد إلى المحشر لفصل القضاء بينهم، فقال: "ذكر اللقاني في شرحه لجوهرته أن جملتها ثابت بالتواتر المعنوي، ودلالة القرآن، وأنه من ضروريات الدين، وإنكاره كفر بيقين" اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحشر:

- **من القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾"الكهف:47"، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾"الأنعام:38"، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾"ق:44"، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾"آل عمران:158"، وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾"النساء:172"، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾"الأنعام:128"، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾"التكوير:5"، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾"المطففين:6".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ -وهو الدَّقيق النَّقيُّ الأبيض -لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)"متفق عليه"، وعَن السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ:

(تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً – غُرْلاً: أي غير مختُونِين-)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: (الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ)"متفق عليه"، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ - التي لا قرن لها - مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)"رواه مسلم وعند أحمد بلفظ (الشاة الجمَّاء)"، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا)"رواه مسلم"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْماً بِلَحْمٍ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ..)"رواه البخاري ومسلم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بسوق الخلائق إلى أرض المحشر لفصل القضاء بينهم.

قال **الإمام أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي الحسني المالكي** رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله

عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، كالحشر والنشر لعين هذا البدن، لا لمثله إجماعاً" اهـ، وعن النعمان بن سويد قال: كنا عند علي بن أبي طالب عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾"مريم:85"، قال عليه السلام: "لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب **الجنة**" **اهـ** "رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد"، وقال **الإمام الغزالي** رحمه الله في (إحياء علوم الدين) ما نصه: "الحشر والنشر قد ورد بهما الشرع، وهو حق، والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن"اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

سُـــؤَالُنَا ثُـــمَّ عَـــذَابُ القَـــبْرِ نَعِيمُـــهُ وَاجِـــبْ كَبَعْـــثِ الحَـــشْرِ

وجوب الإيمان "باليوم الآخر"

يجب على كل مكلف الإيمان باليوم الآخر لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، ويسمى: بيوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم القيامة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم الزلزلة، ويوم الغاشية وله نحو ثلاثمئة اسم جمعها الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين، وأول اليوم الآخر هو من وقت البعث إلى ما لا ينتهي، وقيل: حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وإنما سمي آخراً لأنه متصل بآخر أيام الدنيا، وقيل: لأنه آخر الأيام فلا ليل بعده، بل نور محض على من آمن، أو ظلام محض على من طغى وكفر، وسمي بيوم القيامة: لقيام الناس فيه من قبورهم بين يدي خالقهم، ولقيام الحجة لهم أو عليهم.

و اعلم أن الخلائق تنالها من الشدائد في هذا الموقف الشيء الكثير، ففيه يلجم الناس بالعرق، فيبلغ آذانهم، ومنهم من يبلغ فوق رؤوسهم، وهم في العرق على قدر أعمالهم، فعن المقدادِ بنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً)، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. "رواه مسلم"، وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة، وفيه سؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾"الصافات:24"، وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)"رواه الترمذي وغيره"، أما الأنبياء والأولياء فهم آمنون من عذاب الله تعالى لا يمسهم الجزع، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾"الأنبياء:103"، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾"يونس:62"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)"متفق عليه"، ويوم القيامة طوله ألف سنة، وقيل خمسون

ألفاً، ولا يُعلم التعارض في ذلك؛ لأن العدد لا يفيد الحصر إلا بقرينة كما قرره علماء الأصول، والمعنى أن الناس مختلفون في ذلك على حسب أعمالهم، فيشدد على الكفار ويطول حتى يكون مقداره خمسين ألف سنة، ومنهم من يمر عليه كألف سنة، ويخفف على الصالحين حتى يكون كركعتين خفيفتين، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾"الحج:47"، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَلا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾"المطففين:6"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ) "رواه الحاكم في المستدرك"، ومن جملة أحكام اليوم الآخر ما تضمنتها سورة التكوير من قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾"التكوير:1" إلى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾"التكوير:14" ولذلك روي من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)"رواه الترمذي وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾"الحج:1-

2"، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾"الحج:47"، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾"المعارج:1-5"، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾"الزمر:31"، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾"النساء:136"، وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾﴾"القيامة:1".

- **مِنَ السُنّةِ الْمُشَرَّفةِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) "رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم".

- **الإجماع:** أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

قال **الإمام ابن أبي العباس الطوفي الصرصري البغدادي** رحمه الله في كتاب (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية) ما نصه: "أن من أنكر القيامة ضال كافر؛ لأنها من أركان الإيمان الخمسة، وهذا إجماع" اهـ.

وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان "اهـ، وقال **الإمام أبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي الحسني المالكي** رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، كالحشر والنشر،...،وكالصراط وكالميزان، والجنة والنار، وعذاب القبر وسؤاله" اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَاليَـوْمُ الآخِـرُ ثُـمَّ هَـوْلُ المَوْقِـفِ حَـقٌّ، فَخَفِّـفِ يَـا رَحِـيمُ وَاسْـعِفِ

وجوب الإيمان "بالحساب"

يجب على كل مكلف الإيمان بالحساب لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو توقيف الله العباد قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً أو إعتقاداً.

ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن، إلا من استثني منه، فعن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ)"رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم بألفاظ مختلفة،

وهو حديث متواتر رواه تسعة عشر نفساً "، ومنهم من يقف للمحاسبة، فقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ)، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾"الإنشقاق:7-9" قَالَ: (ذَلِكَ الْعَرْضُ)"رواه البخاري والترمذي وابن حبان وغيرهم"، والحساب يكون بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فصل القضاء، والمراد به أن يكلمهم الله تعالى في شأن أعمالهم وما لها من الثواب وما عليها من العقاب، فيسمعهم كلامه القديم، فعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)"متفق عليه".

ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد، بل يحاسب الناس جميعاً معاً، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده دون غيره، وأول من يحاسب هذه الأمه لتدخل الجنة قبل غيرها، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ)"رواه ابن ماجه"، والحساب متفاوت فمنه اليسير والعسير، ومنه السر والجهر، ومنه التوبيخ والفضل والعدل، ومنه من تشهد عليه جوارحه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟

أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ "فصلت:19-21".

والناس في الحساب أربعة أصناف: منهم من يدخل الجنة من غير حساب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ "غافر:40"، ولحديث أبي أمامة السابق، ومنهم من يدخل النار من غير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ "آل عمران:77"، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ، تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ)"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ "الإنشقاق:7-8"، وعَنْ السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ فَقَالَ: (هُوَ أَنْ يَنْظُرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيَتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ فَقَدْ هَلَكَ)"رواه أحمد والحاكم في المستدرك واسحاق بن راهويه في مسنده وغيرهم"، ورَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ فَقَالَ: (مَا

أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟) قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومَا) فَقَامَا مَعَهُ؛ فَأَتَى رَجُلاً مِنْ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَيْنَ فُلَانٌ ؟) قَالَتْ: يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ؛ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافاً مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ) فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا؛ فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ نَعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، **قلت**: هذا سؤال إكرام ووجل ليس سؤال حساب، فالله سبحانه وتعالى يعرف عبده بذنوبه، ويُقال له: فَعلت كذا وفَعلت كذا، ثم يتجاوز عنه فيقال له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، والمعنى أنه يعرض عليه أعماله ويعرض أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن السيئة فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يُطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح، عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَآخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ، لا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُنُوباً مَا أَرَاهَا

هَهُنَا) قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. "رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ)، قال ابن الجوزي في (كشف المشكل من حديث الصحيحين): "وظاهر هذا الحديث أن من فتش عن كل شيء عمله عذب؛ لأنه إنما يفتش المسخوط عليه فأما المرحوم فإن بداية رحمته المسامحة في المسألة" اهـ.

وقد تواترت أحاديث الحساب فنقل شيخ شيوخنا **العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث الحساب.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحساب:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾"البقرة:202"، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾"إبراهيم:41"، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾"الرعد:18"، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾"الرعد:40"، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾"الإنشقاق:7-9"، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾"الأنبياء:1"، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾"الحجر:92-93"، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾"النور:24"، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾"فصلت:20".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** عَنْ عِمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ)، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: (أَنْتَ مِنْهُمْ)، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ)"رواه مسلم"، وعن عبد الله بن قيس الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تُحْشَرُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَصِنْفٍ يُحَاسَبُونَ حِسَاباً يَسِيراً، وَآخَرُ يَجُوزُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ، فَسَأَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: هَؤُلاءِ عُبَيْدٌ مِنْ عَبِيدِي، لَمْ يُشْرِكُوا بِي شَيْئاً، وَعَلَى ظُهُورِهِمُ الذُّنُوبُ وَالْخَطَايَا، حُطُّوهَا وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي)"رواه الحاكم في المستدرك"، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الشَّارَةِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لِحُسْنِ وَجْهِهِ وَشَارَتِهِ، وَطِيبِ رِيحِهِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَأَدْنُو يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَنَا، ثُمَّ قَامَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لِتَوْقِيرِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَأَدْنُو يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ فَخِذَهُ عَلَى فَخِذِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَرِجْلَهُ عَلَى رِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ، وَالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ

وَمُرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ)"رواه النسائي"، وفي الحديث جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: يَا ابْنِ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ رَبِّ، فَيَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّه، فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَسْتُرُهَا عَلَيْكَ الْيَوْمَ، قَالَ: وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)"رواه مسلم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالحساب.

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أنهم يحاسبون عما عملوا من خير وشر وأن الله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لم يشاء" اهـ.

وقال **الإمام الحسن البصري** رحمه الله: "سُوءُ الْحِسَابِ أَنْ يُؤَاخَذَ الْعَبْدُ بِخَطَايَاهُ كلها، وَلا يُغْفَرَ لَهُ مِنْهَا ذَنْبٌ"اهـ. "أخرجه الطبري في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة"، وسأل رجلٌ **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله فقال: "يُكَلِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَمَنْ يَقْضِي بَيْنَ الْخَلْقِ إِلَّا اللَّهُ، يُكَلِّمُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ وَيَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُتَكَلِّمٌ لَمْ يَزَلْ يَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ، وَلَيْسَ لِلَّهِ عِدْلٌ وَلَا مِثْلٌ"اهـ. (أخرجه الطبري في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة).

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَفِي الـــزَّمَنْ قَـــوْلَانِ، وَالحِسَـــابُ حَـــقٌّ وَمَـــا فِي حَقِّـــهِ ارْتِيَـــابُ

وجوب الإيمان "بِنَشر الصحف"

يجب على كل مكلف الإيمان بنشر صحف الأعمال لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا.

ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة، تُطوى عند الموت وتُنْشر عند الحساب، فعندما ينفخ إسرافيل عليه السلام نفخته الثانية في البوق تتطاير الصُحُف، وكل صحيفةٍ تأتي صاحبها تتعلق في عنقه لا تُخْطِئُهُ، يكون فيها مثاقيلُ الذَّرِّ، ومثاقيلُ الخَرْدل من الخير والشَّر، ومن الصحف ما هو مقروء، ولكن الفضح لا يكون إلا للكفار، ثم تنادي الملائكة كل واحد وصحيفته في عنقه، فتنزع الصحيفة منه ثم تعطيه إياها في يده، فمن جاءته صحيفته من قُبُل فهو المؤمن ويأخذها باليمين، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾"الحاقة:19-24"، فهؤلاء هم أهل الإيمان جازمين باللقاء فرحين بالعطاء يُعْطَون كُتُبِهم بأيمانهم تَـمَيُّزاً لهم ورِفْعَةً لِشَأنِهم، ومن جاءته من الدُّبُر فهو الكافر ويأخذها بالشمال قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾"الحاقة:25-26"، فهؤلاء هم أهل الفجور والطُّغيان آيسين متحسرين، يُعطَون كتبهم بالشِّمال تَحقيراً لهم ولمكانتهم والعياذ بالله تعالى، أمّا مَنْ جاءته من وراء ظهره فهو المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام، ثم يأتي المـَلَكُ ويأخذه على الإشهاد ثم تُوضع

بيده الشِّمال، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾"الإنشقاق:10-12".

واعلم أن أول ما يقرأ المؤمن صحيفة حسناته يبيض وجهه، وأما الكافر فيسود وجهه، ويقرأ كل أحد كتابه، ولو كان أمياً، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه ومنهم من يدعوا الناس لقراءته إعجاباً مما فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾"آل عمران:106-107".

وقد تواترت أحاديث نشر الصحف فنقل شيخ شيوخنا العلامة **السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث الصراط والميزان وإنطاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال الجنة والنار، فقال: "نقل البُرزُلِي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لمختصر خليل" اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنشر الصحف:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾"التكوير:10"، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾"الإسراء:13-14"

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ السيدة أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وآله وسَلَّم قَالَ: (يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً حُفَاةً) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاسَوْءَتَاهُ يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(شُغِلَ النَّاسُ)، قُلْتُ: مَا شَغَلَهُمْ؟ قَالَ: (نَشْرُ الصُّحُفِ، فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ)"رواه الطبراني في الأوسط"، وعَن أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ)"رواه ابن ماجه وأحمد والترمذي من رواية أبو هريرة"، وعن أَنَسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (يُجَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلاَئِكَتِهِ أَلْقُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلاَّ خَيْراً فَيَقُولُ _ وَهُوَ أَعْلَمُ _ إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِى وَلاَ أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِى)"رواه الدار قطني في السنن"، وعَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ ؟) قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ، فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا فِي ثَلاثِ مَوَاطِنَ فَلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكُتُبِ، حَتَّى يُقَالَ: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِذَا وَضَعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حَافَّتَاهُ، كَلالِيبُ كَثِيرَةٌ وَحَسَكٌ كَثِيرٌ، يَحْبِسُ اللَّهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَنْجُو أَمْ لا)"رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وغيرهما"، وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال : (يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار)"رواه أحمد"

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بنشر الصُحُفِ يوم القيامة.

قال الإمام **أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب **وقراءة الكتاب** والثواب والعقاب والصراط والميزان "اهـ.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَوَاجِـبٌ أَخْـذُ العِبـادِ الصُّـحُفَا كمَـا مِـنَ القُـرآنِ نَصّـاً عُرِفَـا

وجوب الإيمان "بالميزان"

يجب على كل مكلف الإيمان بوزن أفعال العباد والميزان لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو ميزانٌ واحدٌ حقيقيٌّ كميزان الدنيا، له لسانٌ وكفَّتان، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأراضين، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً قال: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كَفَّتانِ، لَوْ وُضِعَ فِي أَحَدِهِمَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوَسِعَهُ" "أخرجه الطبري في أصول الإعتقاد"، ولا يعلم قَدْره وكيفيَّته إلا الله تعالى، يُوزن به أفعال العباد من خير وشَّر، والطاعة والمعصية، فالله تعالى يُحْدِثُ في صحائفِ الأعمالِ وَزْناً بحسبِ درجاتِ الأعمالِ عنده سبحانه وتعالى، فتكون مقادير أعمال العباد معلومة عنده، حتى يظهر لهم الفضل في العفو وتضعيف الثواب أو العدل في العقاب، ويشهد له حديث البطاقة، وهو ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّص رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لاَ يَا

رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)"أخرجه الترمذي واللفظ له وأحمد وابن حبان وغيرهم".

والميزان فرع عن الحساب، فلا توزن أعمال الأنبياء والملائكة، ولا من يدخل الجنة بغير حساب، بل يُزَفُّوا إلى الجنة من غير وزنٍ ولا حساب، وهؤلاء هم الأوَّلون، أمّا الفُجَّارُ الكافرون لا قَدْرَ لهم عند الله، فلا ينفعهم عملهم مهما كان مع الكفر، بل يُقذفون في النَّار، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾"الكهف:105"، ومعناه: فلا نقيم لهم وزناً نافعاً ينجون به من الخلود في النار، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب، قال ابن عباس مرفوعاً: "تُوزَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فِي مِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ "الأعراف:8"، وَيُؤْتَى بِعَمَلِ الْكَافِرِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ فَيَخِفُّ وَزْنُهُ حَتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ" "أخرجه القرطبي في تفسيره".

وقد يوزن الشخص نفسه، ولا عبرة يوم القيامة بمقدار وزنه كأن يكون رجل عظيماً طويلاً أكولاً شروباً أو رجل ضعيفاً نحيفاً قصيراً، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ،

فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟) قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)"رواه ابن حبان وأحمد وغيرهما"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾"الكهف:105")"متفق عليه".

وقد تواترت الأحاديث في إثبات الميزان، فنقل شيخ شيوخنا العلامة **السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تواتر أحاديث الصراط والميزان وانطاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال الجنة والنار، فقال: "نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لمختصر خليل، وانظر الدر المنثور لدى قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾"الأعراف: 8"، فقد ذكر فيه هناك كثيراً من أحاديث الميزان" اهـ، وقال شيخنا سيدي **عبد العزيز الغماري الحسني الطنجي** رحمه الله في "إتحاف ذوي الفضائل المشتهره": "قال والد المؤلف سيدي جعفر الكتاني في ختم البخاري وأحاديث الميزان بلغت مبلغ التواتر"اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالميزان:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾"الأعراف:8-9"، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا

حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾"الأنبياء:47"، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾"القارعة:6-9"، والجمع في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ إنما هو للتعظيم من شأنه وليس للعدد؛ لأن المعلوم من أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفَةِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ)"متفق عليه"، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ)"رواه أبو داود والترمذي وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ)"رواه ابن ماجه وابن حبان وأحمد وغيرهم"، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً وَيَحْمَدُ عَشْراً وَيُكَبِّرُ عَشْراً، فَهِيَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ فِي اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ)"رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم"، عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ثوبان بن بجدد القرشي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَخٍ بَخٍ خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَر، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ)"رواه ابن حبان وأحمد والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَؤُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَيْهِ)"رواه الترمذي".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالميزان يوم القيامة.

قال **أبو اسحاق الزجاج** رحمه الله: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان" " نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، وقال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا بالحوض، والصراط، والميزان" اهـ.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ قال: ذُكِرَ الْمِيزَانُ عِنْدَ الْحَسَنِ فَقَالَ: (لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ)"رواه الطبري في أصول الاعتقاد"، وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والحساب والميزان والجنة والنار حق كله،..،ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق" اهـ، وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾"الأنبياء:47" فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَمَنْ رَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ رَدَّ عَلَى اللَّهِ" "أخرجه الطبري في أصول الإعتقاد"، وقال **الإمام أبو جعفرٍ الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والْإِيمَانُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ"اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

الإِيمَـــانُ جَـــزْمٌ بِـــالإلَهِ وَالْكُتُـــبْ وَالرُّسْلِ وَالأمْـلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَـــدَرٍ كَــــذَا صِرَاطٌ **مـــيزانْ** حَــوْضُ النَّـــبِيِّ جَنَّـــةٌ وَنِـــيرَانْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَمِثَــلُ هَــذَا الــوَزْنُ وَالمِــيزَانُ فَتُـــوزَنُ الكُتْــبُ أَو الأَعْيَـــانُ

وجوب الإيمان "بالصراط"

يجب على كل مكلف الإيمان بالصراط لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو جسرٌ ممدود على متن جهنَّم، يبدأ من الأرض المبدلة في الدنيا وينتهي إلى ما يلي الجنة، يـَرِدُهُ جميع الخلائق، المؤمنون منهم والكافرون، ويتفاوتون في مرورهم عليه، فمنهم فريق سالم يـمر على الصراط كلمح البصر، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم من يـمر كالطير، وبعضهم سعياً، وبعضهم مشياً، وبعضهم حبواً، ومنهم فريق هالك يزِّلون منه إلى جهنَّم، وهؤلاء هم الكافرون وعصاة المسلمين، والعياذ بالله تعالى.

وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء والملائكة يقولون: "اللّٰهُمَّ سَلِّم سَلِّم" كما في الصحيح، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَبِجَنْبَتَيْهِ مَلائِكَةٌ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَـمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَـمُرُّ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يـَمْشِي مَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً، فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلا يَمُوتُونَ، وَلا يَحْيَوْنَ)"رواه البخاري ومسلم وابن حبان وغيرهم"، وَعَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم: (يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي أَوَّلِ مَنْ يَجُوزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، فَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)"متفق عليه".

وفي بعض الروايات وصف الصِّراط بأنه أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف، وهو كناية عن الشدَّة والمشقَّة التي تلحق بالكافرين وبعض العصاة من المؤمنين، أمَّا أن يكون على معنى الحقيقة "أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف" فهذا ليس ببعيد إذ قدرة الله تعالى صالحة لهذا ولغير هذا، وهناك من العلماء من قال هذا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً قَالَ: "بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ" "رواه مسلم، ورواه أحمد من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها"، والأصل وجوب الإيمان بالصراط، أما الخلاف على ماهية الصراط وحقيقته فذلك لا يضر؛ لأنه خلاف متفرع عن الأصل وليس هو خلاف في ثبوت الأصل.

وقد نص شيخ شيوخنا العلامة **السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على تواتر أحاديث الصراط، قال رحمه الله: "الصراط والميزان وانطاق الجوارح، وتطاير الصحف وأهوال الموقف، وأحوال الجنة والنار: نقل البرزلي عن شرح الإرشاد أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لمختصر خليل، وفي الشهاب على الشفا في الكلام على حديث الشفاعة الكبرى على قوله فيه: "وتأتي الأمانة والرحم فتقومان على جنبي الصراط" ما نصه: وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي"اهـ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالصراط:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾"الصافات:22-24"، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦﴾"يس:66".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم: (يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرانَي جهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟)، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو)"رواه الشيخان وأحمد"، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: لِتَلْحَقْ كُلُّ أُمَّةٍ بِمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ صَنَماً وَلَا وَثَناً وَلَا صُورَةً إِلَّا ذَهَبُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: ثُمَّ يَعْرِضُ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، ثُمَّ يَضْرِبُ الْجِسْرَ قُلْنَا: وَمَا الْجِسْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ لَهُ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا عَقِيفاً، يُقَالُ: لَهُ السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ وَكَالطَّرْفِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجْوَدِ الْخَيْلِ وَالرَّاكِبِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَحَدٌ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ يَرَاهُ مُضِيّاً لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي

إِخْوَانِهِمْ)"رواه مسلم"، وعَنْ أَنَسٍ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: (أَنَا فَاعِلٌ)، فَقُلْتُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: (اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ، قَالَ: (فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ)"رواه الترمذي".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيـمان بالصراط يوم القيامة.

قال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا بالحوض، والصراط، والميزان" اهـ، وقال **القاضي عياض** رحمه الله في كتاب (إكمال المعّلِم) ما نصه: "وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجسر كما في الحديث الآخر"اهـ.

روي عن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً أنه قال: "يُوضَعُ الصِّرَاطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ مَنْ يـمُرُّ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ"رواه الطبري في أصول الإعتقاد"، وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله: "نُؤْمِنُ بِالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ، لَا نَدْفَعُ ذَلِكَ وَلَا نَرْتَابُ" "رواه الطبري في أصول الإعتقاد"، وقال الإمام **أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والْإِيمَانُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... وَالصِّرَاطِ" اهـ، وقال **الإمام أبو حفص النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والصراط حق" اهـ، وقال **الإمام أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني** رحمه الله في (الرسالة) ما نصه:

"وإن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم"اه.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

الإِيمَــانُ جَــزْمٌ بِــالإِلَهِ وَالْكُتُــبْ وَالرُّسْلِ وَالأَمْـلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَــدَرٍ كَــذَا صِرَاطٌ مــيزانْ حَــوْضُ النَّـبِيِّ جَنَّــةٌ وَنِــيرَانْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

كَـذَا الصِّــرَاطُ فَالعِبَـادُ مُخْتَلِـفْ مُـــرُورُهُمْ فَسَالـــمٌ وَمُنْتَلِـــفْ

وجوب الإيمان "بالحوض"

يجب على كل مكلف الإيمان بأن الله تعالى أكرم نبينا محمد صلى الله عليه وآلِهِ وسلم بحوض يوم القيامة، تشرب منه أمته، الطائعون شراباً طيباً مباركاً، ويُذادُ عنه من بدَّلَ وَغَيَّرَ كما ثبت بذلك النقل المتواتر.

اصطلاحاً: هو جسمٌ مخصوصٌ، كبيرٌ متّسعُ الجوانبِ والزوايا، ترده هذه الأمة من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

وقد ورد أن لكلِّ نبيٍّ حوضاً، وأكبرُ الأحواضِ حوضُهُ الـمورودُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم، يَرِدُ عليه من تـمسَّك بسنَّته صلى الله عليه وآله وسلم وألقى الـمودة لآل بيته ليشرب شربة هنيئةً لا يظمأ بعدها أبداً، أمَّا من ارْتَدَّ عن دين الله تعالى أو أحدث فيه مالا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبْعدين عنه، وأشدهم طَرْداً مَنْ خالَفَ جماعةَ المسلمين، وفارقَ سبيلَهُم، وكذلك الظّلمَةُ الـمُسْرِفونَ في الجُورِ والظُّلْمِ وتَطميسِ الحَقِّ وقَتْلِ أهلِهِ وإذلالهم، والـمُعْلِنُونَ بالكبائر المستخِفُّون بالمعاصي،

وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، فالعُصاة من المؤمنين يُمنعون ويُذادون ابتداءاً من الشُّرب من الحوض إلى أن تنالهم شفاعةُ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

تنبيه: اختُلِفَ في الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده؟ ذهب الإمام أبو الحسن القابسي رحمه الله كما نقل في التذكرة أنه رجح أن يكون قبل الصراط، وصححه بعضهم؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض للشرب منه، وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم حوضان: حوض قبل الصراط، وحوض بعده وصححه الإمام القرطبي رحمه الله في التذكره.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحوض:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾"الكوثر: 1".

- **مِنَ السُّنّةِ المُشَرَّفَةِ**: عن عبد الله بن عَمْرٍو بن الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ – أكوابُهُ- كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً)"رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري"، مع ضرورة الانتباه بأن هذه الأوصاف اشتركت بالاسم فقط مع ما في الدنيا، وتفرَّقت في حقيقة الصفة،كون الدنيا لا تُقاس على الآخرة، والآخرة لا تقاس على الدنيا، فحقيقة الحوض لا نعلمها، ولكن نُقرُّ ونُؤمِنُ بما ثبتَ في الأخبارِ الواردة عنه صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ - قرية تتوسط المدينة ومصر والشام (القدس)- وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنْ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاء)"رواه البخاري ومسلم"، وعن سُمْرَةَ بن جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وآلِهِ وسلم: (إنَّ لِكُلِّ نَبي حَوْضاً، وَإِنّهُم يَتَبَاهَوْن أَيُّهُم أَكْثَر وَارِدَة، وَإِنّي أَرْجُو أَن أَكُوْن أَكْثَرَهُم وَارِدَة)"رواه الترمذي"، ونشير بأنَّ رجاءه واقعٌ مأمولٌ، ولكن يقولُه صلى الله عليه وآلِهِ وسلم تأدُّباً وتواضعاً منه، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمّ لَيُخْتَلَجُنّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ إِنّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)"رواه أحمد وغيره"، وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلاً؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: (إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي)"رواه الشيخان"، ومن أهم أسباب الورود على حوضه مودة آل بيته بطريقة مرضية لا غلوَ فيها ولا تقصير وقوفاً مع الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾"الشورى: 23"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُونِي بِما تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)"رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما"، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ

تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)"رواه الترمذي وحسَّنه والحاكم في المستدرك وغيرهما"، والحديث متواتر فلينظر أحدنا كيف يخلفه في آل بيته.

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالحوض يوم القيامة.

قال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر. وقالوا: بالحوض، والصراط، والميزان، ومن أنكر ذلك حُرِمَ الشرب من الحوض" اهـ.

وقال **الإمام أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وحوض النبي صلى الله عليه وآلِهِ وسلم في القيامة حق" اهـ، وقال **الإمام الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حقٌّ" اهـ، وقال **القاضي عياض** رحمه الله في (إكمال الْمُعّلِم) ما نصه: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه..، وحديثه متواتر عند أهل النقل، رواه خلائق من الصحابة" اهـ، وقال **ابن عبد البر** رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "الأحاديث في حوضه صلى الله عليه وآله وسلم متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم" اهـ، وقال العلامة **البدر العيني** في كتاب (عمدة القاري) ما نصه: "وقد أنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد أحد أمراء

العراق، وهؤلاء ضلوا في ذلك، وخرقوا إجماع السلف، وفارقوا مذهب أئمة الخلف. ورويت أحاديث الحوض عن أكثر من خمسين صحابياً" اهـ، وقال **الإمام أبو حفص النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والحوض حق" اهـ، وقال الإمام **ابن أبي زيد القيرواني** في رسالته ما نصه: "والإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه أبداً ويذاد عنه من بدل وغير"اهـ، وأوصل الإمام **السيوطي** رحمه الله في (الأزهار المتناثره في الأخبار المتواترة): عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابياً، وقال شيخنا السيد **عبد العزيز الغماري الحسني الطنجي** رحمه الله في (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتناثرة): "وزاد الكتاني في النظم المتناثر من الحديث المتواتر سبعة آخرين"، ثم قال: "وزاد شقيقنا في الإلمام بما تواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام إثنان أيضاً".

قلت: فيكون مجموع من رواه أربعة وستون صحابياً.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

الإِيمَــــانُ جَــــزْمٌ بِـــالإِلَهِ وَالْكُتُـــبْ ... وَالرُّسْلِ وَالأَمْـلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَـــدَرٍ كَـــذَا صِرَاطٌ مـــيزانْ ... **حَـــوْضُ النَّـــبِيّ** جَنَّـــةٌ وَنِـــيرَانْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

إِيمَانُنَـــا بِحَـــوْضِ خَـــيْرِ الرُّسْـــلِ ... حَـــتْمٌ كَمَـــا قَـــدْ جَاءَنَـــا فِي النَّقْـــلِ

يَنَـــالُ شُرْبـــاً مِنْـــهُ أَقْـــوَامٌ وَفَـــوْا ... بِعَهْـــدِهِمْ وَقُـــلْ يُـــذَادُ مَـــنْ طَغَـــوْا

وجوب الإيمان "بالشفاعة"

يجب على كل مكلف الإيمان بشفاعة المشفع يوم القيامة لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هو سؤال الخير من الغير للغير.

وهذا السؤال يكون من الأدنى للأعلى غالباً، وهو على قسمين:

الشفاعة في الدنيا: وهي اتخاذ الوسائل عند أصحاب الجاه والسلطان في قضاء الحوائج، ورد الحقوق إلى أصحابها، وهي جائزة لا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾"النساء:85"، وعن أبي موسى الأشعري، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ)"متفق عليه".

الشفاعة في الآخرة: وهي المرادة هنا، وهي عند الإطلاق يراد بها الشفاعة العظمى لأهل الجمع في تعجيل الحساب، والإراحة من طول الوقوف والغم، وهي المقام المحمود الذي خُص به سيدنا محمد صلى الله عليه وآلِهِ وسلم، وشفاعته عليه الصلاة والسلام تكون بقولٍ أو عملٍ مقربٍ إلى الله تعالى ليقضي بين الخلق لإراحتهم من طول الموقف ومشقته، وهي ثابتة له صلى الله عليه وآلِهِ وسلم، لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، ثم له بعد ذلك صلى الله عليه وآلِهِ وسلم شفاعات:

إحداها: شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (شرح مسلم): "وهي مختصة به صلى الله عليه وآلِهِ وسلم".

ثانيتها: شفاعته فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، كما ذكر ذلك السيوطي في الخصائص الكبرى.

ثالثتها: شفاعته فيمن يدخل النار من الموحدين أن يخرج منها، فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ)"رواه البخاري".

رابعتها: شفاعته في زيادة الدرجات لأهل الجنة.

خامستها: شفاعته لأهل الأعراف.

سادستها: وهي في الدنيا كالتخفيف من عذاب القبر، فعن جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ)"رواه مسلم"، وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ)"رواه الترمذي وأحمد والطبراني وقال حديث صحيح وغيرهم "، وقد تواترت أحاديث التوسل به عليه الصلاة والسلام فقال التقي السبكي في كتاب (شفاء السقام): "هذا متواتر، والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفزعون إليه ويستغيثون به في جميع مانابهم" اهـ.

وكذلك تُطلب الشفاعة يوم القيامة ممن ارتضى الله من النبيين والمرسلين والملائكة والصالحين، ومنهم:

- **الملائكة عليهم السَّلام**: وشفاعتهم تكون بالتَّرتيب حسب أفضليتهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ النَّبِيُّونَ، وَالْمَلائِكَةُ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)"رواه مسلم".
- **العلماء العاملون**: فالقليل من العلم والكثير من العمل خير من كثير من العلم ولا عمل، فقد أخرج الدَّيْلَمِيُّ في (مسند الفردوس) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً: (يُقَالُ لِلْعَالِمِ: اشْفَعْ فِي تَلَامِذَتِكَ، وَلَوْ بَلَغَ عَدَدُهُمْ نُجُومَ السَّمَاءِ).
- **الشهداء**: ودرجات الشهادة متنوعة وكثيرة، أفضلها وأعلاها شهادة المعترك، فشهيد المعترك الذي يقاتل من أجل إعلاء كلمة الحقِّ هو شهيد الدنيا والآخرة، ولا بد أن يكون محصلاً للحد الأدنى من معنى الشهادتين ولم يأتِ بما ينافيهما لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاعتقاد، فقد أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ يَقُولُ: (الشَّهِيدُ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ).
- **الأولياء والصالحون**: والولي هو من أدَّى الواجبات واجتنب الـمُحرَّمات، فأتقن ضروريات الدين وأكثر من العمل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر سواء ظهرت على يديه الكرامات أم لم تظهر، فقد أخرج أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ).

• **الصِّدِّيقون كلٌّ في مجاله**: فالتاجر الصادق يشفع، والطبيب الصادق يشفع وغيرهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)"رواه الترمذي والدارمي وصححه الحاكم في المستدرك واللفظ له".

• **الطفل دون سن البلوغ**: فهو فَرَطٌ لأهلهِ على الحوض إذا احتسبوا وصبروا، عن أبي حسان قال: قلتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، (صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى، أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ)"رواه مسلم وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهم".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالشفاعة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾"طه:109"، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾"البقرة:255"، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾"الأنبياء:28"، وقال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾"مريم:87"، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾"النجم:26"، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾"الزخرف:86".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)"رواه أحمد"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً)"رواه البخاري ومسلم وغيرهما"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إبراهيم، فَيَأْتُونَ إبراهيم، فَيَقُولُونَ: يَا إبراهيم، أَنْتَ نَبِيُّ

اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)"متفق عليه"، والحديث متواتر رواه نحو اثنى عشر نفساً من

الصحابة، وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَليهِما السَلام أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (الْزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَوَدُّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَنْفَعُ عَبْداً عَمَلُهُ إِلا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا)"رواه الطبري في المعجم الأوسط".

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي)، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل)"ذكره ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأئمة"

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالشفاعة يوم القيامة.

قال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن صُلحاء أمته، للمذنبين من المسلمين، ولمن كان في قلبه ذرةٌ من الإيمان، والمنكرون للشفاعة يُحرمون الشفاعة" اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين للعقاب حق ثابت" اهـ، وقال **الإمام الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما رويَ في الأخبار" اهـ، وقال **ابن عبد البر** رحمه الله في كتاب (الإستذكار) ما نصه:

"وإثبات الشفاعة ركن من أركان اعتقاد أهل السنة، وهم مجمعون على أن تأويل قول الله تعالى: ﴿أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾"الإسراء:79" المقام المحمود: هو شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في المذنبين من أمته، ولا أعلم في هذا مخالفاً إلا شيئاً" اهـ، وقال **الإمام التقي السبكي** عند ذكر أحاديث التوسل به في عرصات القيامة في كتاب (شفاء السقام) ما نصه: "أنه مما قام عليه الإجماع، وتواترت الأخبار به، وقال في المواهب اللدنية ما نصه: وأما التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة، فمما قام عليه الإجماع، وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة" اهـ، وقال **الإمام السعد** في شرح النسفية بعد ذكر حديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ما نصه: "وهو مشهور بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى" اهـ، وقال **الإمام السخاوي** رحمه الله في كتاب (فتح المغيث) ما نصه: "أن عدد رواة حديث الشفاعة والحوض من الصحابة زاد على أربعين، وممن وصفهما بذلك عياض في الشفا"اهـ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَوَاجِـــبٌ شَـــفَاعَةُ الــــمُشَفَّعِ مُحَمَّــــدٍ مُقَــــدَّماً لَا تُمْنَــــعِ
وَغَــيْرُهُ مِــنْ مُرْتَــضَى الأَخْيَــارِ يَشْــفَعُ كَمَــا قَــدْ جَــاءَ فِي الأَخْبَــارِ

وجوب الإيمان "بالجنة "

يجب على كل مكلف الإيمان بالجنة لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله تعالى فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحًا: هي دار الخلود ومأوى المؤمنين التي أعدَّها الله تعالى كرامةً لهم وجـزاءً لإيمانهم وطاعتهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن، بدليل النصوص الكثيرة الدالــة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامــة، فيهــا النعــيم العظــيم الأبــدي، ونعيمهــا

حقيقيٌ بخلاف مَنْ ضَلَّ وقال أنَّه معنوي، مَنْ دخلها لا يخرج منها تكرماً من المولى سبحانه، فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي لا تقاس على نعيم الدنيا ولا بوجهٍ من الوجوه، فالـمُسمَّيات في الجنة هي نفسها مُسمَّيات الدنيا كالنَّخل والرُّمان والأكواب والأباريق وغيرها، ولكنَّها جَزْماً تختلف في الصفة، إذْ هي من قبيل الثابت في الأصل المتشابه في الوصف، يجب الإيمان بها على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والجنَّة من المخلوقات الثمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس بذاتها.

ونعيم الجنَّة نعيمٌ دائمٌ يزداد ولا ينقص، لا مرضَ فيها ولا أوجاع، ولا شقاء ولا أحزان، إنَّما السُّرور والهناء، وجوههم ضاحكةٌ مستبشرةٌ متنعِّمةٌ، راضيةٌ مرضيَّةٌ، فالـمُخَلَّدون فيها لا يَبُولُونَ ولا يتغوّطونَ ولا يمتخَّطونَ ولا يَتْفلِونَ، أمشاطُهُم الذّهَبُ، ورشْحُهُم الـمِسْك، وأزواجُهُم الحورُ العين، وملْبَسَهُم وطَعَامَهُم وشَرَابَهُم ليس من عِرِيٍّ أو جوعٍ أو ظمأٍ، إنما هي اللّذاتُ الـمُتتابعة والخيرات المتوالية التي لا تنتهي.

وأفضل ما يُكرم به أهل الجنة النَّظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى الكريم، وهذه الرؤية تكون بالعين الباقية بلا كيف، فالصورة والكيفيَّة عن الله وصفاته منفيَّة، فليس كمثله شيء سبحانه كما مر معنا.

وجميع أهل الجنة من الشباب والشيوخ والكهول إنما يدخلون الجنة في سن الشباب: أبناء ثلاث وثلاثين عاماً.

والجنَّةُ لها أسماءٌ كثيرةٌ ومختلفةٌ جاءت في القرآن الكريم، تُوحي بالنّعيم المـُقيم، منها: جَنَّة عدن، دارُ السَّلام، جَنّاتُ النَّعيم، دارُ الآخرة، دار القرار، دارُ المتَّقين،

الفِرْدَوس، الحُسنى، جَنَّة الخُلد وغيرهـا، وكلهـا تـدل على "الجنَّـة"، وهي جنَّـةٌ واحـدةٌ، ولكنَّها منازلُ متفاوتةٌ، حسب سعي المؤمن في الدنيـا مـع تحصـيله لأصـل الإيمـان، ومنازل الجنَّة كلها متَّصلةٌ بمقام الوسيلة المحمود الذي بُعـث له رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل درجات الجنَّة هي الفِردوس الأعلى، وهي رَبْوة الجنَّة وأوْسَطُها وأعْلَاها وأرْفَعُها، ولْيُعلم بأنَّ منازل الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام ليسـت كمنازل دونهم.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجنة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزْقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾"البقرة:25"، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾"البقرة:195"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾"المائدة:12"، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾"الكهف:31"، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾"الرحمن:46" واختيار صيغة المثنى وغيرها من الصِّيغ ما هي إلا تنويعٌ في الاسْتدلال لمزيدٍ من تشويقِ المؤمن لطلب المنزلة الفُضلى والسَّعي إليها، والآياتُ في هذا المقامِ كثيرةٌ جداً.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا عَمِلَ)"متفق عليه"، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ)"رواه البخاري ومسلم"، وعنه رضي الله عنه أيضاً، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ)"رواه البخاري وغيره"، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)"مُتَّفَقٌ عَلَيه"، وعَنْ جَابِرٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ)"رواه مسلم وأحمد وغيرهما".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود الجنة وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾"البقرة:35"، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾"آل عمران:133"، وهذا نصٌ إذ المعدوم لا يقال له: (أُعِدَّ) فهو مُعدّ أي موجود، والآية وصفت عرض الجنة والعرض لا يكون إلا لموجود وأما المعدوم لا عرض له، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾"النجم:13-15".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: أما الأحاديث فكثيرة مقتضية للتواتر المعنوي، وقد نص شيخ شيوخنا العلامة **السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على أن أحاديث الجنة والنار مخلوقتان الآن متواترة، **قلت**: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ)"رواه الشيخان"، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾"الواقعة:30")"رواه

البخاري"، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ)"رواه البخاري"، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله وسَلَّم: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشْرٍ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُمُونِي أَرَدْتُ أَنْ آخُذَ قِطْفاً مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ)"رواه الشيخان"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَر، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ)"رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالجنة وأنها مخلوقة الآن.

قال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن ما وصف الله تعالى به في الجنة من أكل وشرب وأزواج مقدسات ولباس ولذة حق صحيح"اهـ، وقال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين" اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمداً" اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً" اهـ، وقال **ابن عبد البر** رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان" اهـ، وقال **الإمام النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان" اهـ، وقال الإمام **أبو عبد الله السنوسي الحسني المالكي** رحمه الله في كتاب (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "وأما الجنة والنار فثبوتهما مما عُلم من الدين ضرورة، وهما مخلوقتان" اهـ، وقال العلامة السيد **عبد الله بن الصديق الغماري** رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام) ما نصه: "وإنما الذي يجب إعتقاده: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، للأدلة على ذلك من الكتاب والسنة المتواترة" اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

الإِيمَـــانُ جَـــزْمٌ بِـــالإِلَهِ وَالكُتُـــبْ وَالرُّسْـــلِ وَالأَمْـــلاكِ مَـــعْ بَعْـــثٍ قَـــرُبْ
وَقَـــدَرٍ كَـــذَا صِرَاطٌ مِـــيزانْ حَـــوْضُ النَّـــبِيّ جَنَّـــةٌ وَنِـــيرَانْ

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

وَالنَّـــارُ حَـــقٌّ أُوجِـــدَتْ كَالجَنَّـــة فَـــلَا تَمِـــلْ لِجَاحِـــدٍ ذِي جِنَّـــة

فائدة: إعلم أن دخول الجنة هو فضل من الله تعالى لا عوض عن الطاعات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾"فاطر:35"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ)، فَقِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: (وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ)"رواه مسلم وابن حبان وأحمد وغيرهم".

وجوب الإيمان "بالنار"

يجب على كل مكلف الإيمان بالنار لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين.

اصطلاحاً: هي مُسْتَقَرُّ ومأوى الكافرين، أعدَّها الله تعالى عقاباً وجزاءً لكفرهم وطغيانهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة، وفيها العذاب العظيم الأبدي، وعذابها حقيقيٌ لا معنوي فقد خلقت للتعذيب وإحداث الألم في الكفار وبعض عصاة المسلمين قبل خروجهم منها، ولا يصح صرفها إلى معنى آخر، كتفسير أن العذاب مشتق من العذوبة وهو تأويل باطل لمخالفته صريح القرآن فلا يلتفت إليه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ "المائدة:37" ومَنْ دخلها من الكافرين لا يخرج منها أبداً، أمَّا مَنْ اسْتَحَقَّ دخولها من المؤمنين أصحاب المعاصي والذنوب للتَّطهير فلا يخلدون فيها إنْ دخلوها، وهؤلاء أمرهم مفوضٌ لربهم إن شاء عذَّبهم وإن شاء غفر لهم، والبعض منهم قد تدركهم الشفاعة فلا يدخلونها أصلاً، وأمَّا من دخلها وأدركته الشفاعة فيخفف عنه

العذاب ويخرج منها، وهؤلاء متفاوتون في مراتبهم، إلا أنهم جزماً لا يخلدون فيها، بل عاقبتهم الجنَّة كما مرَّ معنا، وآخر أهل النَّار خروجاً وهم آخر أهل الجنَّة دخولاً أناسٌ يُعطون مثل عشرة أمثال الدنيا.

ويجب أن يُعلم أن عذابها عذابٌ دائمٌ ولا يقاس على عذاب الدنيا ولا بوجه من الوجوه، وهي من المخلوقات الثمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس بذاتها، يزداد ولا ينقص على الكافرين، وويلاتٌ مـُتتابعةٌ وعذاباتٌ متواليةٌ والعياذ بالله تعالى، وهي متفاوتةٌ في دَرَكاتها، فلا شك بأنَّ الكفَّار متفاوتون في العذاب، فمن كفر بالله العظيم ليس كمن قتَّل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس كمن أفسد في الأرض، وليس كمن هو كافرٌ ولكنَّه أحسن معاملة المسلمين وتوقيرهم، وهكذا.

وكَثُر ذكر النّار وآيات التهويل في القرآن الكريم، وجاءت بأسماء كثيرة منها: جهنَّم، لَظى، الحُطمة، السَّعير، سَقَر، الجحيم، الهاوية، سِجِّين.

واعلم أن الأثر المنسوب إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن الْعَاصِي وهو: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ تَصْفِقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَاباً" محمولٌ على خروج كل الموحدين الذين يستحقون العذاب فيها، لما وقع من إجماع أهل الحق على أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار، ولما جرى من بعض العلماء أن جهنم أخف دركات النار ويعذب بها عصاة المؤمنين، فيأتي على جهنم يومٌ تصفق فيه أبوابها فعلاً، أما حمل اللفظ على عمومه، فهو استدلال بلا دلالة لمخالفته صريح القرآن وما تواتر من الأحاديث الدالة على دوام العذاب للكفار، فلابد من تخصيص الأثر إن احتمل التخصيص للجمع بين الأدلة، وإلا رد ولم يلتفت إليه.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالنار:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾"النساء:14"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾"النساء:56"، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾"الكهف:29"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾"الأحزاب:64"، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾"التحريم:6"، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾"المعارج:15"، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾"الجن:23"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾"النبأ:21-26"، وقال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾"الهمزة:4-6".

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ

الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا عَمِلَ)"متفق عليه"، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فإنهم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُم النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ- أي جماعاتٌ متفرقة- فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)"رواه مسلم"، و(النَاس) في الحديث هم عصاة المؤمنين الذين لا يخلدون في النَّار، وهم آخرهم خروجاً منها، فمصيرهم بعد أن يتطهروا إلى الجنة، وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ- أي النمل الأحمر الصغير- فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسْ)"رواه الترمذي وأحمد وغيرهما"، وعند أحمد: (في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجناً).

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود النار وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾"آل عمران:131"، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾"البقرة:24"، وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾"الشعراء:91"، فأخبر القرآن صراحة أنها أعدت للكافرين، والمعدة لا تكون إلا موجودة.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: أما الأحاديث فكثيرة مقتضية للتواتر المعنوي، وقد نص شيخ شيوخنا العلامة السيد **محمد بن جعفر الكتاني الحسني** رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" على أن أحاديث الجنة والنار مخلوقتان الآن متواترة، قال

رحمه الله: "ذكر في إرشاد الساري: أن كون النار مخلوقة الآن، أي وكذا الجنة مما تواترت به الأخبار تواتراً معنوياً" اهـ. **قلت**: وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)"رواه البخاري"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (فَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)"رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الْجَنَّةُ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا)"رواه مسلم"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ وَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ)"رواه مالك والبخاري واللفظ له"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ)"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضي اللهُ عنهمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَبِالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ

النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)"رواه البخاري ومسلم وغيرهما"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ)"رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضي اللهُ عَنها وَعنْ أَبيهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَاماً يُصَلُّونَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ أَنْ نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ فَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ)"رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالنار وأنها مخلوقة الآن.

قال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: " وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين" اهـ.

قال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمداً" اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً" اهـ، وقال **ابن عبد البر** رحمه الله في كتاب (التمهيد) ما نصه: "فلهذه الأحاديث وما كان مثلها، قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان" اهـ، وقال **الإمام النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان" اهـ، وقال

العلامة السيد **عبد الله بن الصديق الغماري** رحمه الله في كتاب (قصص الأنبياء آدم عليه السلام) ما نصه: "وإنما الذي يجب إعتقاده: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، للأدلة على ذلك من الكتاب والسنة المتواترة" اهـ.

قال **الإمام عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه الله:

الإِيمَـــانُ جَـــزْمٌ بِـــالإِلَهِ وَالْكُتُـــبْ وَالرُّسْلِ وَالأَمْـلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَـــدَرٍ كَـــذَا صِرَاطٌ مـــيزانْ حَـــوْضُ النَّـــبِيّ جَنَّـــةٌ **وَنِـــيرَانْ**

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ رحمه الله:

وَالنَّـــارُ حَـــقٌّ أُوجِـــدَتْ كَالجَنَّـــة فَـــلَا تَمِـــلْ لِجَاحِـــدٍ ذِي جِنَّـــة

وجوب الإيمان "بخلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار"

يجب على كل مكلف الإيمان بأن الجنة والنار دارا خلود باقيتان أبداً لا تفنيان، فالجنة أعدت للمتقين لإيمانهم قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ "النبأ:36"، فهي دار خلود للسعيد، وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه الكفر، ودخل في السعيد عصاة المؤمنين فلا يخلدون في النار إن دخلوها، والنار أعدت للكافرين جزاءً لكفرهم، قال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾"النبأ:26"، فهي دار خلود للشقي، وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان، وهذا ما أجمع عليه أهل الحق بخلاف من قال بفنائهما، أو ما ذهب إليه بعض أهل البدع إلى فناء النار دون الجنة.

وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع المعتبر على كون الجنة والنار دارا خلود باقيتان أبداً لا يفنيان.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بخلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار:

- **من القرآن الكريم**: فالآيات التي صرحت بذلك كثيرة جداً، وقد ذكر العلامة التقي السبكي الشافعي رحمه الله نحو مائة آية في إثبات خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار، فذكر نحو ستين آية في بقاء النار ونحو من أربعين آية في بقاء الجنة، وقد ذكر الخلد أو ما اشتق منه في أربع وثلاثين في النار وثمان وثلاثين في الجنة وذكر التصريح بعدم الخروج أو معناه في أكثر من ثلاثين، في رسالة (الإعتبار ببقاء الجنة والنار)، ومن جملتها:

الآيات الدالة على خلود أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾"البقرة:82"، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾"آل عمران:15"، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾"النساء:13"، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾"النساء:122"، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾"المائدة:119"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾"الكهف:107-108"، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ

وَمَصِيرًا ۝١٥ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ۝١٦﴾"الفرقان:15-16"، وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾"الزخرف:71".

الآيات الدالة على خلود أهل النار:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾"البقرة:81"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝١٦٢﴾"البقرة:161-162"، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾"البقرة:167" وهذا لفظ عام إذ لا ينفع الكافر من عمله شيء بشهادة قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾"الفرقان:23"، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٨﴾"آل عمران:87-88"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾"النساء:168-169"، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾"المائدة:37"، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾"هود:16"، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾"السجدة:20"، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾"فاطر:36"، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾"طه:74"، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى﴾"العنكبوت:23"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾"الزخرف:64-65"، وهذه آية جامعة مانعة، قال الإمام السبكي رحمه الله: "والآيات في هذا الباب كثيرة "اهـ.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ:** عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ: خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾"مريم:39" وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)"رواه الشيخان"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ)"رواه مسلم وأحمد"، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فإنهم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ،

فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ، تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)"رواه مسلم وابن ماجه والدارمي وغيرهم".

- **الإجماع**: أجمع أهل الحق على خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وأنهما لا تفنيان.

قال **الإمام البغدادي** رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: " أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفرة في النار" اهـ، وقال رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بأن الخلود في النار لا يكون إلا للكفرة" اهـ، وقال **الإمام ابن حزم الظاهري** رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا بلا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام ولمن خالف الأنبياء السالفين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم الصلاة والتسليم وبلوغ خبره إليه" اهـ، وقال **الإمام تقي الدين السبكي الشافعي** رحمه الله في كتاب (الإعتبار ببقاء الجنة والنار) ما نصه: "فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بإجماع، ولا شك في ذلك فإنه معلوم من الدين بالضرورة وتواردت الأدلة عليه"اهـ، ونقل أيضاً الإجماع **الإمام القرطبي** رحمه الله في كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) فقال: "فمن قال: إنهم يخرجون منها، وإن النار تبقى خالية بـمجملها، خاوية على عروشها، وإنها تفنى وتزول فهو خارج عن

مقتضى الـمعقول، ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول" اهـ.

وقال **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان** رحمه الله في كتاب (الفقه الأكبر) ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمداً" اهـ، وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان" اهـ، وقال **الإمام النسفي** رحمه الله في عقيدته المشهورة ما نصه: "والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان موجودتان، باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلهما" اهـ، وقال **الإمام التفتازاني** رحمه الله في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه: "وذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما، وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلاً عن الحجة" اهـ، **قلت**: وقد استوفيت الأدلة القطعية على ثبوت بقاء الجنة والنار في رسالة مختصرة أسميتها "الإمتنان بوجوب إعتقاد خلود أهل الجنة والنار".

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ** رحمه الله:

دَارَا خُلُــودٍ لِلسَّــعِيدِ وَالشَّــقِي مُعَــذَّبٌ مُــنَعَّمٌ مَهْمَــا بَــقِي

قال **العلامة السفاريني الحنبلي** رحمه الله في (الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

وَاجْــزِمْ بِــأَنَّ النَّــارَ كَالْجَنَّــةِ فِي وُجُودِهَــا وَأَنَّهَــا لَــمْ تَتْلَــفِ

فائدة: اعلم أن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾"هود:106-108" لا يفهم منه أن مدة عقابهم ونعيمهم

مساوية لمدة بقاء السموات والأرض، بل إن الخلود المذكور في الفريقين أبدي بلا شك ولا ريب دلت على ذلك نصوص القرآن الصريحة الكثيرة، وإنما خاطب الله العرب في هذا الموضع بما هو معروف في لغتهم من التعبير عن الشيء المؤبد الباقي بشبيه دوامه بدوام السماء والأرض، ونظيره أيضاً كقولهم ما اختلف الليل والنهار، وما طما البحر، وما أقام الجبل، علمنا أن هذه الألفاظ بحسب عرفهم تفيد الأبد والدوام الخالي عن الانقطاع، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره ما نصه: "ويعني بقوله: ما دامت السماوات والأرض أبدا، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت: هذا دائم دوام السماوات والأرض، بمعنى أنه دائم أبداً، وكذلك يقولون: هو باقٍ ما اختلف الليل والنهار، وما سمر ابنا سَمِير، وما لألأت العُفْرُ بأذنابها، يعنون بذلك كله أبداً، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال: خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، والمعنى في ذلك، خالدين فيها أبداً" اهـ، وقال الإمام البيضاوي رحمه الله في تفسيره ما نصه: "خالدين فِيهَا مَا دَامَتِ السماوات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما، فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما، بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان للارتباط لم يلزم أيضاً من زوال السماوات والأرض زوال عذابهم، ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم؛ لأن دوامهما كالملزوم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق" اهـ، وقال ابن عباس في قوله تعالى: "﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾"هود:107" قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها" اهـ"زاد المسير في علم التفسير".



مبحث أحكام الردة

أحكام الرِّدة

يجب على المكلف الدخول في دين الإسلام والثبوت فيه على الدوام، ويترتب على ذلك الدخول أحكام، ولكي يثبت في الإسلام يجب عليه أن يتعلم ما كان سبباً للخروج منه، إذ الثبوت لا يكون إلا بمعرفة الشيء وضده، عملاً بظاهر حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)"رواه البخاري ومسلم" والحديث متواتر، فصدر الحديث يوجب على المكلف تعلم أحكام الشهادتين، وعجز الحديث يوجب على المكلف أن يتعلم ما يُنقض الشهادتين.

قال أبو فراس الحمداني:

عَرَفْـــتُ الـــــشّرَّ لا لِلـــــشّرِّ	لَكِـــــــــنْ لِتَوَقّيــــــــــهِ
وَمَـــنْ لَـــمْ يَعْـــرِفِ الــــشّرَّ	مـــــنَ النـــــاسِ يقـــــعْ فيــــهِ

فائدة:

اعلم وفقني الله وإياك لما فيه الخير، أن أحكام الردة ومتعلقاتـها هي من أفعال المكلفين التي تُبحث في مباحث الفقه والقضاء وليس في أصول الاعتقاد، وإخراجها من مظانـها قلة فقه بلا ريب.

وَذكرُنا لهذا الـمبحث في هذا الكتاب للتنبيه على أهمية وضرورة تعلم ما يُنقض الشهادتين كما مرَّ وأهمية هذا الفصل هنا بسبب كثرة الجهل وتنبيهاً لظاهر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ)"رواه الترمذي"، ووجه الشبه بين تعلم أحكام العقيدة وأحكام الردة أنهما سبب للنجاة في الدنيا والآخرة كما أنهما سبباً لحفظ المكلف من الوقوع في المهالك.



فصل

الردة اصطلاحاً: هو الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام، وتحصل إمَّا بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ، سواءً استهزاءاً أو عناداً، وهي أفحش أنواع الكفر ومحبطة للأعمال، كما نص على ذلك أهل الاجتهاد قاطبة وتبعهم على ذلك كل أهل العلم من أتباع المذاهب.

الأدلة النقلية في ثبوت الردة:

- **من القرآن الكريم**: قال تعالى: ﴿إِنّ اللّه لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّه فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾"النساء:48"، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ٢١٧﴾"البقرة:217"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ١٣٧﴾"النساء:137"، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾"المائدة:5"، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾"التوبة: 65-66" وغيرها كثير.

- **مِنَ السُنّةِ المُشَرَّفةِ**: عن ابن عباس رَضِيَ اللّهُ عَنْهُما، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ،

فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: (أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ) فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ)"رواه أبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك وغيرهم"، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)"رواه أحمد والطبراني والبخاري في خلق أفعال العباد"، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)"رواه البخاري وغيره"، وفي رواية للبخاري ومسلم معاً: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)، وعند الترمذي بزيادة (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ).

- **الإجماع**: وقد أجمعت الأمة على أن من نطق بكلمة الكفر أو فعل فعلاً أو اعتقد اعتقاداً لا يصدر إلا من كافر فهو كافر.

قال **الإمام ابن القطان الفاسي** رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان به لا يخرجه عن إيمانه شيء، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر" اهـ.

قال **الإمام زين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي** رحمه الله في (البهجة) باب الرِّدة:

أَفْحَـشُ كُفْـرٍ ارْتِـدَادُ مُسْـلِمِ مُكَلَّـفٍ بِفِعْـلٍ أَوْ تَكَـلُّمِ

مَحْـضِ عِنَـاداً وَبِالاسْـتِهْزَاءِ وَبِاعْتِـقَادٍ مِنْـهُ، كَالإِلْقَـاءِ

لِلْمُصْـحَفِ الْعَـزِيزِ فِي الْقَـاذُورَةِ وَسَـجْدَةٍ لِكَوْكَـبٍ وَصُـورَةِ

فكل فعل أو قول أو اعتقاد أجمع عليه أهل الاجتهاد من علماء الاسلام أنه لا يصدر إلا من كافر فهو كفر، مع وجوب العلم أن أحكام الردة ومتعلقاتها هي من فروع الفقه وبابها باب الحدود وشأنها متصل بالقضاء وأحكامه وليس بأقوال العوام، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما)"رواه البخاري ومسلم"، ونقل ابن نجيم الحنفي المصري في كتابه البحر الرائق شرح كنز الدقائق عن الإمام الطحاوي: "لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الاسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الاسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الاسلام"، وقال ابن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي في كتابه القوانين الفقهية عند الكلام على الردة: "واعلم أن الألفاظ في هذا الباب تختلف أحكامها باختلاف معانيها والمقاصد بها وقرائن الأحوال، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو دون الكفر، ومنها ما يجب فيه القتل، ومنها ما يجب فيه الأدب، ومنها ما لا يجب فيه شيء، فيجب الاجتهاد في كل قضية بعينها، وقد استوفى ذلك القاضي أبو فضل عياض المالكي في كتاب الشفا أحكام هذا الباب وبين أصوله وفصوله" ا.هـ.

قلت: وقد فصل كل ذلك شهاب الدين الخفاجي الحنفي في كتابه نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض وجعل ذلك تحت ثلاثة فصول عظام: الفصل الأول في بيان ما هو من المقالات كفر وما ليس بكفر وما هو مختلف فيه وقد أجاد فيه رحمه الله وفصله تفصيلاً دقيقاً ومن أراد أن يطمئن قلبه فلينظره هناك حتى يتبين له الحق ويميز قول الأئمة الأعلام من قول الجهلة اللئام.



فصل

أقسام الكفر

أجمع العلماء أصحاب المذاهب وغيرهم أنَّ الكفر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الكفر القولي:

وهو كل كلمة كفر نطق بها المكلف ولو لم يكن معتقداً معناها، وهو كثيرٌ جداً كما يدل على ذلك حديث ابن مسعود قال "يا لسان قل خيراً تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم"، قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته قال: لا، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)"رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير"، كالسخرية باسم من أسماء الله تعالى أو وعده أو وعيده أو كسبِّ الذات الإلهي، أو سبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو شتم نبيٍّ أو ملكٍ، أو استِخفافٍ بالكتب السماوية أو شعائر الإسلام أو أحكام الدين، أو كل ما هو مُعَظّم ومُقَدّس شرعاً، يكفر ما لم يكن مُكرهاً أو عن غيبوبة عقلٍ أو عن سبق لسانٍ، وسبق اللسان يكون في حالة الرضى والغضب والخوف والجزع.

وأمثلة الردة كثيرة جداً ومنها قول القائل: "لو كان فلاناً نبياً ما آمنت به"، وقول القائل: "نتدفأ في نار جهنم"، وقول القائل: "أنا بريء من الله أو من الملائكة أو من النبي أو من الإسلام"، وقول القائل لشريف: "أنا عدوك وعدو جدك مريداً النبي صلى الله عليه وآله وسلم"، وكذلك الاستهزاء بالقرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا

مُجْرِمِينَ﴾"التوبة:65-66" أخرج عبد الرزاق وابن المنذر وأبو الشيخ عن الكلبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة رهط استهزأوا بالله وبرسوله وبالقرآن قال: كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث يسير مجانباً لهم يقال له يزيد بن وديعة فنزلت ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ فسمي طائفة وهو واحد، واستدل العلماء من هذه الآية أن الرضى بالكفر كفر ويفهم أنه لا يجوز الجلوس مع أهل المنكر بصفة عامة لقوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾"الأنعام:68"، أو من ادّعى أنه يصعد إلى السماء ويعانق الحور، وغيرها كثير.

وقد استدلوا على الكفر القولي:

- من قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾"التوبة:74".

- وعَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ يقول: (إِنّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ)"رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في المعجم الكبير، وغيرهما".

- وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ؟ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّم: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)"رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبخاري في خلق أفعال العباد".

ثانيًا: الكفر الفعلي:

وهو القيام بفعلٍ اتفقوا على أنه لا يصدر إلا من كافر باختياره، كالسجود لمخلوقٍ على جهة العبادة، وكذلك السجود للشمس أو للقمر أو للصنم، أو إلقاء مصحفٍ أو عِلْمٍ شرعيٍّ أو ما عليه اسم الجلالة (الله) وهو يعلم ذلك سواء فعل ذلك على سبيل الاستهزاء أم لا أو كتابة القرآن بما هو نجس كالبول وما شابه.

- قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٣٧﴾"فصلت:37".

وعليه كلُّ مَنْ فعل فعلاً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، فقد كفر فاعله.

ثالثاً: الكفر الاعتقادي:

وليعلم أن الإعتقادات محلها القلب، ومنها ما تُخرج صاحبها من ربقة الإسلام، كنفِّي وجود الله تعالى، أو اعتقاد قدم العالم وأزليته، أو اعتقاد ما يوجب الحدوث في حقه سبحانه وتعالى كالجسمية، والحُلول، والمقابلة، والتَّجزأ والتَّركيب، والنُّزول والصُّعود والجلوس، أو أي صفة توجب النقص والعجز في حقه سبحانه وتعالى، وكذا من شك بقدرة الله أو عِلْمه أو عدله أو مشيئته، أو أن مشيئته حادثة، أو كمن اعتقد نفي ما هو ثابت له تعالى بالإجماع كأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، أو كمن أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالاتِّصال والانفصال والألوان والجهات والأماكن، أو شك في بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو جوز اكتساب النّبوة، أو ادعى جواز نبوة أحدٍ بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو شك في القرآن أو اليوم الآخر أو الجنة أو النار أو نحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تحليل ما هو

حرام بالإجماع معلوم من الدين بالضرورة كالزنا، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة سواءٌ كان فرضاً كالصلوات الخمس، أو سنَّةً كالآذان، أو جحد آية من القرآن مجمع على وجودها، أو زاد حرفاً مجمع على نفيه، أو نقص حرفاً مجمع على وجوده عناداً، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ جحدَ آيةً من القرآنِ فقد حلَّ ضربُ عُنُقِهِ، ومَنْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولَهُ فلا سبيلَ لأحدٍ عليهِ إلا أنْ يُصِيبَ حداً فيقامُ عليه)"رواه ابن ماجه"، أو عزم على الكفر في المستقبل أو تردد فيه فهو كفر، كقول القائل: "لو مات ابني سأكفر"، هذا كفر في الحال.

فكل هذا أجمع عليه العلماء أنه لا يصدر إلا من كافر، والعياذ بالله.

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾"الحجرات:15" فالإرتياب والشَّك محله القلب.



فصل

ولْيُعلم بأنَّ الرضا بالكفرِ كفرٌ كالجلوس مع الذين يتسامرون ويتحدثون وينطقون بالكفريات مع عدم إنكاره عليهم أو عدم مغادرة مجلسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾"الأنعام:68"، فمن رضي بكل ما سبق من الكفريات فهو كافر.

فائدة:

- اعلم وفقني الله وإياك لطاعته أن العلماء اتفقوا أن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة مُخرج من الإسلام بمفرده ولا يشترط اجتماعهم معاً ليُحكم على صاحبها بالردة.
- اعلم أن الشخص المتأول باجتهاده في فهم الدليل فإنه لا يكفر ابتداءً، كتأويل مانعي الزكاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنهم فهموا قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾"التوبة:103" أن الزكاة تجب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دفع الزكاة إليه كانت سكناً لهم وطهرةً، وأن ذلك انقطع بعد رفعه إلى الرفيق الأعلى، فحاربهم رضي الله عنه لمنعهم وليس لكفرهم.
- ومما يجب أن يعلمه طالب الحق هو عدم الإسراع في التَّكفير، لا سيما في الأمور المتشابهات كالتفريق بين الكبيرة وأكبر الكبائر والكفر، ومثاله: قوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾"المائدة:44"، وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فِيمَا رَوَى عن اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنّهُ قال: (يا عِبَادِي إني حَرّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّماً فلا تَظَالَمُوا)"رواه مسلم"، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِيمَا رواه عن ربه: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)"رواه أبو داود"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ)"متفق عليه"، فهذه معاصي من أكبر الكبائر، وهناك ألفاظٌ صريحة وألفاظٌ غير صريحة قد تختلط على السامع، لهذا لا يُفتى في مثل هذه الأمور إلا بعد التدقيق والتثبت مع وجوب الرجوع إلى ما أَصَّلَهُ كبار العلماء رحمهم الله تعالى، فقد قسَّم علماء الأصول اللفظ إلى نوعان:

- لفظ صريح.
- لفظ ظاهر.

فصل اللفظ الصريح

اللفظ الصريح: هو اللفظ الذي لا يُقبل فيه إلا وجهٌ واحد، وهو ما كان من قبيل صريح اللفظ صريح المعنى، فمن حصل منه كفر بلفظ صريح كُفِّرَ ولا يُسأل عن مراده ولا يُقبل منه تأويل إلا أن يكون لا يعرف ذلك المعنى الصريح، أي يَظُن أن معناه غير ذلك فإن هذا اللفظ بالنسبة إليه ليس له حكم الصريح، كمن كان قريب عهد بإسلام أو كان مـمن لا يـحسن العربية، هذا لا يُكفَّر بل يُعلَّم. ولأجل

ذلك أصلوا قاعدة أن اللفظ الصريح يسأل عن فهمه وفي اللفظ الظاهر يسأل عن قصده وهو كلام سليم يتوافق مع ضوابط أصول الفتوى للمفتي.

مثاله: قول القائل "الصلاة على النبي مـحمد مكروهة"، هذا لفظ كفري صريح دالٌّ على وجه واحد لا يحتمل غيره، فيُسأل عن فهمه لمعنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان لا يفهمه نُعلمه، وإن كان يفهمه فهذا كفرٌ صريح يُـخرج من الـملَّة كما اتفق عليه العلماء.

فصل اللفظ الظاهر

اللفظ الظاهر: هو اللفظ الذي يُقبل فيه وجهان أو أكثر، وجهٌ حسنٌ ووجهٌ قبيح، كأن كان اللفظ له معان كثيرة و أغلب معانيه كُفرٌ ومعنىً واحدٌ منها ليس بكفر، فلا يُكَفَّر إلاَّ أن يُعرف منه إرادة المعنى الكفري، وهذا يُسأل عن قصده ومراده كما بيناه في القاعدة السابقة.

مثاله: قول القائل "الصلاة على النَّبِيِّ مكروهة"، هذا من اللفظ الظاهر، الذي يُسأل فيه عن قصده ومراده؛ لأن لفظ "النَّبِيَّ" بـحسب وضع اللغة تحتمل معنيان، تأتي بـمعنى الأرض المحدودبة، فيكون المعنى "الصلاة على الأرض المحدودبة مكروهة" كونها تُذهب التركيز و الخشوع أثناء أداء الصلاة عليها، وبهذا يكون قوله صحيحاً فلا يُكفر، أمَّا لو قصد النَّبِيَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم فهذا كفر كما فصلناه أنفاً.



فصل

ما يُستثنى من الكفر

ويُستثنى من الكفر القولي الصريح عدة حالات:

غيبوبة العقل: كالمجنون، وهذا يُؤدَّب، لأن التأديب يؤثر حتى في البهائم كما هو معلوم ومشاهدٌ بالحس.

• **حديثُ عهدٍ بالإسلام أو من جاء من المناطق النائية**، ولم يكن يفهم صريح اللفظ وأحرى ظاهره فلا يجرى عليه أحكام الكفر، بل يُعلَّم وجوباً، و اعلم أنه لا يُستثنى حديث العهد بالإسلام إذا خالف أصول العقائد التي دخل لأجلها في الإسلام مثل تنزيه الله عن الشريك والمثيل.

• **المـُكْرَه**: وهو من نطق بالكفر وهو مجبرٌ، ولكنَّ قلبه غير منشرح للكفر، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾"النحل:106"، والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: "أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (مَا وَرَاءَكَ؟) قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: (كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟) قَالَ: مُطْمَئِناً بِالإِيمَانِ، قَالَ: (إِنْ عَادُوا فَعُدْ)"أخرجه الطبري وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبيهقي من هذا الطريق، وأخرجه ابن المنذر من طريق ابن عباس وابن أبي حاتم من طريق مسلم الأعور"، وأخرج عبد بن حميد من طريق ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي

عمار بن ياسر وهو يبكي فجعل يمسح الدموع عنه ويقول: (أَخَذَك الْمُشْرِكُونَ فَغَطُّوك فِي الْمَاءِ، وَأَمَرُوك أَنْ تُشْرِكَ بِاَللَّهِ، فَفَعَلْت، فَإِنْ أَخَذُوك مَرَّةً أُخْرَى، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِهِمْ)، قال ابن حجر في "فتح الباري" ورجاله ثقات: وهذه المراسيل تُقوِّي بعضها ببعض.

- **سَبْق اللسان**: ويدخل فيه نشوة الفرح والجَزَع والخوف والغضب، وذلك كأن خانه لسانه فنطق بكلمة الكفر على غير قصد ومراد ما عقد عليه قلبه، مثل هذا لا يكفر، ومثاله في الفرح: ما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)"رواه البخاري ومسلم"، هذا رجلٌ خانه لسانه مِنْ شِدَّةِفَرَحِه بعودة راحلته فنطق بكلمة الكفر، فلم يكفر، واصطلح العلماء على تسمية ذلك بسبق اللسان وهو الذهول ومنشأه وسببه شِدَّةُ نشوةِ الفرحِ والسرور أو شدة الجزع والخوف، ومثاله في الجزع: ما جاء عن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ)"رواه البخاري".



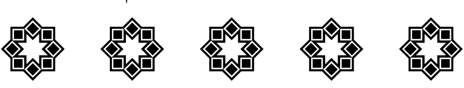
فصل

أحكام المرتد

إنَّ من ارتد عن الإسلام بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد يُستتاب ثلاثة أيام بعد ثبوت الحكم عند الحاكم، يوضع له فيها الطعام والشراب ويُرسل له من يَحثُّه على العودة للإسلام وما يترتب على ردّته، فإن نطق بالشهادتين وتاب وندم وعزم على عدم العودة على ذلك الفعل قُبل إسلامه، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾"الفرقان:70"، وإن أَبَى يُقتل يقتله الخليفة وجوباً، ويعتمد الخليفة في ذلك على شهادة عدلين أو على اعترافه، لدفع كل شبهة يتمسك بها المرتد، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم لمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ بالعقوبة)"رواه الحاكم في المستدرك"، ولأن الشرع غير متشوف لإراقة الدماء إلا في محلها مثل قطع يد السارق بالقيمة المعتبرة وقتل النفس العمد وغيرهما كما جاء في الكتاب والسنة لحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)"رواه البخاري ومسلم" ولحديث ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وآلله وسلم: (مَنْ بَدّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)"رواه البخاري"، ولا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثُ ولا يُورَّثُ، ومالُه فيءٌ عند غالب العلماء، كل ذلك تنفيراً منه، ويُذكر أن القتل للمرتد يكون بضرب العنق بالسيف، ويَحْرُم بغير ذلك كإحراقٍ وخنقٍ وخازوق،

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)"رواه مسلم"، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: "أَنَّ أَعْمَى كَانَت لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتِمُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَليه وآله وسلم وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِيْ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَخَذَ المِعْوَلَ فَجعَلَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْها فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: (ألا اشْهَدُوا فإِنَّ دَمَهَا هَدَرٌ)"رواه أبو داود ورواته ثقات".

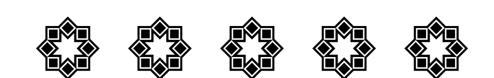
وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم.



خاتمة

وكان الفراغ من مراجعته في يوم الخميس بتاريخ: 20 من رمضان 1435 هجري، الموافق له 17 من يوليو 2014 رومي، بين تونس وغزة والدوحة عن طريق الشبكة العنكبوتية، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَّ لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، اللّٰهُمَّ لك الحمد، اللّٰهُمَّ لك الحمد، اللّٰهُمَّ لك الحمد على نعمة الإسلام وما لها علينا مِنَ الفضل والجود والكرم والإحسان. الحمد الله العزيز المنان الشكر لله العظيم السلطان، اللّٰهُمَّ اختم لنا بخيرك يا رحمن، اللّٰهُمَّ اختم لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمؤمنين بالسعادة والغفران، آمين، آمين، آمين.

وَصَلِّ اللهُمَّ وَسَلِّم وزد وبَارك عَلَى سيِّدنا ومولانا محمَّد وعَلَى آل بيته وصحبه الطَّيبين الطَّاهرين.



تَقْرِيضَاتُ
السَّادَةُ الْعُلَمَاء
حَفَّظُهُمْ اللهُ تُعَالَى

بسم الله الرحمان الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمّد وآله وصحبه
أجمعين

الحمد لله وحده هو الذي بعث الرسل لهداية الخليقة وختم بمحمّد بن عبد الله الرسالات وهدى به إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ودعا إلى العلم بجميع فروعه وفنونه، وخصّ علم الشريعة والعقيدة لما لهما من أثر في استقامة الفرد واستقرار الحياة.

وكان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجيل الأوّل الذي نشر العلم وحافظ عليه، ثم جاء من بعدهم من سار على درب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكانوا خير خلف لخير سلف ومدحهم الله في كتابه وبشّرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» وقوله «من أراد الله به خيرا يفقهه في الدّين» وقوله «العلماء ورثة الأنبياء». وكذا تمادى الأمر جيلا بعد جيل إلى عصرنا الحاضر فمنهم من قضى نحبه وما بدّل تبديلا ومنهم من أمدّ الله في أنفاسه وما زال ينشط يدرّس ويؤلّف ويحقّق، ومنهم صديقنا وهو من العلماء العاملين يدرّس ويحاضر ويعظ ويؤلّف هو العالم الجليل والفقيه الأستاذ خادم العلم الشّريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التّونسي الفلسطيني الأصل يعيش بيننا، وقد أخذ العلم عن شيوخ أفاضل من تونس وأجازوه في علوم وفنون مختلفة شرعيّة عقيدة وتفسيرا وحديثا وأصول فقه.

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ حفظه الله تعالى
مفتي الجمهورية التونسية

وله مؤلّفات عدّة منها الكتاب الّذي بين أيدينا الموسوم بـ «إتحاف القاصد لزبد العقائد». وقد قسمه إلى عدّة فصول منها: مقدمة ومواضيع شتّى في العقيدة ومبادئ علم التّوحيد والحكم الشّرعي ثمّ في صفات الله عزّ وجلّ وفي القضاء والقدر والوعد والوعيد وفي عدد من الأنبياء والرسل وما يجب في حقّهم وما لا يجوز وفصل خصصه لليوم الآخر وفي شفاعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي حكم المرتدّ ثمّ ختمه بتتمة.

وقد كانت كلّ هذه المواضيع مستمدّة من القرآن والسنّة وأقوال العلماء مع ذكر المراجع والمصادر بأسلوب سهل وشيّق ولغة واضحة ومبسطة يستفيد منها المتعلّم والمبتدئ. فهو كتاب جدير بالمطالعة وبتعزيز المكتبة الإسلاميّة.

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كلّ خير وأمدّه الله بمديد العمر ليواصل خدمة العلم تدريسا ووعظا وتأليفا. وأثابه الله بما يثيب به كلّ عالم غيور يعلمه عامل وبما علّمه الله.

والسلام

تونس بتاريخ يوم الخميس 15 جمادى الثانية 1437 هـ

الموافق 24 مارس 2016 م

حرّره الفقير إلى ربّه تعالى

عثمان بطّيخ

مفتي الجمهوريّة التونسيّة

لطف الله به

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ حفظه الله تعالى مفتي الجمهورية التونسية




بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

الجمهورية التونسية
رئاسة الحكومة
مفتي الجمهورية

الحمد لله وحده هو الذي بعث الرسل لهداية الخليقة ، وختم بمحمد بن عبد الله الرسالات ، وهدى به الى ما فيه خيرهم وصلاحهم ، ودعا الى العلم بجميع فروعه وفنونه ، وخص علم الشريعة والعقيدة لما لهما من أثر في استقامة الفرد واستقرار الحياة .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول الذي نشر العلم وحافظ عليه ، ثم جاء من بعدهم من سار على درب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا خير خلف لخير سلف ومدحهم الله في كتابه وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " وقوله " من أراد الله به خيرا يفقهه في الدين " وقوله " العلماء ورثة الأنبياء " . وكذا تمادى الأمر جيلا بعد جيل الى عصرنا الحاضر فمنهم من قضى نحبه وما بدل تبديلا ومنهم من أمد في أنفاسه وما زال ينشط يدرس ويؤلف ويحقق ومنهم صديقنا وهو من العلماء العاملين يدرس ويحاضر ويعظ ويؤلف هو العالم الجليل والفقيه الأستاذ خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل يعيش بيننا ، وقد أخذ العلم عن شيوخ أفاضل من تونس وأجازوه في علوم وفنون مختلفة شرعية عقيدة وتفسيرا وحديثا وأصول فقه .

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ حفظه الله تعالى مفتي الجمهورية التونسية



2

وله مؤلفات عدة منها الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم بـ " إتحاف القاصد لزبد العقائد " وقد قسمه الى عدة فصول منها :

مقدمة ومواضيع شتى في العقيدة ومبادئ علم التوحيد والحكم الشرعي ثم في صفات الله عز وجل وفي القضاء والقدر والوعد والوعيد وفي عدد الأنبياء والرسل وما يجب في حقهم وما لا يجوز وفصل خصصه لليوم الآخر وفي شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حكم المرتد ثم خاتمة .

وقد كانت كل هذه المواضيع مستمدة من القرآن والسنة وأقوال العلماء مع ذكر المراجع والمصادر بأسلوب سهل وشيق ولغة واضحة ومبسطة يستفيد منها المتعلم والمبتدئ . فهو كتاب جدير بالمطالعة وبتعزيز المكتبة الإسلامية .

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير وأمده الله بمديد العمر ليواصل خدمة العلم تدريسا ووعظا وتأليفا . وأثابه الله بما يثيب به كل عالم غيور عامل بعلمه وبما علّمه الله .

والســــلام

تونس بتاريخ يوم الخميس 15 جمادى الثانية 1437 هـ الموافق 24 مارس 2016 م

حرره الفقير الى ربه تعالى

عثمان بطيـــخ مفتي الجمهورية التونسية لطف الله به

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ حفظه الله تعالى مفتي الجمهورية التونسية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عثمان بطيخ

حفظه الله تعالى

إمام جامع الزيتونة سابقاً، ومدرس الفقه المقارن بالجامعة الزيتونية سابقاً، ووزير الشؤون الدينية بالدولة التونسية سابقاً، وعضو المجلس الإسلامي الأعلي بالدولة التونسية، وعضو رابطة العالم الإسلامي بجدة، ومفتي الجمهورية التونسية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

الحمد لله وحده هو الذي بعث الرسل لهداية الخليقة، وختم بحمد بن عبد الله الرسالات، وهدى به إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، ودعا إلى العلم بجميع فروعه وفنونه، وخص علم الشريعة والعقيدة لما لهما من أثر في استقامة الفرد واستقرار الحياة.

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول الذي نشر العلم وحافظ عليه، ثم جاء من بعدهم من سار على درب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا خير خلف لخير سلف ومدحهم الله في كتابه وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وقوله: (من أراد الله به خيراً يفقه في الدين)، وقوله: (العلماء ورثة الأنبياء).

وكذا تمادى الأمر جيلاً بعد جيل إلى عصرنا الحاضر فمنهم من قضى نحبه وما بدل تبديلا ومنهم من أمد الله في أنفاسه ومازال ينشط يدرس ويؤلف ويحقق

ومنهم صديقنا وهو من العلماء العاملين يدرس ويحاضر ويعظ ويؤلف هو العالم الجليل والفقيه الأستاذ خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل يعيش بيننا، وقد أخذ العلم عن شيوخ أفاضل من تونس وأجازوه في علوم وفنون مختلفة شرعية عقيدةً وتفسيراً وحديثاً وأصول فقه.

وله مؤلفات عدة منها الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم ب"إتحاف القاصد لزبد العقائد" وقد قسمه إلى عدة فصول منها:

مقدمة ومواضيع شتى في العقيدة ومبادئ علم التوحيد والحكم الشرعي ثم في صفات الله عز وجل وفي القضاء والقدر والوعد والوعيد وفي عدد الأنبياء والرسل وما يجب في حقهم وما لا يجوز وفصل خصصه لليوم الآخر وفي شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حكم المرتد ثم خاتمة.

وقد كانت كل هذه المواضيع مستمدة من القرآن والسنة وأقوال العلماء مع ذكر المراجع والمصادر بأسلوب سهل وشيق ولغة واضحة ومبسطة يستفيد منها المتعلم والمبتدئ، فهو كتاب جدير بالمطالعة وبتعزيز المكتبة الإسلامية.

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير وأمده الله بمديد العمر ليواصل خدمة العلم تدريساً ووعظاً وتأليفاً، وأثابه الله بما يثيب به كل عالم غيور عامل بعلمه وبما علّمه الله.

والسلام

تونس بتاريخ يوم الخميس 15 جمادى الثانية 1437 هـ الموافق 24 مارس 2016 م

حرره الفقير إلى ربه تعالى

عثمان بطيخ مفتي الجمهورية التونسية لطف الله به

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على
سيد المرسلين

أما بعد، فقد نظرت في كتاب إتحاف القاصد لزبد العقائد لفضيلة الأستاذ أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام فوجدته كتابا ملخصا لعلم العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة واختار مؤلفه الكتابة على طريقة التدارس، وفضل أن تغلب الصبغة النقلية على الكتاب ولذا نراه لم يتوسع في الاستدلال على وجود الله مثلا ولم يرد على ملاحدة العصر ولم يتعرض لنظرية داروين كما فعل من كتب في علم العقيدة من المعاصرين، ومهما يكن من أمر فالكتاب قدم زبدة علم العقيدة فجزى الله مؤلفه خيرا، ووفقه لما يحبه ويرضاه

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف الصَبابطي
حفظه الله تعالى
نائب رئيس جامعة الزيتونة




وكتبه عفيف الصبابطي
نائب رئيس جامعة
الزيتونة
تونس في: 27 ذي الحجة 1438
18 سبتمبر 2017
عفيف

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف الصَبابطي
حفظه الله تعالى
نائب رئيس جامعة الزيتونة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف الصَبابطي حفظه الله تعالى نائب رئيس جامعة الزيتونة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

أما بعد،،،

فقد نظرت في كتاب إتحاف القاصد لزبد العقائد لفضيلة الأستاذ أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام فوجدته كتاباً ملخّصاً لعلم العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة واختار مؤلفه الكتابة على طريقة القدامى وفضَل أن تغلب الصَبغة النقلية على الكتاب ولذا نراه لم يتوسع في الاستدلال على وجود الله مثلاً ولم يرد على ملاحدة العصر ولم يتعرض لنظرية دارون كما فعل من كتب في علم العقيدة من المعاصرين.

ومهما يكن من أمر فالكتاب قدم زبدة علم العقيدة فجزى الله مؤلفه خيراً، ووفقه لما يحبه ويرضاه.

وكتبه

عفيف الصَبابطي نائب رئيس جامعة الزيتونة

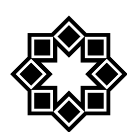
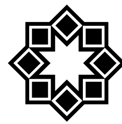
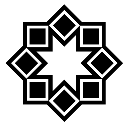
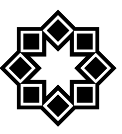
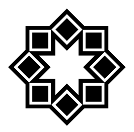
تونس في 26 ذي الحجة 1438 هجري 18 سبتمبر 2017 رومي

عفيف

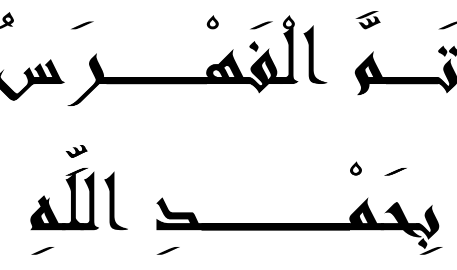




تَمَّ بِحَمْــدِ اللّــهِ الكتاب

فَهْــرَسُ الْمَـــوْضُــوعَـــاتِ


تَمَّ الْفَهْرَسُ
بِحَمْدِ اللّٰهِ

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات
التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-14-114-6

